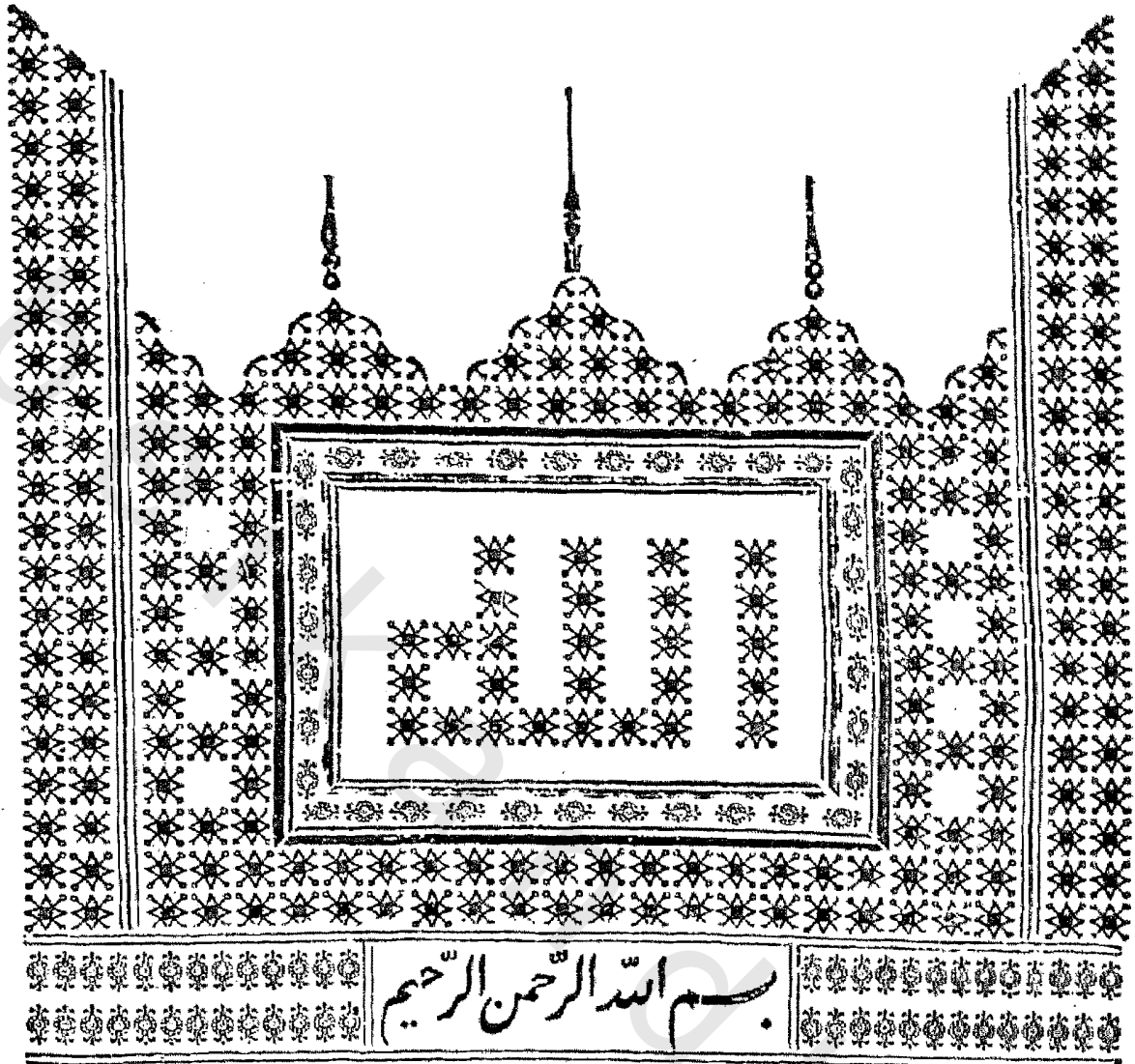


خلاصة تاريخ العرب

تهذيب ترجمة
كتاب العالم سيدايو
SEDEILLOT

أمر
بترجمته وتهذيبه وطبعه
سعادة
علي باشا مبارك
ناظر المعارف العمومية
سابقا

الطبعة الاولى
بمطبعة محمد أفندي مصطفى
بحوش قدم
سنة ١٣٠٩
هجريه



جدد لمن أرشد الانسان الى اقتناص شوارد الأخبار وشوقه الى الاطلاع على
محاسن ومساوى الآثار والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه نحن نقص
عليك من أتباء ما قد سبق وعلى آله وصحبه الفائزين بالسبق ﴿أما بعد﴾ فيقول
الفقير الى الله تعالى ﴿على باشا مبارك﴾ كل انسان مشغوف بعرفة حوادث
سلفه لاسيما حوادث قومه وعشيرته ونحن أبناء الامة العربية مشغوفون
بعرفة ما كان للعرب من الأعمال والنتائج التي مهلت للنوع الانساني طرق
السعادة باتساع دائرة معلوماته وارتقائه الى ذروة الرفعة والثروة بعد أن كان
بمضيض الضعة والفاقة وأما ما زعمه ناس ودون في كتب قديمة وحديثة بلغات
متنوعة من أن العرب لم يأتوا بشئ يذكر نائين عن التمدن المرفوعة أعلامه زمن
الرومانيين

الرومانيين الوارثين له عن الروم بل كانوا سببا في اخجاد نار الغيرة واطفاء نور العلم حتى خيم الجهل وعم التوحش بقاع الارض وفي فقد الحرية الانسانية بتوالي غاراتهم وعدم مبالاهم بالحقوق فهو أراجيف مبتدعة دعاهم اليها حب اطفاء نور الحق ويأبى الله الا أن يتم نوره ويظهره كالشمس في رابعة النهار فانقشروا الحمد لله ببقاع الارض حتى تمسك به نحو سدس سكان المعمورة من غير محرض لهم على اتباعه وما زال في ازدياد حتى تمسك به في هذا الزمان فرق من الفرنج فبنوا مساجد في المدن الشهيرة ومما يدل على أن هذه مفتريات مقالته المؤرخون العارفون بحقائق الحوادث التاريخية من أن العرب لم يقصدوا بأعمالهم غير نشلة الخلق من قبضة الظلم وتخليتهم من التوحش والعوائد الذميمة والمحافظة على حقوقهم بقوانين العدل الموافقة للقرآن الناطقة آياته بالحث على اكتساب الفضائل والاخذ بالعزم في اتساع دائرة العلم ولم يعلم ذلك من قبل الامم الغربية وغيرها فان توارى عنهم تدل على أنهم كانوا قبل أن يسطع نور الاسلام وتمتد الشوكة العربية غرقى في بحار الجهالة والظلم مكبلين بقيود الاسترقاق لا يدري أحدهم حقه بل يتصرف فيه النظام حسب ماسولت له شهواته وكان أكثرهم يعيش في الاكواخ والكهوف أو يقيم في الغابات وما زالوا على ذلك حتى دخل العرب فبثوا فيهم العدل والعلم والتضائل والاكتسابات الزراعية والتجارية وفن العمارة وسائر الصنائع والحرف فعرفوا التمدن والسياسة المنزلية والمدنية وبالجملة فضل العرب على سائر نوع الانسان كفضل هذا النوع على سائر الحيوان لا يمكن جهله بل تجاهله لمن ضل سواء السبيل

وقد كتب السلف من رجال الامة العربية كتباً كثيرة في المسائل الاعتقادية والعملية وتواريخ أسهبوا فيها الكلام على الحوادث التاريخية وما لاهلها من العوائد والاخلاق ولم يقتد بهم الخلف في ذلك مع أنهم جديرون بنشر فضائل العرب والشريعة الغراء لتمام درايتهم باللغة العربية بل سكتوا فأسند الامر الى غير أهله وهم الفرنج الذين ظنوا معرفتهم أساليب اللغة العربية فأضاعوا فضائل العرب وأخذوا يركبون متن العمياء ويخبطون خبط العشواء فكلم من حكمة

حقولها عن حقيقتها وكم من آية ترجوها على غير المقصود منها فشاعت الاباطيل
المضرة بشباننا في دينهم ودنياهم ولم أجد من المؤرخين من تصدى لتبديد هذه
المفتريات سوى العالم (سيدو Sedillot) أحد مشاهير علماء الفرنج المولود بباريس
في ٢٣ يونيو سنة ١٨٠٨ الموافقة سنة ١٢٢٣ هجرية فقد جمع في عشرين سنة تاريخا
في سفر من مؤلفات من يوثق بهم من العرب والفرنج وبت فيه الفضيلة الحميدة
والمآثر العربية وأثبت ذلك ببراهين أدحض بها ما ادعاه المبغضون من نسبتها
إلهم فقول الناس عما رسخ في أذهانهم وأخذوا يقدرون الكتب العربية وعلماء
العرب حق قدرهم وظهر فضل العرب لدى الفرنج وأنشؤا في ممالكهم مدارس
لتعلم اللغة العربية وأخذوا يسارعون الى حيازة الكتب العربية في سائر
الفنون والمعارف ويبذلون فيها النفيس ولم يقتصروا على ذلك بل رغبوا أيضا
في الاستحواذ على صور مبانيهم وجميع ما كان لهم من نحو الزينة والزخرفة وآلات
الملاهي والمطاعم والملابس ولذا أخذ السياحون يجوبون البلاد الدانية والقاصية
ليعتروا على ذلك غير مباليين بما يلقون من المشاق الهائلة فحصلوا على ما في بيوت
التحف والآثار من الامثلة المتنوعة بقدر تنوع الحرف والصنائع وعلى ما في

خزائنهم من الكتب التي في جميع ما نسبته الانسان من هزل وجد
وقد رتب هذا الكتاب على سبع مقالات تتضمن أبوابا مشتملة على مباحث * فالمقالة
الاولى في جغرافية بحيث جزيرة العرب وتاريخهم قبل البعثة وفيها بابان في
طبائع العرب وميلهم الى الوحدة السياسية واجتماعهم بسوق عكاظ للتفاخر
بالقصائد الشعرية * والثانية في الكلام على النبي صلى الله عليه وسلم وما تضمنه
القرآن المجيد من الآداب والفضائل وفيها ثلاثة أبواب * والثالثة في الامة
العربية الفاتحة وفيها خمسة أبواب في الخلفاء الراشدين ومحاربة العرب البلاد
الاجنبية عن بحيث جزيرتهم والحالة السياسية ببلادهم وقت وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم وانغارتهم على غربي آسيا وعلى مصر وفارس وأفريقية واسمانييا
وفرنسا وآسيا الصغرى وشواطئ نهر السند * والرابعة في قوة شوكة
العرب وانحطاطها بالمشرك وفيها أربعة أبواب في حدود مملكة العرب وقتال

الأموية والعباسية وخلافتي المشرق والمغرب ورفعة وانحطاط الشوكة العباسية والدولة الفاطمية والسجوقية وغارة المغول والأتراك وزوال حكم العرب من آسيا * والخامسة في رفعة وانحطاط سلطنة العرب في الاقطار الغربية وطرد النصارى للغاربة من اسبانيا وفيها أربعة أبواب في الملوك الاغلبية والادريسية والفاطمية بشمال آسيا والاموية باسبانيا وفي توقيف حزبي المرابطين والموحدين تقدم نصرات النصارى على مسلمي اسبانيا وتحكم الدولة العلوية على مدينتي الجزائر وتونس وانشاء سلطنة الاشرف في مراکش * والسادسة في وصف التمدن العربي في الزمان الاول وفيها ثلاثة أبواب في أن مدرسة بغداد خلفت مدرسة الاسكندرية وفيما كان عند العرب من العلوم الطبيعية والفلسفية والالهية والفقه والمعارف الادبية ومخترعاتهم * والسابعة في أحوال العرب في هذا الزمان (زمن مؤلف الاصل) وفيها بابان في الكلام على عرب المشرق وأفريقية وبلاد مراکش وإيالة الجزائر وبالجملة هذا الكتاب على صغر حجمه جمع زبد التواريخ المتفرقة في خزائن الاقطار الدانية والقاصية بعبارة سهلة سالمة من الزخرف والحشو الذي ملئت به تلك التواريخ فصعب فهم خلاصتها التاريخية على أن بعضها لا يمكن تحصيله لكثير من الناس فضلا عن كلها لتباعد أقطارها مع احتياجها الى أئمان باهظة قل من يقدر عليها

ولنفاسه هذا الكتاب أردت نشره بين أبناء الوطن فأمريت بترجمته وأنا ناظر على ديوان المعارف سنة ١٢٨٥ هجرية المرحوم محمد أفندي ابن أحمد عبد الرزاق أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمي اللغة الفرنسية بالمدارس الملكية المصرية فترجمته ثم أمرت أساتذة بقراءته فقرأوه وأعلنوا بفائدة طبعه فأمريت بطبعه ثم تخليت عن نظارة الديوان فوقف الطبع وحفظت الترجمة في المكتبة الخديوية ثم عدت الى نظارة الديوان سنة ١٣٠٥ فوجدت به أبوابا لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها في الترجمة فترجنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الاصل كلمة كلمة ثم كافنا به العالم النعير الشيخ عبد الرحمن ابن العلامة المرحوم الشيخ السيد الشرفاوى الشريفي المتوفى سنة ١٢٨٨ وأمرناه أن ينشئه انشاء عربيا فصيحاً فاخذ

يفشنى ويقرأ علينا ما كتبه بخطه ثم صححنا أسماء البقاع والرجال وقابلناها على أصلها
 الا فرجى وسميناه **(خلاصة تاريخ العرب)** فجاء بحمد الله كتابا
 مبارك الطالع ترتاح له المسامع كما أن شمس النجاشة عليه طوالع لم يدع كبيرة
 ولا صغيرة من تاريخ العرب الا أحصاها ولا شاردة من شوارد فضلهم الا
 ردها لاهلها وكشف القناع عن محياها مع التزاهة عن وصمة العيب والتبرئة
 عن مثل ما يأتى به الكثير من المؤرخين رجاء بالغيب ورجاء به أن يكون لابناء
 الشرق وعلى الخصوص المصريين دايلا مرشدا يروى لهم من محاسن آباءهم
 الاولين حديث مجد لا يزال مدى الايام مخلدا في عز أمير البلاد المحفوف من
 الرحمن بالاماني سمو خديوى مصر **(عباسنا الثانى)** من لا يزال طالع سعده
 كوكبا دريا ومجده سموه بين الملوك مرتفع القدر عليا أدام الله عهده وأيد بالنصر
 والتعزيز فعله وقوله هذا ولما كان المؤلف مصدرا كتابه هذا بمقدمة جليلة بين فيها
 ما أخذ كتابه وما ينبي عن علو شأن الامة العربية مع اقامة البرهان على صدق قوله
 وصحة صوابه قد جعلنا هذا الكتاب حرصا لما فيها من الفوائد لذوى الالساب

(مقدمة)

مازلت منذ نيف وعشرين سنة أئين ما للعرب من توسيع نطاق العلوم والتقدم
 في القرون التي بين عصر يونان اسكندرية ومصر وأعصر الدولة الحديثة الا فرجى
 ورأيت أن أذكر بحمل أخبار هذه الامة المحترقة لدى الفرنج من أمد بعيد وأن
 أضاهى ملجعتهم بما أذاعه غيرى لا كون أول من دون تاريخا عاما في أخبار العرب
 وهو ميدان واسع المجال ربما كان فوق طاقة الواحد من الرجال
 ويلزم قبل الشروع أن أذكر ما يوجب التفات القارئ الى علو شأن هذه الامة
 العربية الفاتحة لأملاك الاجنبية بدون أن يتغلب عليها أجنبي مع إتصافها منذ
 أربعة آلاف سنة بما انفردت به من جميل الاخلاق والعوائد فنقول
 كانت منذ نشأة أقدم الدول مدبرة لأموورها متأهبة للاغارة على مجاورها أخذت
 مملكتى مصر وبابل قبيل الميلاد بتسعة عشر قرنا ثم أخذت منها ما ملكته

من البلاد الاجنبية واتحصرت سطوتها في بلادها العربية فأخذت تقاثل
 الفراعنة وملوك العراق ونجت من تسلط (كيروش Cyrus) ملك الفرس واسكندر
 Alexandre (بن فيليبش ملك اليونان) وبقيت على استقلالها من أخذ الرومان
 الدنيا القديمة ثم أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فربط علائق المودة بين قبائل
 بحيث جزيرة العرب ووجه أفكارها الى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت
 سلطنتها من نهر التاج (المار باسبانيا وبرتغال) الى نهر الكنج (أعظم
 أنهار الهندستان) وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والمغرب وأهل أوروبا
 اذئذ في ظلمة جهل القرون المتوسطة وكأنهم نسوا نسياناً كلياً ما وصل اليهم
 من أحاديث اليونان والرومان واجتهد العباسية ببغداد والأُموية بقرطبة
 والفاطمية بالقاهرة في تقدم الفنون ثم عرقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية
 فاقصروا على السلطة الدينية التي استمرت لهم في سائر أرجاء ممالكهم وكان
 لديهم من المعلومات والصنائع والاستكشافات ما استفاد منه نصارى اسبانيا
 حين طردوهم منها كما أن الاتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا
 معارف من تغلبوا عليهم وأدوا اليهم مرتبات ولما انحصرت العرب في
 بحيث جزيرتهم وصحارى أفريقيا عادوا الى عيشتهم البدوية مستقلين عن
 عداهم حتى ألزمتهم الدولة العثمانية الانقياد وأجفت بهم فانقادوا منتظرين
 فرصة أراد الوهابية انتهازها في غرة هذا القرن التاسع عشر من الميلاد لعرق
 رقاب الامة العربية من تسلط الاجانب عليهم فلم ينجحوا ولبثوا مستعدين
 للعصيان بإشارة من كبرائهم ولامانع من حصول ذلك في ممالك تونس
 ومراكش وكذا الجزائر التي حكمتها الفرنسية فان جميعهم على غاية من
 الاستعداد لاجابة رؤسائهم

والمؤرخون من الفرنج اقتصروا بعضهم على أخبار ما قبل الاسلام كالمؤلف (بوكوك
 Pococke) (وشولتنس Schultens) وغيرهم وبعض آخر على السيرة النبوية
 ومعاني القرآن العظيم وبعض كالمؤلف (ملس Mills) على تاريخ الاقوام

التركية والتتارية وطرف وجيز من سيرة الخلفاء المشرقية والمغربية وبعض
 كالمؤلف (كند Condé) على تاريخ عرب اسبانيا وبعض ألف في تاريخ العرب العام
 أنموذجات بقيت نافضة كتأليف (أكله Ockley) البالغ آخر سنة ٧٠٥ ميلادية
 وتأليف (ماريني Marigny) (ودسورچرس Desvergers) الواصلين الى آخر سنة
 ١٢٥٨ ولم يتم تاريخ المؤلف (ويل Weil) وبالجملة كان من علماء الفرنج جم غفير دونوا
 أخبار جميع الممالك التي تغلب عليها العرب فحفظوا لنا من مدوناتهم أنفع المواد
 التاريخية المتعلقة بآسيا وأفريقية وكذا أوروبا التي ساعدتنا كتبها على
 تدوين هذا الملخص العام لاسيما تأليف (جستاهوبرد Gustave Hubbard) أحد
 تلامذتنا وأصدقائنا الاقدمين فقد سهل لنا اتمام هذا الملخص بتأليفه الاولى
 في التاريخ الذي طبعه سنة ١٨٥٢ ميلادية وضمنه تنظيم جمعيات تعاون الاحسان
 والبصرة في تدارك أمر من اعتدت عليه بحن الزمان والمستمدات الاصلية
 المشتملة على سير العرب لم تزل الى الآن كنوزا مغلقة قائما معشر الفرنج وان
 وقفنا على حقيقة تواريخ ابي الفداء وابي الفرج والمسيين (النصراني
 المعروف بين أهل المشرق بابن العميد) لكن ليس عندنا الآن الا تراجم قطع
 هن تواريخ ابن خلدون والمقرئزي وابن الاثير وتواريخ كثير من المؤرخين من
 العرب والفرس ولعلنا نحوز جميعها مترجما باللغة الفرنسية ومع ذلك يكفيننا
 ما لدينا من تواريخ السلف في ضبط الحكايات الكاذبة وتحقيق الحق فيها بل
 نقدر بها على فهم ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) غير مغترين بما
 اعتاده المؤلفون من ستر خلقه الباطني كالقائل انه كان رجلا مجذوبا محتملا
 ظمعا عايت عذر حصره واتفق والقائل انه كان ذا قريحة لا نظير لها وانه من نوادر
 الوجود التي يحدثها الله لاصلاح الدنيا فان هذين القولين لا يلتفت اليهما
 بل يجب رفضهما والمعول عليه في وصفه (صلى الله عليه وسلم) ما قاله العلامة
 (أواسنير Elsner) فانه فهم حقيقة الرسول وحكم دين الاسلام على جميع
 الممالك التي انتشر فيها على ما قاله في تذكرته التي وقعت موقع القبول سنة

١٨٠٩ ميلادية لاشتمالها على المأمول لدى أرباب مدرسة العلماء المشتغلين
بالعناوين والكتابات على الآثار القديمة ثم بالعلوم الأدبية

وأما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الأموية في دمشق وقرطبة والعباسية ببغداد
والفاطمية بمصر ووصف تمزيق الممالك الإسلامية الشرقية التي أغار عليها الأتراك
ثم المغول فقدونها الفرنج تدوينا حسنا وأضفنا إليها ما تركوه من أصولها وهو
وصف التمدن العربي الذي تمكنت أصوله في آفاق الدنيا القديمة أقوى تمكن
ولانزال إلى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمبىدى ما نحن عليه من المعلومات
الأوروپاوية فإن العرب في غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحماية الحربية
وشغفوا بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليلة والقاهرة
وفاس ومراكش والرقه وأصفهان وسمرقند تفاخر ببغداد في حيازة العلوم
والمعارف وقرئ ما ترجم إلى العربية من كتب اليونان في المدارس الإسلامية
وبذل العرب همهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الأفهام البشرية من
المعلومات والفنون وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من
أوروپا ابتكارات تدل على أنهم أئمتنا في المعارف ولنا شاهدا صدق على
علو شأنهم الذي تجهله الفرنج من أزمان مسديدة الأول ما أثر عنهم من
تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والأسفار وقواميس ما شتهر من
الأمكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة والثاني ما كان
لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون
وما أوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء الصحيحة
والفلاحة والعلوم الصحيحة التي مارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع إلى
القرن الخامس عشر من الميلاد (من سنة ٣٨٨ إلى سنة ٩٠٧ هجرية)

وزعم المؤلف (شليجل Schlegel) سنة ١٨٣٣ ميلادية (الموافقة سنة ١٢٤٨
هجرية) أن الهنود والصينيين أعلم من العرب وأخبر أنه سيقف على كنوز معارف
هاتين الأمتين مع أنه لم يحصل بعد دعواه بعشرين سنة أجل الفوائد الفلكية

والرياضية والجغرافية الا من الكتب العربية القديمة نعم ألف الفرنج الباحثون عن الامور الهندية كتباً كثيرة لكن لم يحصل منها أدنى تقدم فيما هي بصدده كما أن الفرنج المستخرجين فوائد من توارىخ المملكة الصينية التي هي أقدم الدول لم ينجحوا الا في اشهارهم الصينيين بانهم أجهل أهل الارض كالترك كما قاله المؤرخ أبو الفرنج وأما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم التمدنية في الفترة التي بين عصر يونان الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ أهل أوروبا من رقدة الجهالة ونشر أنوار المعارف في جميع ممالك آسيا فقد انتشر علم العرب (الفلك) في الهندستان بواسطة العلامة البيروني المغمور بكارم السلطان محمود الغزنوي حين انتقل اليها سنة ١٠١٤ ميلادية (الموافقة لسنة ٤٠٧ هجرية) كما نشره بين السلجوقيين العلامة عمر خيام سنة ١٠٧٦ ميلادية (الموافقة لسنة ٤٦٩ هجرية) وبين المغول العلامة نصير الدين الطوسي مؤسس الرصدخانه بمدينة المراغة سنة ١٢٦٠ ميلادية (الموافقة لسنة ٦٥٩ هجرية) وانتشر بين العثمانيين سنة ١٣٣٧ ميلادية (الموافقة لسنة ٧٣٨ هجرية) ونشره بين الصينيين العلامة (كوشيو كنج Co-Chéou-King) تلميذ الاستاذ جمال الدين سنة ١٢٨٠ ميلادية (الموافقة لسنة ٦٧٩ هجرية) في عهد السلطان كوبلاي خان كبير عائلة الملوك اليوانية وشيد (أولوغ بگ Oloug Beg) لعلم الفلك رصدخانه بسمرقند سنة ١٤٣٧ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٤١ هجرية) وانتهى اشتغال المشرقين بالعلوم والفنون عقب زمان الوغ بگ ثم اطلع أهل الغرب من أوروبا على أسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية التمدن واللغة العربية وفنونها الادبية التي أخذت كل يوم في زيادة الانتشار بين الفرنج ومازلنا الى الآن نستكشف أموراً مهمة من الكتب العربية القديمة وان عزی ابتكارها زورا الى بعض المتأخرين من الفرنج ولا شك ان فتح أمتنا الفرنسية ايلة الجزائر المغربية وكثرة علائقها بسبلى افريقية (ممالك المغرب) يزيد فيما اهتم به الفرنج المولعون باللغات والادب

والآثار المشرقية من البحث عن كتب المعلومات العربية التي لم يحسن سلف الفرنج استخراج ما فيها من جواهر المعارف الثمينة وما أعظم اشتغالنا بتلخيص جميع تاريخ الأمة العربية التي ظهرت أخبارها أعجب مظهر وبهرت أنباؤها دون غيرها من التواريخ كل من قرأ وتبصر ولذا نستلفت أبناء أوروبا على عمر الزمان الى تلك الآثار الجليلة التي خلفتها هذه الأمة

﴿ المقالة الاولى ﴾

﴿ في جغرافية بحيت جزيرة العرب وفي تاريخ العرب قبل البعثة وفيها بابان ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ في جغرافية بحيت جزيرة العرب وفيه ستة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في آراء القدماء في حقيقة بحيت جزيرة العرب ﴾

بلاد العرب واسعة سطحها ضعف سطح مملكة فرنسا تقريبا قدره علماء هذا العصر من أوروبا بمائة وستة وعشرين ألف فرسخ مربع محاطة بالماء في ثلاث جهات ومتصلة في الجهة الرابعة بأفريقية وآسيا وحدودها في الشرق والجنوب والغرب الخليج الفارسي وبحر الهند والبحر الاحمر وفي الشمال الغربي برزخ السويس (كان ذلك قبل فتح القنال) وخط نهايتها من الشمال مبدؤه غزة وعمر بجنوب بحيرة البحار الميت وبشرق نهر الاردن ويمتد من دمشق الى نهر الفرات حتى ينتهي الى الخليج الفارسي ولم يعرف القدماء صفة داخل بلاد العرب بل لم يكن لليونان والرومان دراية تامة بتقسيمها ولذا اقتصر على عبارات قليلة في بحيت جزيرة العرب المؤرخ (هيرودوتوس Herodote) اليوناني الذي ساج وجمع فوائد في أخلاق المصريين وأهل أذربيجان وأتى بعده (إراتستينس Eratosthène) (واغاتارشيد Agatarchide) (وبليناس Pline) (وأريان Arrien) (واسترابون Strabon)

(ودوديورالسيديلياني Diodore de Sicile) فدوتوا في فوائدها أكثر مما قاله ذلك المؤرخ لكنهم نسبوا البلاد العرب في غالب عباراتهم مما يجلب اليها من الهندستان للتجارة

ويظهر أن (بطليموس Ptolémée) الفالوذي كان أعلم القدماء بحقيقة بلاد العرب ومع ذلك لم يكن تقسيمها الا اجتهاديا ولذا لم يعتمد علماء الجغرافية من العرب قسم بلاد العرب الى ثلاثة أقطار كبار الجاز ونجد واليمن وجعل الجاز شاملا لبحيث الجزيرة التي بين الخليجين المتفرعين من البحر الأحمر في نهايته الشمالية وجعل نجد ممتدا من شرقي هذين الخليجين الى حدود الشام وجزيرة دجلة والفرات ومن الجهة الشرقية من مبدا طول الخليج الفارسي الى بحر الهند وجعل اليمن الجزء الجنوبي من بلاد العرب وعد فيه من الاقوام ستة وخمسين ومن المدن والقرى والمبانيات ستا وستين ومائة منها ست مدائن كبيرة وخمس مدائن ملوكية ولم تتفق كلمة المؤلفين في تحديد امتداد هذا القسم الثالث فقد بالغ فيه بعضهم بما يخرج عن حد القياس وحصره آخرون بين الجبال المجاورة للاقيانوس الهندي وآراء العرب في تقسيم بحيث هذه الجزيرة أحسن لموافقتها شكل البلاد وجميع مادون من تواريخ العرب في سائر الاعصر وأما حدودها العامة فهي التي أسلفناها الا أنها لا تشمل على رأيهم بحيث جزيرة طور سيناء ولا صحارى كادة والشام كما يعلم من ترجمة جغرافية الادريسي

﴿ المبحث الثاني ﴾

﴿ فيما اختاره العرب في تقسيم بلادهم وفي بحيث جزيرة طور سيناء ﴾

﴿ وصحارى الشام وكادة وغيرهما وبلاد العرب الحقيقية ﴾

بحيث جزيرة طور سيناء منحصرة بين خليج السويس وخليج أيلة وتمتد في الشمال الى البحر الميت سكن العبريون براريها الرحبة بعد خروجهم من مصر ثم صارت اقليما رومانيا يسمى فلسطين الثالثة وكريى ككومتته مدينة بئرته وجبال طور سيناء

طورسينا وخور وغريب محال لوقائع وحوادث ذكرت في التوراة وصحارى الشام والجزيرة وكلداء المعروفة بصحارى دمشق وحلب وبغداد وبصرى تنع سكان آسيا الصغرى وبلاد الفرس من الوصول الى بحيت جزيرة العرب وقفارها تزهد فيها الملوك الفاتحين لو لم تكن طريقا مختصرا للتاجر الآتية من الهندستان الى أوروبا ومن اليونان وإيطاليا الى المشرق فان المسافر من مصب نهر الفرات على طريق مستقيم الى دمشق يصل بسهولة الى مبيدات البحر الابيض المتوسط بخلافه اذا صعد في هذا النهر الى جهة جبال أرمينية فانه يجبر على اجتيازها والمرور بطول جميع الاناضول وبذا يتكبد مشاق ومصاريفه جسيمة وهذا هو السبب الاكبر فى أن مدينة تدمر المبنية بتلك الصحراء كانت ذات أهمية لحايتها القوافل التجارية ثم خربتها الجيوش الرومانية فحكم العرب بالتدريج على تلك الطرق التى بين المشرق والمغرب ولتعودهم على المعيشة البدوية من الحط والترحال ومعرفتهم بقواهم الحربية صاروا ملوكا يتصرفون فى تلك البقاع بلا منازع ثم ظهر فى تلك الاقطار تدريجا مملكة الحيرة والأبصار

وقبيلة النبط وقبائل غسان

وفى خلف تلك البرارى من الجنوب بلاد العرب الحقيقية المنقسمة ثمانية أقاليم * الأول الجبال الواقعة فى الجنوب الشرقى من بحيت جزيرة طورسينا وفى طول ساحل البحر الاحمر * الثانى اليمن الذى فى جنوب الجبال * الثالث حضرموت الواقعة فى ساحل بحر الهند وفى شرق اليمن * الرابع اقليم مهرة فى شرق حضرموت * الخامس اقليم عمان المتصل فى الشمال بالخليج الفارسى وفى الجنوب والشرق ببحر الهند وحده من الجنوب الغربى اقليم مهرة * السادس الحساء المسمى أيضا بالبحرين لاهمية الجزائر التى تجاوره ولا امتداده بطول الخليج الفارسى من ابتداء اقليم عمان الى نهر الفرات * السابع نجد فى جنوب صحارى الشام شاغل جميع الجزء الأوسط من بحيت جزيرة العرب وهو ما بين الجبال والحساء واطليم اليمامة أو العروض الذى كانت به مدينة هجر وغالبه هضاب رملية * الثامن

اقليم الاحقاف بين عمان والحساء ونجد وحضرموت ومهرة
وانا نعرف الآن وصف جميع هذه الاقاليم على السواء وأما السياحون من
الفرنج فخططوا بعض تلك الاقاليم ولم يجدوا سبيلا الى تخطيط البعض الآخر
وعملوا في أيامنا هذه لبلاد الحجاز واليمن رسوما خالية عن مواطن كثيرة وجعلوا
في هذا العصر بلاد عسير التي تتصل بهذين الاقليمين ويعمرها قوم ألوعزم
واقدام في الحروب وإذا كان هذا حال معرفتهم بسواحل البحر الاحمر الذي
يسهل الدخول فيه بسبب وضعه الطبيعي فما بالك بداخل بلاد العرب الذي لم
يطلع على جميع طوله الا افرنجي واحد مرة وهو الخرجا (Seetzen) جابه
من الخليج الغربي الى الخليج الشرقي أى من سواحلها الجنوبية والشرقية التي
شرع الانكليز الآن في رسمها

*) المبحث الثالث *

*) (في تخطيط الحجاز) *

وصفه يجذب النفوس لاشتماله على أعظم مدائن العرب وهما مكة المشرفة
والمدينة المنورة فأما مكة ففيها مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وكانت تسمى
قديمًا مكوراة وهى منذ قرون تحجها الناس وتقصدها للعبادة في الكعبة وأمام
الحجر الاسود كما حجتها الملائكة على ما قيل وأما المدينة فتسمى قديمًا يثرب ولا بد من
أن تكون مقارنة لمكة وليس لها تين المدينتين من الارض المحيطة بهما ما يكفي
سكانهما ولذا استمدت المدينة من ينبع ومكة من جدة وبخلال أرض الحجاز
كثبان رمال وآكام خصبة وهى مساكن القبائل وحولها قرى وضياع وفي تلك
الآكام قلاع يلجأ اليها عند هجوم الأعداء وبغدراتها بعض حبوب
وثمار وكلا اللواشى وعيون ماء وبقر أحد تلك الآكام مدينة الطائف وهى
بستان مكة ولفوا كهها شهرة ويلحق بالحجاز أرض تهامة وهى البلاد الممتدة من
سفح الجبال الى البحر وفيها مدينة قنفذة وعلماء الجغرافيا لا يطلقون تهامة الا

على الساحل لمقابلته بنجد الذي معناه المحل المرتفع ويقولون تهامة الجاز غير تهامة عسير وتهامة اليمن الممتدتين من خولان الى عدن

﴿ المبحث الرابع ﴾

(في وصف اقليم اليمن)

سمى بذلك ليمنه وبركته وهو الجزء الجنوبي من جزيرة العرب وفي شماله بلاد عسير وسكانه يسمون لدى القدماء بنى حنير خالطوا المصريين والاثيوبيين والفرس وجميع الأمم التي تسافر في بحر الهند فانتظمت حكومتهم منذ أحقاب ولم يكن لهم اشتغال بالفلاحة والتجارة وزرعوا البن آخرا الزمان ولم يهروا في الفلاحة وطريقة رى الأرض والالزاد البن الذي هو ينبوع غناهم خصوصا مع اعتدال ذلك القطر وارتفاع أراضيه ورطوبته المساعدة على نمو تلك الشجرة وفيه الآن عدة مدن رفاهيها من تجارة البن وهى مخا وجديدة ولدية وعدن ومن هذا الاقليم مدينة سبا المسماة أيضا مأرب ومدينة صنعاء المنافسة لمكة عدة قرون في التلقب بتحت جزيرة العرب ولذا اتخذها التبابعة ومن خلفهم عليها من عمال الفرس والحبشة دار اقامة وهى الآن دار اقامة أقوى أمراء اليمن شوكة وكان ينقل من جزيرة العرب الى البلاد الاجنبية نبر ومواد عطرية وتستمد العرب من جزائر بحر الهند معظم المعادن النفيسة والبهارات الذكية التى يبعثون بها فى الخليج الغربى والخليج الفارسى الى البلاد الاجنبية

﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ في وصف أقاليم حضر موت ومهرة وعمان ﴾

﴿ والحساء والاحقاف ونجد ﴾

اقليم حضر موت الذى منه مدينتا ظفار وشيخان متصل باليمن ومشابه له فى المزاج والمزايا الطبيعية ومنه العود القاقلى واقليم مهرة أقل منه خصبا ولذا استمد سكانه وسائل معيشتهم من البلاد الأخر والبحر عندهم كثير السمك

يقتاتون بههم ومواسيهم واقليم عمان تجاه الهندستان وبه قليل من الخناس
والأسرب والتمر والبقول ولذا حرم من المطهر التجاري ولم يجلب اليه محصول
الهندستان لعدم ثنى فيه يصلح للتبادل واقليم الحساء شامل لجميع ساحل الخليج
الفارسي من ابتداء أرض عمان الى بصرى ويمدو للسافرين في البحر كآية
وخراب سواحله حتى يحثي فصل غوص البحر لاجراج اللؤلؤ فيتغير منظره
ويصير مركز تجارة لوفود الناس الى سواحل البحر ليعاملوا سكان السواحل
وجزائر البحرين وينزل اذ ذاك أفواج من ذوى الحاجات والهرج وقلة النظام
بقي بلاد القطيف والحساء والقطا وجريب ثم يذهبون بعد ذلك الفصل بتاجرهم
الى أسواق الهندستان وبلاد الفرس فيصبح اقليم الحساء بلقعا رحبا
والى هنا تم الكلام على الاقليم الستة البحرية من بحيث جزيرة العرب وهى
الجزار واليمن وحضرموت ومهرة وعمان والحساء وبقي اقليمان ممتدان فى داخلها
وهما اقليم الاحقاف وهو ايلة مفسرة يلحق به فى بعض الكتب أرض اليمامة
وحاله مجهول عند الفرنج واقليم نجد وفيه كثير من الواحات ومراع نفيسة وخيله
وجاله مشهورة بالقوة ولم يصفه أحد من السلف وصفا تاما

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ فى وصف المنظر العام لبحيث جزيرة العرب وريح السموم ﴾

﴿ ورمال الصحراء والندى والأمطار الدورية ﴾

﴿ ومعيشة العرب البدوية ﴾

يعلم من التقسيم السابق ان بحيث جزيرة العرب كواد مثلث الشكل زاوية
رأسه تنتهى بجبل طور سيناء بين نهري اللاذقية والفرات وله ثلاثة أضلاع
أحدها سلسلة جبال تمتد وسط الشام وفلسطين وهى المسماة جبال لبنان ثم ترجع
الى داخل بحيث جزيرة العرب فتمتد على ساحل البحر الاحمر الى بوغاز باب المندب
وثانيها سلسلة أخرى توازي مجرى نهر الفرات والخليج الفارسي وتنتهى الى بوغاز
هرمز وثالثها ممتدين البوغازين ويتم بخط من أراض مرتفعة وأما داخل ذلك
الوادي

الوادي فسهل في غاية الانخفاض حرمه أشد ضررا من حر السواحل لمقاومة حرها بالامطار بخلافه وجوه مملوء في الغالب بالابخرة والعفونات المتصاعدة من البحر الميت (بحيرة اسفلتيت) ومن بحيرات أخرى ملحة وتهب فيه ريح السموم التي تعرفها العرب برائحة كبريتية تفوح منها فتتلف النبات الذي لم يتم يدسه بأشعة الشمس ويتخفق الانسان وسائر أنواع الحيوان عند عدم الاحتراس منها وتغطي جثث الموتى بالرمال ولا وجود لها قرب سواحل الاقيانوس الهندي لاسيما في اليمن فان الهواء هناك نقي دائما وفصل الحرارة عين فصل الامطار التي ان عدت خلفها ندى غزير والارض مرتفعة تدريجا من ابتداء شواطئ البحر وبحسب تفاوت الارتفاع يتنوع مزاج الحر ويسهل رى المزارع وأشعة الشمس التي تسقط في الصيف عامودية تتلطف بعوارض كثيرة أرضية وهذه الفوائد الطبيعية قاضية بان يتوطن سكان بحيث جزيرة العرب هذه السواحل اليمنية دون غيرها لكان معيشتهم البدوية لما فيها من المحاسن جذبت قلوبهم الى هذه الصحراء ذات الرمال المحرقة التي لا تثبت ذرة شامية ولا أرزا ولا براو بها مراع ونخيل سريعة النفاذ وصهاريج وآبار يغيب ماؤها كل وقت قال المؤلف (هردر Herder) ان بحيث جزيرة العرب التي هي من أشهر الايلات على الكرة الارضية يتراعى منها أنها معدة بالفطرة الالهية لان تكسب أقوامها طبعاً مخصوصاً فان صحراءها الكبرى المشابهة لبلاد التتار الجنوبية والممتدة من حلب الى نهر الفرات ومن مصر الى الشام تبدى كثيرا من الفلوات الواسعة والقفار الرحبة لأقوام البدو والرعاة الرحالة النزلة ولم تزل من منذ أقدم الاحقاب يسكنها عرب دأبهم الحط والترحال واذا تأملت في عيشة هذه الامة التي ترى كل مدينة سبجنا وفي تكبرها المؤسس على أقدمية أصلها وعلى عظمة الهها وسعة لغتها وأشعارها وخفة خيلها وعلى بارق شواكيها وسمهري رماحها التي تعتقد أنها متوارثة لديها وأنها كالامانة المقدسة عندها قلت ان جميع هذه الاشياء قد أعدتها قديما لان تظهر بالظهور العظيم في ثلاثة أقسام من الدنيا ظهورا مغايرا لظهور التتار من شمال آسيا انتهى

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ في العرب قبل البعثة وفيه مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في طباع العرب وأخلاقهم وطبقاتهم وانقسامهم الى قبائل ﴾

العرب أسسوا زمن الجاهلية ممالك صغيرة في العراق والشام وانتشروا خلف بحيت جزيرتهم ساكنًا بعضهم بوادي مصر والسكن بالارث جميع صحارى أفريقيا منفصلين عن أعلى شمال آسيا برمال كالبحار آمنوا بها من دهمات الملوكة الفاتحين وانفردوا بحريتهم وتكبرهم لجلالة أصلهم وشهامتهم وفصاحة لغتهم الباقية على نقائها وتجروا مع من يأتى الى مركزهم من تجار الجنوب والمشرق واكتسبوا معارف من جاورهم من الأمم فوجد عندهم ممارسة عقلية حدث بها في لغتهم العبارات المجازية والحكم التهذيبية التي لم يظهر مثلها في جبال (أورال Oural) ولا جبال (التاي Altaï) وعلى جبلهم المسمى بطور سينانزلت ألواح الشريعة على موسى بن عمران المبعوث للبرانيين الذين سكنوا مع قبائل العرب في أغلب الأزمان

وكان قدماء العرب محافظين على أخلاق أجدادهم الدينية ولسكنهم وهبوا شبيبة مؤيدة واقتدارا على أعظم الامور فتغيرت طباعهم فكانوا سريعي الغضب أقوىاء الجراءة سفاهين للدماء معتقدين الأوهام الكاذبة كثيرى المشاجرة كراهية في مطلق التحكم عليهم لما جبلوا عليه من حب الاستقلال الذى يظنونونه الخير الوحيد من بين ما متعوا به مع ما هم عليه من كثرة السعى والجهد فى الضرورات المعاشية المحبوبة بصعوبة المعاملة وقسوة القلب وشدة الحرص على الانتقام الا أنهم كانوا ذوى حرية وعزة نفس وكرم بل كانوا يعتبرون قري الضيف قانونا جامعا لقوانين الانسانية ولذا كانوا يفخرون به مع السيف الكفيل باثبات حقوقهم والفصاحة المستعملة فى فصل خصوماتهم التي لا تنهى المحاربات

وكان

وكان تحت حكم كل رئيس يسمى الشيخ أو السيد قبيلة أو عدة قبائل تنفذ معيشة بعضها بالحروب فتتضم الى قبيلة أخرى قادرة على حمايتها فيكونان قبيلة واحدة تحت رئاسة كبير القبيلة ذات الشوكة و بذاي علم سبب أن كثيرا من أسماء القبائل لم يبق ذكره الى الآن وكان سائر مشايخ القبائل تحت حكم شيخ قائد للجيش ملقب في بعض الاحيان بالامير موكل بجميع مصالح القبائل لا يقدر على تمييز مصلحته عن مصالحها لان سائر ما منسوب اليه وهو الذي يباشر بت الحكم في جميع الدعاوى العظيمة بعد اصغائه الى آراء المشايخ ولذا كان مقيدا في حكمه لا ينجو من الاقتصاص منه بمثل جنايته على ما عرف في القوانين القديمة من القضاء بقتل القاتل أو تغريمه الدية ولم تزل العرب على هذا النظام ما أنقوا العيشة البدوية وان أنشؤا ببلادهم مدائن لاطلاق تصرف المشايخ فيها بدليل أن من دخل منهم المدائن لم يتغير عن حالته الاصلية

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في الروايات القديمة﴾

﴿من ابتداء القرن المئتم للعشرين الى القرن العاشر قبل الميلاد العيسوي﴾ اعلم أن العرب يعزون أنفسهم الى ابراهيم الخليل (عليه السلام) وقد عمر شمال بحيث جزيرة العرب بنو اسمعيل وجنوبها بنو قحطان الذين سكنوا اليمن وأسسوا فيه عائلتين ملوكيتين عائلة ملوك سبا وعائلة ملوك بني حير وهذا غير العرب العرباء الذين بقى لسانهم وهو اللغة العربية الحقيقية مستعملا الآن في الحجاز ونجد تتكلم به سكان البعيد والفلوات الآن سكان مدائن اليمن تكلموا باللغة الحيرية التي تعلمها بنو قحطان من آباءهم الاولين

وكان وجود بني اسمعيل بعد بني قحطان بزمن مديد وقد أوحى الله الى الخليل (عليه السلام) أن يبنى في مكة معبدا فرحل اليها من الشام وبني الكعبة التي تعظمها العرب من أمد بعيد بأنواع التعظيم الديني ومكث في بنائها سنين

طويلة وعاونته في البناء ابنه اسمعيل (عليه السلام) المولود في أرض مكة
والذي جاء اليه جبريل بالجر الاسود الذي لم يزل موضوعا فيها من قديم الزمان
وسيشهد يوم القيامة لمن عبد الله أمامه ووالدته هاجر هي التي عثرت على بئر
زمرم

وورد في الروايات القديمة التي حفظتها العرب آيات أخر تدل على رعاية الله
لهم وعنايته بهم وأقل ما ثبت في عقولهم أن نسلهم كنسل بني اسرائيل
في الامتياز على الغير

وكان في بحيت جزيرة العرب غير بني قطان وبنو اسماعيل بقايا قليلة من
الاقوام الاولية ولا يوثق بما ورد في حقهم من الروايات المهمة وغاية ما يعلم بل
غاية ما يفرض أن قوم عاد جابوا بلاد العراق والهندستان تحت قيادة شداد
ولقمان قبل الميلاد بأكثر من ألف سنة وأنهم استولوا على مدينة بابل سنة
٢٢١٨ قبل الميلاد وتغلبوا على مصر في ذلك العصر وكانوا يسمون برعاة الابل
أو الاكسوس (بكسر الهمزة) وذهب بعضهم الى أنهم حين طردهم بعد ذلك
بنو قطان من أرض اليمن ذهبوا الى الحبشة تاركين آثارا تدل على مرورهم من
بلاد العرب ولا يزال يشاهد فيها الى الآن أبنية منسوبة لقوم عاد تشبه أبنية
الصقالبة في الاحقاب الحالية

(وطبقات العرب ثلاث عاربة ومستعربة وتابعة للعرب)
فالعاربة شعوب منها عاد وعبيل وعبد بن فخم وعمود وجديس وطسم (١) والعمالة
وأميم وجرهم وحضر موت وحضورا والسلف
فاما عاد بن عوص بن ارم بن سام فأول من ملك من العرب ومواطن بفيه
بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضر موت والنهر عبدوا الاوثان فبعث
لهم هود عليه السلام فكان لهم معهم مافى القرآن الكريم وغلبهم على الملك
يعرب بن قطان فاعتصموا بجبال حضر موت حتى انقرضوا
وعبيل اخوان عاد أوأبيه وديارهم بالجفة بين مكة والمدينة أهلكهم السيل

(١) في القاموس وطسم قبيلة من عاد اه مصححه

وعبد بن ضخم بن ارم مسكن بنيه الطائف وهم أول من كتب الخط العربي
وثمود بن كثر بن ارم ديار بنيه بالجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام طالت
أعمارهم ففتحوا بيوتنا في الجبال وبعث لهم صالح عليه السلام فكان ما قصه
القرآن العظيم

وجديس لارم بن سام وديارهم باليمامة وطسم للاوذ بن سام وديارهم بالبحرين
وقيل هما معا للاوذ وديارهم اليمامة)

والعمالقة بنو عمليق بن لاوذ بن سام المضروب بهم المثل في الطول والجمان
والمعدودون عند بعض المؤرخين من جملة رعاة الابل أو الاكسوس الذين أغاروا على
مصر كسلف ومنهم أهل المشرق وأهل عمان البحرين وأهل الحجاز وفراعنة مصر
وجبارة الشام والمسمون بالكنعانيين ومع انتشارهم ببلاد العرب وملكهم
للايدار المصرية لم يؤسسوا مباني مخلدة البقاء وآل أمرهم الى انحيازهم في شمال
بلاد العرب واختلاطهم بالايديومية والموابية والامونية ومنعوا حين نزولهم
بسهول الحجاز ونجد العبرانيين من دخول كنعان فدام الحرب بينهما حتى غلبهم
طالوت ملك اليهود ثم أدخلهم داود (عليه السلام) في حكمه السارى فيما بين البحر
الميت والخليج الايلاني (لعله خليج أيلة) وخلفه ابنه سليمان (عليه السلام)
فلم يكتف بحكمه البحر الاحمر الطائفة أساطيله بسائر جهاته بل جمع بين تجارتي
الهند والهندستان بالزامه العرب المتنقلة في برارى كادة أن يؤدوا له الجزية
ثم توفي سنة ٩٧٠ قبل الميلاد (قبل الهجرة بألف وخمسمائة وثمانية وتسعين
سنة) فانفصلت مملكة يهودا عن مملكة اسرائيل وانقطع الارتباط بين القدس
ومدائن العراق وأبت العرب أن تؤدى الجزية وأخذت العمالقة والايديومية
والموابية في الاستقلال عن اليهود

ولقوة شوكة سليمان (عليه السلام) وعظم ملكه في جميع بحيث جزيرة العرب اعتبرت
سلطنته مبدأ تاريخ للحوادث المهمة من تاريخ العرب ولذا جاءت ملكة سبا
لتتحقق ما سمعته من قوة شوكته فوجدت نخامة ديوانه فوق ما اشهر من الأخبار
فازداد عجبها من علو شأن سليمان (عليه السلام) الذي خاف منه العرب على

حريتهم ثم اطمأنوا عليها بضعف شوكة خلفائه وعدم كفاءتهم للسلطنة
(وأميم بن لاوذ أخو عملاق وديارهم بأرض فارس وهم أول من بنى البيوت
والآطام من الحجارة وسقفوا بالحشب
وجرهم وحضورا وحضر موت والسلف من بني أرخشذ بن يقطن يسمون العرب
البائدة لعدم بقائهم وجرهم أمة كانت على عهد عاد وحضورا ديارهم بالرس
وهم عبدة أو ثان بعث اليهم شعيب عليه السلام فكذبوه وهلكوا وحضر موت
منها الملوك التابعة

وأهل التوراة لا يعرفون أخبار أحد من العرب العاربة لأنهم انما يعرفون أخبار
من ذكر في عمود النسب بين موسى وآدم ولا ذكر فيه لاحد من آباء هؤلاء
الاجيال الذين علمت أخبارهم من مهاجرة بني اسرائيل لأنهم أقرب اليهم
عصرا وأما من كانوا قبل هؤلاء العرب فلا طريق لعلم أخبارهم الا القرآن
الجيد لتناول الاحقاب وانقطاع السند

﴿ والعرب المستعربة ﴾

بنو قطان أبي سائر اليمنيين بن عابر بن شالخ بن أرخشذ بن سام ظاهر بنوه
العرب العاربة على أمورهم وكانوا مبعدين عن رتبة الملك والترفع التي
لأولئك حتى كثرت أنفادهم وعشائرهم فاخذ يعرب بن قطان اليمن من عاد والحجاز
من العمالة فولى اخوته جرهما على الحجاز وعادا على الشعر وعمان على بلاد
عمان وحضر موت على جبال الشعر وهؤلاء غير جرهم وعاد وحضر موت
السابقة في العاربة)

ولم يزل بنو قطان على حضارتهم باليمن الا جرهم فهاجرت الى مكة وهي بيد
اسماعيل (عليه السلام) فخالفته ونزلت بها ثم اقتضى الحال أن يعينوا رئيسا
يدخل تحت لوائه جميع الرجال عند هجوم العدو ومركزا من المدن تدور
عليه أمور الامة العربية فاختر بنو اسمعيل أن تكون الرئاسة لهم والمركز
مكة

مكة لشرفها بالبيت المطهر وبنو جرهم أن يكون الرئيس منهم والمركز صنعاء لغنى اليمن وأقدمية أهله فقام بذلك بين الفريقين حرب امتدت الى القرن السادس بعد الميلاد كانت النصره فيها لبني اسمعيل وذلك زمن استعداد النبي (صلى الله عليه وسلم) لتأسيس الوحدة الدينية

﴿ والعرب التابعة للعرب ﴾

من ولد اسمعيل (عليه السلام) تزوج بنت مضاخ سيد جرهم فانت منه بأولاد وكانوا قبيلة تحت رياسة واحد حتى كثروا فتفرقوا قبائل ذهب أكثرها الى البادية تحت الخيام فاعتادوا المعيشة البدوية واعتادوا في أسفارهم حمل أحجار من الحرم يطوفون بها اذا نزلوا تبركا بأثر البيت حتى أفضى بهم ذلك الى عبادة الاحجار واعتادت مشايخهم عند تلك مرعى أن يستنجوا كلابهم ليكون مدى صوتهم المعلم بالحيازة كراسم دائرة على المرعى تمتنع بها مواشى القبائل المجاورة من النزول فيه

(وفي زمنهم كان تدويخ بختنصر للعرب وقتلهم وذلك ان الملك استفحل أمره في الطبقة الاولى للعمالقة وفي الثانية للتبابعة وانتشروا باليمن والحجاز والعراق والشام وقتل أهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيبا عليه السلام فأوحى الله الى أرمياء وبرخيا أن ينقلا عدنان الى بلادهما وأن يأمر بختنصر بقتل ماعد عدنان من العرب ويعلماه ان الله سلطه عليهم فقبض على من ببلاده من تجار العرب وأنزلهم الحيرة ثم نظم ما بين أيلة والابلة خيلا ورجلا خرج بهم فانقاد اليه من العرب قبائل أنزلهم على شاطئ الفرات فبنوا الأنبار وسار الى الباقين وقد اجتمعوا للقائه بجزييتهم فهزمهم بذات عرق وقتلهم أجمعين ورجع الى بابل بالغنائم والسبايا فالحاها بالانبار ومات عدنان عقب ذلك وأخرج بختنصر من أسكنهم بالانبار الى الحيرة وبقيت بلاد العرب خرابا حقبام من الدهر حتى مات بختنصر فتراجعت العرب من الشواحق الى أماكنهم وخرج معتب بن عدنان وأنبياء بني اسرائيل ففجوا جميعا وأخذوا معه يسأل عن بقى من ولد

الحارث بن مضاض الجرهمي فقبل له بقي جرهم بن جلهمه فتزوج بنته وولدت له نزار ثم كثر نسل معه في ربيعة ومضر وايد وتدافعوا الى العراق والشام ثم كان لهم بالعراق والشام والحجاز دولة بعد التبابعة ودروس الاجيال السابقة فكانت الدولة في يد اليمانية ازمنة وآمادا وأحياء مضر وربيعة تبع لهم فكان الملك بالحيرة للخم في بني المنذر وبالشام لغسان في بني جفنة وبالمدينة لغسان في الاوس والخزرج ابني قبيلة وماسوى هؤلاء طعانون بالبادية في بعضهم رئاسة يدوية ترجع في الغالب الى أحد هؤلاء ثم نبضت عروق الملك في مضر وظهرت قريش على مكة وفواحي الحجاز ازمنة دانت فيها الدول لتعظيمهم ثم جاء صبح الاسلام واختص الله بالنبوة مضر فكانت فيهم الدول الاسلامية)

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في تهديد الفاتحين من آسيا للعرب بالتغلب عليهم من﴾

﴿سنة ٩٧٦ الى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد﴾

لتوسط سهول نجد والحجاز بين مصر وكادة كانت مطمح أنظار هاتين الياالتين المریدتين في آن واحد التسلطن على كل من تهرى القرات والنيل بل طمحت اليها أنظار الملوك النماردة أصحاب نينوى وبابل المتشوقين كل التشوف الى سعة ملكهم والاقتراب من سواحل البحر الابيض المتوسط فلم يبادر لصدهم الا العرب فقاوموهم أنجح مقاومة ومنعوهم التغلب على بني اسرائيل ولم يهجم عليهم بعد ذلك كبروش ملك الفرس لعله انهزام من قبله من الملوك بل صد عن حدود ممالكه من هدد من العرب بالانارة ثم سار ابنه قبيز للتغلب على مصر فعقد مع عرب الحجاز معاهدة واقتدى به من بعده فبقى العرب موفين بالعهد معافين من الجزية حتى انقرضت دولة الفرس من اذربيجان وأغار اسكندر ذو القرنين على مملكة دارا الثالث الملقب بقزمان فانتصرت العرب

لدارا بل رتب (بطيس Bétis) محافظ غزة دراهم لجمع حالفوا دارا ومنعوا جيوش اسكندر من دخول غزة ومنعها آخرون من الدخول الى مصر فسار بجيوشه الى بلاد كنعان ومر منها الى وادي مصر محاذيا لساحل البحر الابيض ثم رجع الى بابل وتفكر بعد وصوله الى خلف نهر السند فيما صنعه العرب معه ورآى أن فتحه بحيث جزيرة العرب يحقق له السلطنة بسائر الممالك الغربية من آسيا فبعث ضباط أساطيله لاستكشاف سواحل الخليج الفارسي والبحر الاحمر حين تجهيز قواد عسكريه الجيوش بمصر والشام ثم فجئه الموت وله أربع وثلاثون سنة تقريبا فنجت العرب منه ومن رؤساء عسكريه لاشتغالهم بعده بمصالحهم الخصوصية ثم وجه (انتيجون Antigone) و (ديميتريوس Démétrius) وكل من البطالسة والسجوقية والرومانين همهم الى دخول العرب تحت طاعتهم فجزوا ثم بايعهم الرومانيون

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ في الكلام على قبيلة النبط ﴾

هم من ولد ارم (خامس اولاد سام) أو شاميون أتوا من شواطئ دجلة والفرات فسكنوا مدينة أو بتره زمن بختنصر الثاني ولم يكن لهم ذكر زمن محاربة بني اسرائيل العرب بل كان مبدأ ظهورهم في ميدان الوقائع بعد غزوة اسكندر الاكبر حكموا بالقتل على من يزرع منهم قمحا أو يغرس شجرا مثرا أو يبنى بيتا محتجين بضيق الحرية بحفظ تلك الامتعة فسكنوا البراري مشغلين بما يرد لهم على سواحل البحر الاحمر من متاجر المر والبخور والعطر فينقلونه الى مينيات البحر الابيض المتوسطة وكانوا اذا دهمهم عدو أقوى منهم أدخلوه بسياسهم براريهم المنفردة ثم صعدوا صخرة عظيمة منيعة مشهورة وكانها التي شيدت عليها مدينة أو بتره فلا يزالون عليها حتى يكون لعدوهم من الجوع والعطش ما يحمله على طلب السلم وكانوا مهرة في فن تعبئة الجيش فلذا قاوموا جميع أعدائهم

(٤ خلاصة تاريخ العرب)

وقاسى الرومانيون في فتح اليمن أهوالاً شتى فقد سار إليها سنة أربع وعشرين قبل الميلاد (اليوس جالوس Ælius Gallus) بأمر القيصر (أغسطس Auguste) ومعه دايبل نبطي تاه به في القفار فعاد بعد نصرات قليلة قوبلت بأنعاب كثيرة أيست بها الرومانيون من فتح بحيث جزيرة العرب ثم غزاها (قسيوس Cassius) تحت قيادة (ماركورييل Marc-Aurèle) سنة ١٧٠ بعد الميلاد واينجح وكذا انهزمت جيوش القيصر (قومود Commode) ثم غزاها (مكرين Maerlin) سنة ٢١٧ بعد الميلاد وأخذها بعد سفك دماء كثيرين من رجاله فانضمت الاقطار الحجازية الى الدولة الرومانية وجعلت فلسطين الثالثة (١) واتخذت مدينة أوبترة ذات الابنية الفاخرة والملاعب والهياكل مركزاً تجارياً ثم آل أمر النبط الى السقوط بعد قليل حتى فقدت أسماءهم من الكتب التاريخية

✽ المبحث الخامس ✽

﴿ في أن قتال الرومانيين للبرطيين كان نافعا للعرب ﴾

كان الرومانيون متسلطين على البحر الاحمر مسافرين فيه عاجزين عن الاضرار بالعرب ناشين من البرطيين أن يسطوا على العرب فألهوهم بحرب انتهز العرب في زمنها الفرصة لتأسيس مملكة الحيرة أو الأثبار سنة ١٩٥ بعد الميلاد ومملكة غسان سنة ٢٩٢ بعد الميلاد وهما في الحدود الشمالية من بحيث جزيرة العرب

ولتوضيح حالة بحيث جزيرة العرب قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) أردنا أن نذكر كل انقلاب على حدثه من الانقلابات الاصلية التي طرأت في شمال بلاد العرب وجنوبها ووسطها فنقول

(١) قال المترجم أما فلسطين الاولى فعلى شواطئ نهر الاردن وقاعدتها سيتوبوليس وفلسطين الثانية على ساحل بحر سفيد المتوسط وقاعدتها قيسارية اه من قاموس بوليه

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ في الكلام على شمال بلاد العرب من ابتداء القرن الثالث ﴾

﴿ قبل الميلاد الى القرن السابع بعده الذي هو زمن ﴾

﴿ البعثة وعلى مملكة الحيرة والانبار والغسانيين ﴾

كانت البلاد المجاورة لبحر جزيرة العرب منذ وفاة الاسكندر الاكبر الى زمن الرومانيين والبرطيين خالية عن حكومة قاسرة فان المملكة السلجوقية نهكت بالفتن الداخلية فلم تستطع أن تمنع نشأة الممالك المستقلة في الاناضول ولا ان تنقذ ملوك اليهود من اتلافات العرب المتعودين اذ ذاك العدوان على ممالك اكبر الملوك وكانوا لا يتمكنون من الاغارة على المملكة السلجوقية من جهة الفرات لقرب مدينة هؤلاء السلجوقية وأخذوا يرتقبون كل سنة اشتغال جيوش السلجوقية بالحروب في البلاد القاصية فيسيرون من جهة الشام شاهرين السيوف ثم يعودون بالغنائم الجسيمة بلا انتقام ولا قصاص وما زالوا على ذلك حتى عدمت سلطنة السلجوقية فاجتهد الرومانيون والبرطيون في ازالة ذلك التعدي بتشديد القلاع والحصون بحدود البلاد وترتيب عساكر لملاحظة حركات هؤلاء بل استمال الرومانيون جمعا من مشايخ العرب بالعطايا وتلقيهم بأمراء العرب فكفوهم عدوان تلك القبائل

وانضم الى البرطيين من مشايخ العرب جمع منهم (اريامنس Ariamnes) الذي أظهر للقائد (كراسوس Crassus) الروماني انه محب ومنتصر لهم حتى حوّل ذلك القائد جيوشه من البلاد الجبلية التي يؤدّ التمتع بها الى سهول واسعة خالية عن الشجر والماء فحمل اذ ذاك البرطيون بخيلهم ورجلهم وظفروا بهذا القائد كل الظفر

وليس ذلك بأول وآخر دخول للعرب بين فريقين فقد فعلوا مثل ذلك فيما اتقد من الفشل في مدينة زومية التي بالمداخن مع بعد المسافة بينهما وانضموا الى المملكة الزباء المتسلطنة بعد زوجها أذينة زمن محاربتهما الرومانيين من سنة ٢٧٧

بعد الميلاد الى سنة ٢٧٢ وتعدوا على سكان آسيا الصغرى وتولى منهم فيليبش
القيصرية سنة ٢٤٣ بعد الميلاد لابسا ملابس القيصر الارجوانية (١) فنسى وطنه
ولم ينفعه بشئ وأتى اليهم (أوريليان Aurelien) بالجيوش الرومانية سنة ٢٧١ بعد
الميلاد فدمر مدينة تدمر وحل بالعرب من المصائب ما لم يقم لهم بعده جاه ولا سطوة
ومن أمراء العرب الذين ملكوا الجهة الشرقية من الشام وجزأ من جزيرة
دجلة والفرات الملوك الاذينية المعاصرون لاوائل ملوك الحيرة والانباء
وزعم بعض الفرنج أن آخرهم أذينة زوج الزباء الذي قتل سنة ٢٩٧
بعد الميلاد في معركة بينه وبين جذيمة بن الابرش أحد ملوك الحيرة التنوخيين
نخلفته الزباء في السلطنة وقتلت جذيمة الذي خلفه عمرو بن عدى أول العائلة
الملوكية اللخمية أو النصرية فبعث الى الزباء قصير بن سعد المعروف عند الفرنج
بزبير الثاني فهاجم عليها في قصرها فهت بالفرار وعبرت سردابا صنعتته تحت الحدود
الفرات فقتلها فولت الرومانيون سنة ٢٧٣ على عرب الشام تنوخية ثم
صالحية أزال حكمهم الغسانيون سنة ٢٩٢ بعد الميلاد
وكان الفرع الاصل من بني قضاة الذين هم ملوك الحيرة التنوخية متوطنا
بتهامة والبحرين ملكوا الحيرة وأناروا على العراق سنة ١٩٢ بعد الميلاد
ثم على بلاد الانبار وكان رئيسهم سنة ٢٢٨ جذيمة بن الابرش المعترف بتبعيته
لاردشير بن ساسان ملك الفرس خلفه في الملك كسابق عمرو بن عدى أول العائلة
الملوكية اللخمية أو النصرية التي امتد حكمها الى سنة ٦٠٥ بعد الميلاد الذي لم يساعد
عرب مدينة حضر المؤسسة بين دجلة والفرات بحجراء سنجار قاوم أهلها القيصريين
(تراجان Trajane) سنة ١١٦ (وسيور Sévère) سنة ٢٠١ والملوك الساسانية
سنة ٢٢١ بعد الميلاد وأخذها من ملوك الفرس سابور الاول سنة ٢٤٣ بعد الميلاد
وكان بين الفرس واليونان في حكم الفرات تنازع أدى الى انتقاد نار الحرب
بينهما كما كان بين البرطيين والرومانيين مع عناد شديد اغتم به ملوك الحيرة
اتساع مملكتهم بسواحل الفرات وكانوا لجيوش الفرس طلائع تغلبوا سنة

(١) الحراء نسبة الى الارجوان يضم فسكون وهو الحجر اه محجة

٢٧٢ بعد الميلاد على جزيرة دجلة والفرات وتوغلوا في التغلب حتى بلغوا مدينة انطاكية لكن تعذر عليهم ادارة الحكومة فيها فتحوه من البلاد فلزموا المقاتلة للتهب والسلب وكانوا مدبرين في الحروب يطمعون العدو بفرار يعود منه في الغالب الطفر بسبب رخاوة اليونان واستقلوا بحاربتهم حتى حولوا جميع خزائن الاناضول الى تخت ملوك الحيرة فساغ لهم أن ينافسوا بالزينة والزخرفة ملوك المدائن وقياصرة القسطنطينية الذين نعموا منهم هذه الغزوات حتى انتقموا من العرب سكان شمال بحيث الجزيرة المسمون عندهم بالشرقيين فقد قاتلوهم بعد الميلاد في سني ٢٨٩ و ٣٥٣ و ٣٦٣ التي أخذوا فيها الانبار و ٣٧٣ و ٤١١ وهزموا سنة ٤٢١ الملك المنذر الاول هزيمة سفكت فيها دماء كثيرة لمساعدته الملك بهرام جور في عوده الى الجلوس على سرير سلطنة الفرس وأغرقوا على ما قال المؤرخ سقراط مائة ألف من العرب في الفرات سنة ٤٤٨ لكن القيصر (انسطاس Anastase) انهزم سنة ٤٩٨ وجدد العداوة والحرب مع الفرس فشكادت جزيرة دجلة والفرات تذهب منه بأسرها سنة ٥٠٢ وشارك النعمان الثالث الفرس في محاربة الرومانيين وصدد عنهم من وسط بلاد العرب سنة ٥٠٣ القبائل التغلبية أو البكرية مع رئيسهم الحرث بن عمرو المقصور على ملك الحيرة المتظاهرة بنصرة ديانة مزدك المانوي الذي عزل المنذر الثالث من السلطنة سنة ٥١٨ ثم قتله كسرى بعد خمس سنين وأعاد المنذر الثالث الى سلطنته وسائر حقوقه الملوكية ونقل أن هذا المنذر مكث سلطانا من سنة ٥١٣ الى سنة ٥٤٢ بعد الميلاد نافذا لكلمة على العرب التابعين للفرس يشن الغارات من سائر الجهات على اليونان فلا يستطيعون رده قطهر رونق المملكة الحيرية حتى كان ذلك العصر أزهى أعصرها وما زالت كذلك حتى ملك النعمان الخامس من سنة ٥٨٣ الى سنة ٦٠٥ بعد الميلاد فكان آخر ملوك العائلة اللخمية وتولى سائر المملكة بعده الملوك الساسانية فلم يكتفوا بأخذ جزيرة منها ولا بعلامات تفيد تبعيتهم اليهم ونصرت القبيلة البكرية السابقة سنة ٦١٦ بعد الميلاد على الفرس في واقعة ذو قار فاستقلت بالبحرين وولى مملكة الحيرة من حينئذ عمال

من قبل ملوك الفرس وفي ذلك الزمن ظهر النبي (صلى الله عليه وسلم) بما جاء به من الجهاد وتأسيس الدين

وتد اعترف عرب العراق وجزيرة دجلة والفرات بحكم ملوك الحيرة والانبصار عليهم منذ سنة ٢٧٢ بعد الميلاد وانقاد عرب الشام في ذلك الزمن لملوك بني غسان وأما الازداليمنيون فرحلوا من اليمن ونزلوا سنة ثمان عشرة ومائة بعد الميلاد بيطن مر (١) قرب مكة ثم غزق شملهم بعد مائة سنة وسكنت عدة قبائل منهم قرب عين ماء تسمى بركة غسان فسموا الغسانية ثم توالى عليهم نصرات اتسع بها حكمهم فتوطنوا في برة وتقلد منهم ثعلبة الامارة على عرب تلك الجهة من قبل الرومانيين وخلفه في الحكم جفنة الاول أصل العائلة الغسانية التي آخرها جيلة السادس الذي امتد حكمه الى سنة ٤٣٧ ميلادية وأسلم في ذلك العصر ومن الغسانية ملك كان شهير تان (ماويه Mawia) التي نصرت زوجة القيصر (ولنس Valnes) بعد موته حين حاصرها في تحت ملكها قوم (الويزيغوثس Wisigoths) (ومارية Maria) الملقبة بذات القرطين لاهداها الى الكعبة حين تنصرت لثاوتين لا تعرف قيمتهما وكان الغسانيون في تلك المدة مساعدين لقيصر القسطنطينية على الفرس وبعد تنصرهم في نصف القرن الرابع محاربين لملوك الحيرة تلقب منهم الحرث الخامس الاعرج ابن أبي شمر بلقي البطريق والملك من طرف القيصر (يوستينان Justinien) وشهد سنة ٥٣١ واقعة القلينيقة التي انهزم فيها القائد (بليزير Bélisair) الروماني أمامه قواد يوستينان الثاني وكذا انهزم من المنذر الثالث سنة ٥٣٩ الا أنه عوض خسارته في سنين قلائل وغمرًا بعد ذلك بلاد العرب غزوة انتصر فيها على يهود خيبر وسافر الى القسطنطينية سنة ٥٤٢ ومات سنة ٥٧٢ وساعد الغسانيون أيضا القيصر (موريق Maurice) المتعاهد معهم من سنة ٥٨٤ الى سنة ٥٨٨ والقيصر هرقل المتعاهد معهم من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٤١ وقاتلوا في واقعة مؤتة سنة ٦٢٩ وانهزموا فيمن انهزم في واقعة اليرموك سنة ٦٣٤ وانقادوا للخلفاء

(١) هو المعروف بعمر الظهران على مرحلة من مكة اه صححه

الراشدين بعد ذلك بثلاث سنين

وكان شمال بلاد العرب منحصرا في ابتداء القرن السابع بعد الميلاد بين ممالك
الفرس واليونان المتغلبين على مصر وفلسطين وبحيث جزيرة طورسينا وبين
ملكيتين تدفع احدهما الجزية الى الرومانيين بالقسطنطينية والاخرى الى ملوك
المدائن وكان لهاتين المدينتين تغلب كلى على صحارى الشام والعراق وجزيرة دجلة
والفرات

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ في بلاد العرب الجنوبية من سنة ١٧٩ قبل الميلاد الى سنة ﴾

﴿ ٩٧ بعده وفي التبابعة وملوك الحبشة ﴾

بعد انقراض ملوك سبأ المؤسسين لمدينة مأرب وظفار وعدن ونجران وغيرها
أحدثت الجيرية من بنى قحطان التابعون لسلطنة الملوك التبعية عمارات كثيرة في
جنوب بلاد العرب وأولهم الحرث الرأش المتسلطن سنة ١٧٩ قبل الميلاد
على ما يظهر وأما ما زعمه بعض متأخرى الفرنج أن هذه العمارات لم تحدث الا
بعد سنة ٧٩٤ قبل الميلاد فتوهم لا يسعنا الحكم بحته وقد تغلب هذا الملك
على حضرموت ومهرة وعمان زيادة على اليمن وبقيت سلطنة التبابعة حتى
تغلب عليهم ملوك الحبشة سنة ٥٢٥ بعد الميلاد

ونقل ان الخط القديم الجيرى المسمى مسندا كان يتركب من حروف متقطعة
ولا مانع أن يعتبر ما استكشفه بعض الفرنج من العتوانات القديمة نموذجاً
لذلك الخط

وكان التبابعة ذوى شوكة مكيئة وأرضهم خصبة مع طيب الهواء وكثرة الماء
واشتغال الرعيمة بالفلاحة والتجارة فيما ينقل من بلادهم من البهار والعطر
والبحور وحسن طرقهم في توزيع مياه الرى المستمدة من سد مأرب وهو
جسر جسيم بين جبلين تجتمع اليه الامطار المنحصرة بينهما حتى يتكوّن ما يكفى
رى زراعتهم فيصرفوه من منافذ ذلك الجسر على حسب احتياج زراعتهم ثم

غلبت المياه الجسر سنة ١٢٠ بعد الميلاد فانلقته وأغرقت مزارعهم ولم يصلحوا الجسر فبقيت بلادهم معرضة كل سنة للغرق بتلك المياه الدورية فرحل أغلبهم عن اليمن فأسس بعضهم مملكة الحيرة وبعض آخر مملكة غسان وصرفت التبابعة همهم في ادخال ماخرج عن بحيث جزيرة العرب في ملكهم فجزوا واخافوا على حدود مملكتهم حتى انقض ملكهم سنة ٥٢٥ بعد الميلاد التي أغار فيها ملوك الحبشة والفرس على اليمن فنزلوه بلا صعوبة ووجدوه خاليا عن الحكم والثروة الاصلية لارتحال الزارعين بعدان كان للملوك أعصر معروفة بالفخار والعز حتى غالى مؤرخو العرب وجعلوهم نموذجاً للدول العظيمة حيث ادعوا أن أحدهم سلك مسلك اسكندر ذي القرنين وفتح مثل فتوحاته وان افريقس المنتصر سنة خمسين قبل الميلاد العيسوى على البربر الذين هم أصل المغاربة سار الى غرب أفريقية حتى بلغ سواحل الاقيانوس الاطلسيقي وان منهم شمرا المؤسس لسمرقند وغير ذلك من الترهات الناشئة عن توالى نصرات العرب زمن البعثة المحمدية الذي هو عصر عظمتهم وشوكتهم فان ذلك بعثهم على دعواهم ان آباءهم الاول كانوا ملوكا فاتحين متسعي الممالك اعلاء لنسبهم الاصلى وحفظت تلك الدعوى ببلادهم ونقلها المؤرخون مع ان آباءهم ربما لم يخرجوا عن بحيث جزيرة العرب ولم يوقعوا الاسسلة حروب وسطوات على العرب الاخرى داخل بلادهم وقد نسبت اليهم معوادم أخرى بعيدة عن الصواب غير مطابقة للعوادم التاريخية التي بين قطع سد مأرب وَاغارة ملوك الحبشة على اليمن وأعظمها ما قيل من أن التبع أبأكرب غزا الفرس سنة ٣٠٤ بعد الميلاد فغلبهم ورجع بوافر السلب والغنائم ثم استولى على الحجاز وحاصر المدينة ثم حج الكعبة ودخل في دين اليهودية ونقل الدين به الى اليمن وأغلبه وثنية ثم بعث الامبراطور قسطنطين سنة ٣٢٤ بعد الميلاد (تيوفيل *héophilTe*) ليدعو أهل اليمن الى دين النصرانية ويهود أو ثواس المتسلطن على الحيرة آخر القرن الخامس ودعا الى دين اليهودية نصارى نازلين

نارلين بنجران سنة ٥٢٤ بعد الميلاد فأبوا فأمر بقتلهم ووصل هذا الخبر الى العاهل (١) (جوستين Justiu) الاول فأمر النجاشي صاحب الحبشة المتدين بدين النصرانية بالانتقام من أبي نواس فبعث القائد (أرياط Aryat) بسبعين ألف مقاتل فدخل اليمن بلا مشقة وانهزم أبو نواس فألقى نفسه في البحر سنة ٥٢٥ بعد الميلاد ومات خليفته (علس ذوجدن) (٢) فتولى أرياط اليمن نيابة عن النجاشي ونفذت كلمته فغار منه الضابط المسمى أبرهة الاشرم فقتله غدرا وتولى بدله نيابة عن النجاشي بعد أن جعل سائر الحبشة تحت قيادته وحارب عدة حروب كان له فيها الظفر وكتب بأمره (غريجنطيوس Gregentius) أسقف مدينة ظفار قوانين نسخها الاصلية المدونة باليونانية محفوظة بكتبخانة ويانة

وبنى أبرهة بصنعاء كنيسة في غاية الزخرفة ليصرف العرب الى جها بدل الكعبة المشرفة التي سار بعد الى هدمها فدخل ومات عقب هزيمته وخلفته أولاده فعصفوا وجأروا وعجز اليمنيون عن كفهم فاستغاثوا بقيصر القسطنطينية فأبى حيث كانوا وثنية وهو نصراني واستغاث ملك الحيرة بكسرى أبرويز فتوقف ثم أجابه وبعث سنة ٥٧٥ بعد الميلاد اسطولا هزم الحبشة وأجلاهم من اليمن سنة ٥٩٧ بعد الميلاد فانقاد اليمنيون للفرس كما كانوا منقادين للحبشة غير ان الفرس لم يجبروهم على أعمال دينية ثم تغلبوا على حضرموت وعمان والبحرين

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في الكلام على وسط بلاد العرب من سنة ٢٠٩ الى سنة ٢٢٠﴾

﴿٢٢٠ بعد الميلاد وعلى مكة والمدينة وشوكة قريش﴾

كانت بلاد العرب في القرن السابع من الميلاد في أخطار عظيمة من الامبراطور اليوناني وملك الفرس المتمكنين بحدودها فان كلا منهما أخذ اقليما

(١) الملك الاعظم اه

(٢) في القاموس وذوجدن علس (بالتحريك) بن يشرح بن الحرث بن صيفي بن سبا جديلقيس وهو أول من غنى باليمن اه

(٥ خلاصة تاريخ العرب)

ألحقه بملكته فالتجأت الأمة العربية الى نجد والجزاز السالمين من تغلب
الاجانب عليهما لتظهر بعد على البلاد الاخرى مع خلو هذين الاقليمين عن دولة
منتظمة كدولة التبابعة بل هما في ذلك الوقت وما قبله في قبضة قبائل متحدة
الاخلاق والعوائد تخاطر باتلاف أموالها وأنفسها حفظا لحريةها فبقى منظر
وتاريخ هؤلاء الاقوام الكثيرون مدة قرون كنظر وتاريخ جماعات قليلة متحدة
الكلمة لما بينهم من الترتيب السياسى المؤدى الى اتحادهم على غيرهم وان
كان بعضهم منفصلا عن بعض بما يقع بينهم من المنافسات والمشاجرات
المقرونة بسفك الدماء وكانوا متساوين تقريبا فى الاموال لتمائلهم فى وسائلها
الحربية ومن استغنى منهم بالتجارات الجأته العلائق والمخاطبات الى أمور عادوا
بها غيرهم فى الغنى
وأعظم تلك القبائل رتبة ذوو السطوة فى أعظم مدائن الجزاز وهما المدينة
ومكة

وكان المهاجر الى الجزاز عدة عشائر من بنى قحطان اليمنيين فنزلت جرهم ببطحاء
مكة وعاهدوا اسمعيل (عليه السلام) ثم غلبوا ولده فاخذوا منه سدة الكعبة زمنا
طويلا حتى طردوا عن بطحاء مكة سنة ٢٠٤ بعد الميلاد لعبادتهم الاوثان المخالفة
لما لولدا اسمعيل من عبادة الاله التى اهدى اليها الخليل (عليه السلام) ونزلت
قضاة فى شمال المدينة ونزل الازد فى منزلة بطن من التى أسسوها سنة ١٨٠
بعد الميلاد ثم نزلوا البحرين والعراق وخلفت خزاعة التى هى فرع من الازد
بنى جرهم فى سدة الكعبة سنة ٢٠٧ بعد الميلاد فاحدثوا بمكة أوهاما باطلة
منها عبادة هبل أحد ٣٠٤ صنما داخل الكعبة حتى ارتحلوا ونزلوا فى منزلة
بطن من حين ظهرت قريش وتولى الحكم رئيسهم قصى سنة ٤٤٠ بعد الميلاد
بجمع القبائل القرشية تحت يده وجعل الحكومة فى أيدي جمهور من العرب
وقسم الوظائف المتعلقة بسدة الكعبة بين فروع العائلة القرشية وخص هاشما
بالرفادة والسقاية اللتين هما أكبر تلك الوظائف واشهر يتوزعه على العرب كل
يوم الدشيشة المعروفة بالشربة واتسعت مكة فى زمنه ثم خلفه المطلب ثم عبد المطلب
بجد النبي (صلى الله عليه وسلم)

ونقل أن العمالة بنو المدينة فكانت فى حيازتهم ثم فى حيازة أقوام من اليهود منهم بنو
النضير

المنضير وبنو قريظة وبنو قينقاع ثم نزلها قبيلتان من الازد سنة ثلثمائة وأخذها سنة ٩٢٤ بعد الميلاد وقاوما تبابعة اليمن حين هجموا عليهما ثم تفاشلا وضعفا بحروب داخلية في سني ٤٩٧ و ٥٢٠ و ٥٨٣ و ٦١٥ بعد الميلاد ثم تحابا بعد ذلك بخمس سنين وبايعا النبي (صلى الله عليه وسلم)

وكانت قبائل اليهود بالمدينة مشغلة بالتجارة مع الجدد والاهتمام حتى كانت المدينة منافسة في ذلك العصر لمكة التي حجت اليها العرب واحترمتها لاختصاصها بالبيت المقدس حتى بنى أبرهة الاشرم بصنعاء الكنيسة السابقة وأطاع تبالة (١) والطائف وأغار على الجازار لهدم الكعبة بأربعين ألف مقاتل فدخلوا فتوغل القرشيون حجة مكة اذ ذاك في الاوهام الفاسدة ونسبوا نجاة مكة من ابرهة الى الاصنام التي يعبدونها فازداد احترامهم مكة وصارت اذذاك تحت الحقيقى للبلاد العربية الا أن الاحكام السياسية لقريش لم تسرحينئذ الى عرب نجد والجازار الحاكين أنفسهم بلا اهتمام بالمصالح الوطنية العامة مع علمهم بما وقع من القرشيين للنبطيين والحيريين من الاساءة التي لم يروا طريقا للنجاة منها سوى اتحادهم التام

﴿ المبحث التاسع ﴾

﴿ في ميل العرب الى الوحدة السياسية وفي اجتماعهم ﴾

﴿ بسوق عكاظ ومنازلاتهم بالقصائد الشعرية ﴾

كان بين الاسماعيلية والقحطانية تنافس المعاصرة المؤدى الى اختلاف الكلمة ثم مالوا الى الوحدة السياسية لتوفر أسبابها من اغارة الحبشة عليهم بمكة واتحادهم في الاخلاق والعوائد فان سائرهم تمسك باوهام العبادة الوثنية والعوائد الجاهلية كعامله النساء معاملة الرقيق وواد البنات مع التكبر الوحشى وحب الانتقام والمقاصاة واجازة النهب بعد الانتصار واقامة القوة مقام الحق وقرى المضيف مع حرمان النفس تشوفا الى السمعة بين القبائل وحب شرف النفس الموجب

(١) في القاموس وتبالة بلد باليمن خصبة استعمل عليها الحجاج فأثاها فاستعقرها فلم يدخلها فقبل أهون من تبالة على الحجاج اه

البسالة والحماسة والمحاماة عن المظلوم وتقديم الوفاء بالوعد على الحياة ويزيد على ذلك شهواتهم النفسية فانها أكبر تلك الخصال غلبة ونظهورا ومن ذلك يعلم انه متى اتجهت عقولهم الهائجة المخاطرة الى شئ وثبوا اليه وثبة واحدة وذلك يوجب الوحدة في اللغة المتيسر بعضها بواسطة اختلاط القبائل

ورأوا الاشعار وسيلة لانتشار نفارهم في بحيث جزيرة العرب وسبيلا لوصول أعمالهم العجيبة وما أثرهم الى ذرارهم فأحبوها وعكفوا عليها لكن كلام مؤلفي نجد والمجاز لم يفهمه مؤلفو اليمن بل لم تتفق قبائل بلد واحد على لغة واحدة الا أن شعراء العرب الموكول اليهم اختراع لغة أعم من تلك اللغات رويت أشعارهم في كل جهة فتعينت الالفاظ المعدة للدلالة على الافكار والتصورات فان العشائر المستعملة للعبارة المختلفة للدلالة على فكرة واحدة متى سمعت قول الشاعر اختارته في ذلك الموضوع وفهمت مع ذلك فوائد التمدن فلذا قابلت الامة العربية هذه الابتكارات العقلية بالاعتبار وانشؤا في عكاظ والمجنة وذى المجاز للفاخرة بالشعر مجالس حافلة خالصة من التحكم على النفوس يقوم أمامها شجاع يمشى مشية المتكبر والابصار شاخصة اليه حتى يقف على مرتفع من الارض فينشد مع انصاتهم قصيدة بصوت رنان يستعين فيها بروية حافظته الواسعة الاقتراح فتارة ينشد أعماله العظيمة وقائمه الجسيمة وشرف قبيلته وطورا يصف لذائذ الانتقام وتارة لطائف اكرام الضيف وطورا الشجاعة وفي كل لا يغفل عن مدح شرف النفس والعرض وقد يقتصر على وصف الجائب المشاهدة والعزلة عن الناس في الصحارى وخفة عدو الظباء والسامعون في كل ذلك ناظرون الى فمه مستحسنون جميع الاخلاق التي يؤد أن يوزعهم اياها مرتما على وجوههم مايقع بنفوسهم من تعظيم الشجاع واحتقار الجبان عند التزال حتى اذا أتم قوله أظهر ما عندهم من الاستحسان أو الاستقباح فاذا شهدوا له عاد الى قول أبعد مما أيداه بحماس جديد

ولا اعتماد أخبار الشعراء وسداد رأيهم كانوا المدونين لتاريخ بلادهم قبل البعثة والرافعين أو الحافضين شأن القبائل المختلفة كما يستصوبون ولذا كانوا مهابين

محترمين عند الجميع وكان المقبول من قصائد هم يكتب بالذهب على نفيس القماش ثم يعلق على الكعبة ليحفظ حتى تطلع عليه الذرية فوصل اليها المعلقة السبع لأمريئ القيس المتوفى سنة ٥٤٠ بعد الميلاد والحرث بن حلزة المولود في هذه السنة وطرفة المتوفى سنة ٥٤٤ وعنترة بن شداد المتوفى سنة ٥١٥ الذي فاق غيره في اتقان جميع أنواع الشعر الجاهلي وعمر والمتوفى سنة ٥٢٢ التي كانت فيها الهجرة وزهير المتوفى سنة ٥٢٧ بعد الهجرة بنحو خمس سنين وليبد المتوفى سنة ٥٦٢ التي هي عام ثلاث وأربعين من الهجرة

وكانت العرب تجتمع كل ليلة بخيامهم ليسمعوا هذه المعلقة الجامعة بين محاسن الترم وحلاوة التوقيع بلا تكلف مع اشتغالها على السجيا العربية المثيرة للحماسة

وكان هؤلاء الشعراء السبعة وآخرون كالمرقشين والنابغة الذبياني ودريد بن الصمة وحاتم والاعشى يشيرون في أشعارهم إلى قانع القبائل الساكنة وسط بلاد العرب وأولها واقعة البيضاء سنة ٥٣٥ بعد الميلاد التي منعت غارات ملوك اليمن ثم فتوحات ملوك كندة الأوائل وفتوحات الحرث ملك الحيرة سنة ٥١٨ ثم نصرات سلان سنة ٤٨١ ونصرات خزاز (١) سنة ٤٩٢ التي فاز بها ربيعة وابنه كليب على العرب الحيرية وحرب البسوس بين آل بكر وتغلب الممتدة من سنة ٤٩٤ إلى سنة ٥٣٤ ونصرات زهير أمير غطفان على هوازن سنة ٥٤٧ وحرب داحس الممتدة من سنة ٥٤٨ إلى سنة ٦٠٨ بعد الميلاد بين عبس وذبيان اللتين هما أعظم قبائل غطفان وحرب بني تميم وبني عامر سنة ٥٧٩ والقتال المشهور معركة الرقم والنبعة واللوى وسلي وحوراء الممتدة من سنة ٦٠٩ إلى سنة ٦١٥ بعد الميلاد بين بني عبس وبني ذبيان مع هوازن وبعض قبائل من نسل خضفة وحرب بني تميم وبني بكر المنتهية سنة ٦٣٠ بعد الميلاد التي أسلم فيها هاتان القبيلتان

ومن عادة عرب البادية التي وجدت باشعار العرب أن يعقدوا بعد مقاتلاتهم منازلات للفخار والتظاهر بالكرم يسمونها المنافرة كما وقع لعقمة

وعامر بن الطفيل من بنى عامر سنة ٢٠٠ هـ فانهما كانا شاعرين شجاعين يزعم كل منهما استحقاقه المشيخة فحكما في تنازعهما شيئا على غير عشرينيهما فأجل الحكم الى سنة أظهرها فيها شجاعتهما وقضائيهما ثم حكم ذلك الشيخ في مجمع حافل على العادة باستحقاق كل منهما الرياسة على العشيرة فاشتركا في الحكم واتحدا كل الاتحاد ومن ذلك ما كان في بنى طي من التنافس بين حاتم وزيد الخليل المضروب بكر مهما المثل في ابتداء القرن السابع من الميلاد في سائر بحيث جزيرة العرب

﴿المبحث العاشر﴾

﴿في الحركة الدينية التي ظهرت في بحيث جزيرة العرب﴾

كانت آلهة اليونان والرومان موجودات معنوية مصورة بصور جسمانية وآلهة العرب كقدمات المصريين بهائم ونباتات وغزلانا وخيلا وجمالا ونخلا وأعشابا وأجساما معدنية غير منتظمة الاعضاء ونحورا وأجارا وأصناما كهبل واللات والعزى ونجونا كالدبران والشعري اليمانية وسهيل وما زال العرب على ذلك حتى نبغت فيهم الشعراء فبينما هم يعودونهم على الاتحاد في استعمال اللغة العربية إذ أشرفت بعقولهم تفكرات دينية ترك بها بعضهم عبادة الاوثان فتجدد ببلاد العرب عدة أديان غير عبادة الاوثان واشتهر بها دين اليهودية فان السريانيين واليونان طردوا اليهود من بلادهم فقابلهم بنو اسمعيل بالترحيب وتهود منهم كثير لما رأوه في كتب اليهود القديمة من التعظيم للاله الذي اهتدى الخليل (عليه السلام) الى عبادته (سبحانه) وانتشر هذا الدين بالجهات لاسيما الحجاز ونواحي خيبر والمدينة بين قبائل قريظة والنضير ذوات الشوكة المتأصلة هناك من زمن هديد كما اشتهر بجزء عظيم من قبائل اليمن بعد أن نقله التبابعة الى ممالكهم في سنى ٢٢٥ و ٣٠١ و ٤٩٥ بعد الميلاد واشتهر في ذلك العصر دين البراهمة في سكان عمان وتمسك بدين النصرانية بنو غسان من سنة ٣٠٠ هـ بعد الميلاد وعدة

قبائل

قبائل من عرب العراق والبحرين وصحراء فاران ودومة الجندل وجزيرة دجلة والفرات وتعاون النجاشي وقبصر القسطنطينية على نشره فانتشر وتليت أُناسه في اليمن وتسلط به عدة من ملوك الحيرة وساعدوا على انتشاره في سنة ٥١٣ و ٥٨٢ بعد الميلاد ثم جاء ابرهة وفعل ما سلف ومع ذلك كان الغالب في العرب عبادة الاوثان الا أنهم كانوا يعبدونها لالاثنائها الاله الفرد بل لتقربهم الى الله زلفى وكانوا يعتقدون الجن والغيلان والسحر والكهانة والقربان لالهة وهوانف الاصنام وكانوا يقرعون بسهام لاسن لها تسمى القداح أو الازلام ومع تفرق أهوائهم اتفقوا جميعا على اعلاء قدر الكعبة على سائر هياكل عباداتهم وأوها هدية من الله اليهم اعلاما بفضلهم وضعوا فيها الثلاثمائة والستين صنما فصارت عندهم بمنزلة (البنتيون Panthéon) عند قدماء اليونان وأظهرت الصابئة واليهود وسائر العرب تعظيمها وبذلوا جهدهم في زخرفتها بل رغبوا فوقانها سائر مباني الدنيا ولذا كانت روايات شرفها أحب الاحاديث عندهم وعلقوا عليها المعلقات السبع رغبة في أن يعلق عليها سائر أنواع الشهرة

وكان لقريش سدة الكعبة ضرب من التحكم الديني اعترف به سائر العرب ولذا كان لهم الحق في تعيين الاشهر الحرم التي يتنع فيها القتال بين جميع قبائل العرب وبلق امامهم السلاح من يحضر سوق عكاظ قبل الدخول للجلوس لسلا يقع بينهم سفك الدماء

وكان عبد المطلب بن هاشم المولود سنة ٩٧ هـ بعد الميلاد عارضا للحكومة العظمى في مكة من سنة ٥٢٠ الى سنة ٥٧٩ خلاص وطنه من غارة الحبشة وأقرع بين أولاده حين بلغ عددهم ١٨ سنة ٥٦٩ لذبج أحدهم قربانا لاصنام الكعبة وفاء بنذره فوقع القرعة على عبد الله أحبه اليه وعمره اذذاك خمسة وعشرون سنة تقريبا فهم بذبحه فانكسر عليه قريش وأجبعوا على مشاورة كاهنة تعرف بالعرافة فأخبرت أن يفقدى بعشر جال دية النفس بعد عمل قرعة أخرى فكتب على سهم عدد عشر وعلى آخر اسم عبد الله واقرعوا

فوقعت القرعة على عبد الله فزادوا عشرا في عدد الجمال ولم يزالوا يقرعون ويزيدون كل مرة عشرا حتى بلغوا تسع مرات وقعت فيها القرعة على عبد الله ثم وقعت على الجمال في العاشرة فذبحوا مائة جل فدية فاعتبر هذا العدد من ذلك الوقت مقدارا للدية بين قريش وتزوج عبد الله بعد نجاته بقليل السيدة آمنة بنت وهب شيخ بني زهرة فانت منه بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في ثاني عشر ربيع الأول الموافق اغسطس سنة ٥٧٠ بعد الميلاد .

﴿ المقالة الثانية ﴾

﴿ في الكلام على النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وفيها ثلاثة أبواب ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ في حالة بلاد العرب آخر القرن السادس من الميلاد وفيه مبحثان ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في المجددين الاول لامور العرب ﴾

كان تنافس المعاصرة بين عشائر العرب في بحيت الجزيرة حتى هجم عليهم اليونان من الشمال والفرس من المشرق والحبشة من الجنوب فاتحدوا وصاروا أمة واحدة وأخذوا يضعفون قوى أعدائهم بأغراء بعضهم على بعض فأغروا الفرس المالكين للدائن واليمن والبلاد التي بشواطئ الخليج الفارسي على صد الحبشة المحالفة لليونان المتغلبين على أرض الحجاز ثم ساعدتهم حسن حظهم على بلوغ أربهم فصدوا أبرهة وسعى عبد المطلب في ربط العلائق بين القبائل المستقلة بحكمها وبين أهل مكة وذهب الى صنعاء ليهنئ الملك الحميري الذي أعاده جيش الفرس الى الجلاوس على سرير الملك نيابة عن بني قريش وكان العرب اذذاك متحايين مكتمسين الوحدة اللغوية دون الوحدة الدينية الا أن عقائدهم القديمة اضمحلت وكره بعضهم عبادة الاوثان والتزوج بزوجات الآباء وواد البنات وأشرف على الزوال غير ذلك من الاوهام الفاسدة ولم يميلوا الى النصرانية لانقيادهم

لأتقيادهم إلى أنفسهم فيما أمرهم به من الشهوات الجسمانية مع تأسيس آداب الانجيل على عصيانها وقد تحصل كل من ورقة بن نوفل وعثمان بن حريث وعبيد وزيد بن عمرو وغيرهم على معلومات استفادوها من مخالطات اليهود والنصارى فاجتهدوا في إبطال دين الجاهلية ودعوا إلى التمسك بشريعة الخليل وادعوا أنهم مجتهدون للدين فجزوا فاجتهدوا أن رسولاً سيظهر وينصر على الشيطان وحزبه

﴿ المبحث الثاني ﴾

﴿ في انحطاط الدول المجاورة للعرب في ذلك العصر ﴾

بينما العرب على التآلب والميل إلى الاختلاط العام إذ حدث بين كسرى وهرقل حرب عظم أمرها في ابتداء القرن السابع أخذ فيها كسرى جزيرة دجلة والفرات والشام وفلسطين ومصر ثم أخذها هرقل ملك القسطنطينية وانقضت الحرب بصلح بينهما بعد ذهاب شوكتي الدولتين وتهدم القلاع والحصون وتضعضع حال الرعايا بالافراط في الخراج وغيره وتمادى بهم العجز حتى نبغ دين الاسلام وكتب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى كسرى من محمد بن عبد الله نبي الله إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس وكسرى إذ ذاك دهش بفخامة سلطنته وجلالة قدره يرى نفسه ملك الملوك مع غلبة هرقل إياه يصدر باسمه في سائر الكتابات إليه ومنه إعلاناً بشرفه على ما اعتاده المشرقيون ولذا كره قراءة كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ومزقه وداسه برجليه حين رأى تأخر اسمه وما زال في ملكه متعجباً من سرعة تقدم الدعوة الإسلامية حتى ذهبت دولته عن قرب

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من سنة ٥٧٠ إلى سنة ٦٣٣ ﴾

﴿ ٦٣٣ ميلادية وفيه ثلاثة عشر مبعثاً ﴾

(٦ خلاصة تاريخ العرب)

﴿المبحث الاول﴾

﴿ في مولده وبداية أمره ﴾

توفي والده عبد الله قبل مولده (صلى الله عليه وسلم) بشهرين تاركا خسا من الجمال وبركة الحبشية المكنية بأمن أين ثم توفيت أمه آمنة وعمره ست سنين وكفله جده عبد المطلب قائلا ليكون لابني هذا شأن حين ولد محتونا مسرورا مات سنة ٥٧٩ فكفله عمه أبو طالب ثم خرج به حين بلغ ثلاث عشرة سنة في تجارة له الى الشام حتى بلغ بصرى فلقبته الراهب بحيرى فقال ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فسيكون له شأن عظيم فرجع به الى مكة حين فرغ من تجارته وأحضره معه وله أربع عشرة سنة حرب الفجار بعكاظ بين قريش وكثانة وبين هوازن

وشب صلى الله عليه وسلم حتى بلغ فكان أعظم الناس مروءة وحلما وأمانة وأحسنهم جوابا وأصدقهم حديثا وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين وبلغت أمانته وأخلاقه المرضية خديجة بنت خويلد القرشية وكانت ذات مال تاجرة كسائر قريش فعرضت عليه خروجه الى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة فخرج ورجع كثيرا وعاد الى مكة وأخبرها ميسرة بكراماته فعرضت نفسها عليه وهى أيمها أربعون سنة فاصدقها عشرين بكرة وتزوجها وله خمس وعشرون سنة فبقيت معه حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وكان قومها تجارا ذوى رفعة وشأن

﴿المبحث الثانى﴾

﴿ في خلقه صلى الله عليه وسلم ومقاصده ﴾

كان صلى الله عليه وسلم أميا أرحم الناس عقلا وأفضلهم رأيا دائم البشر مطيع الصمت لين الجانب سهل الخلق يكثر الذكر ويقل اللغو يستوى عنده فى الحق القريب والبعيد والقوى والضعيف يحب المساكين لا يحقر فقيرا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويصابر من جالسه أو تهاومه

قاومه أو صاخفه ولا يجيد عنه حتى يكون الرجل هو المنصرف يتفقد أصحابه
يجلس على الأرض ويخسف النعل ويرقع الثوب وضع الحجر الأسود في موضعه
بيده الشريفة حين هدم قريش الكعبة سنة ١٠٥ هـ لقصر بنائها وبنوها
حتى بلغوا موضع الحجر واختصموا فيه فحكموا أول داخل من باب الحرم فكان
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أول داخل فحكموه فأمر أن يضعوا الحجر
في ثوب تمسك كل قبيلة بطرف منه ورفعوه حتى بلغ موضعه فوضعه في موضعه
وعمره ٣٥ سنة

وكان عمه أبو طالب كثير العيال وأصابته قريشا أزمة شديدة فقال (صلى الله عليه
وسلم) لعمه العباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا لنأخذ من بني
ما يخفف به عنه فأتيا أبا طالب فقال اترك ألى عقيلًا واصنع ما شئتما فانخذ
العباس جعفرًا والنبي صلى الله عليه وسلم عليًا سنة ١٠٦ هـ فقام بتربيته
واشتري زيدا مولاه وأعتقه ناهز الأربعين وليس له ما يشهره عند العرب
سوى تأليفه من أشرف قريش حزبا يسمى حزب الفضول لدرء المظالم

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في مبعثه صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة سنة ١١ هـ ميلادية﴾
حبب اليه (صلى الله عليه وسلم) الخلاء فاخذ يخلو شهرا من كل سنة بغار حراء حتى نزل
عليه الوحي وبعث حين بلغ الأربعين وكان من أمره ما في حديث بدء الوحي
ودعا الى الاسلام فأسلمت خديجة فعلى فزيد مولاه فأبو بكر الذي دعا
عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام
وطهارة بن عبد الرحمن وأتى بهم الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأسلموا
ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وعبيدة بن الحرث وسعيد بن
زيد بن عمرو وابن نفيل بن عبد العزى وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر
وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاسلام سرا ثلاث سنين ثم أمر باظهار
الدعوة ونزل وأنذر عشيرتك الاقربين فقال لعلى بن أبي طالب اصنع طعاما

واجتمع بنى طالب لأبلغهم ما أمرت به فحضر أربعون أو واحد وأربعون فيهم أبو طالب وحزرة والعباس وكذا أبو لهب الذى ابتدر بعد الاكل بقوله أشد ما محرركم صاحبكم فتفرق القوم وصنع على " فى الغد طعاما جمعهم عليه ثانيا وأكلوا فقال (صلى الله عليه وسلم) ما أعلم انسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله ان أدعوكم اليه فأياكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصى وخليفتى فيكم فأجتم القوم جميعا قال على " فقلت وانى لأحدثهم سنا وأرمضهم عينا وأعظمهم بطنا وأحشهم ساقا أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليهم فاخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برقبة على " قائلا ان هذا أخى ووصى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابی طالب مستهزئين قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ثم عاب (صلى الله عليه وسلم) آلهتهم ونسبهم الى الكفر والضلال فعادوه الامن عصم بالاسلام وقالوا لابی طالب ان ابن أخيك قد عاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل أبناءنا فانه عنا أو خيل بيننا وبينه فردعهم ردا حسنا حتى عظم عليهم أمر النبى فأتوه ثانيا قائلين ان لم تنه نازلناك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين وأخبر أبو طالب بذلك النبى فظن أن عمه خاذله وقال والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ما تركت هذا الامر وولى فقال عمه أقبل يا ابن أخى وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا فاخذت كل قبيلة تعذب من أسلم منها وحفظ الله رسوله بعه أبى طالب

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى أذى قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وتزوجه ﴾

أخذ قريش يعذبون من أسلم بكان أعذوه لذلك ويسمعون النبى (صلى الله عليه وسلم) إلسب والوعيد عند طوافه بالبيت ويعاقبون من أصغى لقوله أشد العقاب ويقولون ان جابرا النصرانى بمكة عليه آيات من القرآن فنزلت آية ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يغله بشر لسان الذى يلحدون اليه أجمعى وهذا

لسان عربي مبين واشتد الاذى فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ليس له عشرة تحميمه بالهجرة الى الحبشة فتتابعت جموع مجموعها ثلاثة وعشرون رجلا وعشاني عشرة امرأة سوى الصغار فبعث قريش عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص بهدية الى النجاشي ليمنحهم ما من المهاجرين فأبى فقال له ابن العاص سلهم عما يقولون في عيسى فسألهم فقالوا ما في القرآن من أنه كلمة الله ألقاها الى مريم العذراء فلم ينكر النجاشي ذلك وأبقاهم في جواره آمنين وأعادهم بالهدية فعملت قريش أن الاسلام أخذ في الازدياد فتعاهدت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يئسوا كهم ولا يبايعوهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بالكعبة وأسلم حزة عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وشجع بالقوس أبابكهل لشمه النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم أسلم عمر فارناعت قريش وعزبه الاسلام بعد أن كان شديد العداوة للنبي (صلى الله عليه وسلم) وقدم من مهاجري الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا بلغهم خبر ايمان أهل مكة وعلموا كذبه حين قربوا فدخلوا مستقفين وما زال أبو طالب يدافع عن رسول الله حتى مات في شوال سنة عشر من النبوة ثم توفيت السيدة خديجة هذه السنة فتتابعت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عوتهما الشدائد ونالت منه قريش خصوصا أبو لهب والحكم بن العاص وعقبة ابن أبي معيط فانهم كانوا جيرانه يؤذونه بالقاء القاذورات عليه وقت صلاته وطعامه وسافر الى ثقيف بالطائف ودعاهم الى الاسلام فأبوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيرون به حتى ألجؤه الى حائط وعادوا فقال (صلى الله عليه وسلم) اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربّي على من تكافى ان لم تكن على غضباننا فلا أبالي ثم قدم الى مكة وقومه على أشد مما كانوا عليه من الخلاف وتزوج (صلى الله عليه وسلم) قبل الهجرة بعد وفاة السيدة خديجة السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ودخل بها بعند الهجرة بثمانية أشهر ولها تسع سنين وكانت نساؤه خمس عشرة دخل باحدى أو ثلاث عشرة وأولاده من خديجة

الا ابراهيم فن مارية القبطية ولدته في ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفي سنة عشر وأولاده الذكور من السيدة خديجة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر ماتا صغيرين والانا فاطمة زوج علي (رضي الله عنهما) وزينب زوج أبي العاص فرق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينها وبين زوجها بالاسلام ثم ردها اليه بالنكاح الاول حين أسلم ورقية وأم كلثوم المتزوج بها عثمان بعد الاولى

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في معجزاته (صلى الله عليه وسلم) المختلف فيها بين أهل﴾

﴿السنة والمعتزلة وتكسير الاصنام واسلام عمر﴾

أسرى بجسده أورو حه (صلى الله عليه وسلم) قبل موت عمه أبي طالب أو بعده في سنة اثنتى عشرة من الهجرة وأشهر معجزاته القرآن الكريم لاشتهار البلاغة والفصاحة في زمانه عند قريش الذين كانوا يعظرون بحسن الكلام ويتغالبون فيه كما كان احياء الموتى لعيسى زمن اشتهار الطب والثعبان لموسى زمن اشتهار السحر والنفس الطيب لداود زمن اشتهار المويسقى

وتلا صلى الله عليه وسلم على عباد الاصنام أول سورة فصلت وبلغ آية قل أنتم لتفكرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداد الى أن قال ولانكم فيها ما تدعون بزلا من غفور رحيم وكان من أراد الله هدايته يسمع القرآن فيسلم كهم (رضى الله عنه) فانه توجه بسيفه لقتل النبي فقبل له لا تفعل لئلا يقتلك بنو عبد مناف ولكن اودع خبابا وأختك وابن عمك سعيد بن زيد فانهم أسلموا فقصدهم عمروهم يتلون سورة طه فسكتوا فسألهم عما سمعوه فأنكروا فغضب أخته فشجها قائلا أريني ما كنتم تقرؤنه وخافت على الضعيفة فعاهدها على أن يردها اليها فدفعها وقرأها فقال ما أحسن هذا وأكرمه ثم توجه الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسلم

﴿المبحث السادس﴾

﴿في عرض رسول الله نفسه على القبائل وابتداء أمر الانصار وبيعته العقبة﴾
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج حتى

حتى أراد الله اظهار دينه نخرج في الموسم يدعو الى الايمان فلقبه عند العقبة
 ستة رجال من الخزرج تلا عليهم القرآن فآمنوا وانصرفوا الى المدينة
 فاخذوا يدعون الى الاسلام وخرج (صلى الله عليه وسلم) في العام التالى الى
 الموسم فبايعه اثنا عشر رجلا من الانصار وهذه بيعة العقبة الاولى فبعث
 معهم الى المدينة مصعب بن عمير الذى جعل يتلو عليهم القرآن حتى كان سائر
 دور الانصار مسلمين الادار أمية بن زيد وعاد مصعب الى مكة سنة ثلاث
 عشرة من البعثة بمسلمين من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين
 وكفار مستحقين حتى اجتمعوا برسول الله ليلا أيام التشريق بالعقبة فقالوا مالنا
 ان قتلنا دونك قال الجنة فبايعوه وعادوا الى المدينة وهذه بيعة العقبة الثانية ثم
 أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة فهاجروا الى المدينة وأقام مع على وأبي
 بكر منتظرا الاذن فى الهجرة

﴿المبحث السابع﴾

﴿فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم﴾

لما علمت قريش أن لرسول الله بالمدينة أنصارا وأن أصحابه بمكة لحقوا بهم خافوا
 بخروجه الى المدينة فاجتمعوا ليتشاوروا فيه فاجتمع الرأى على أن يضروه
 ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل فنزل جبريل فاعلم النبى (صلى الله
 عليه وسلم) بذلك فأمر عليا أن ينام على فراشه متسحا يبرده ليؤدى ما عنده من
 الودائع الى أربابها وخرج وهم يرصدونه بالباب وهو يتلو (يس) الى أن وصل الى
 قوله فأغشىناهم فهم لا يبصرون فجعل يكررها ووضع على رؤسهم التراب ولم
 يشعروا به وتوجه الى دار أبي بكر فاعلمه ان الله تعالى أذن له فى الهجرة فتوجهها
 الى غار بجبل ثور وخرج منه بعد ثلاثة أيام الى المدينة يوم الاثنين خامس ربيع
 الاول من سنة احدى ومعهما عاصم بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط
 وهو كافر استأجراه ليدلهما على الطريق فبعثت قريش سراقة فى أثره فنبأ منه

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقدم المدينة ظهر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر فنزل بقاء وأسس به المسجد المؤسس على التقوى ولحقه على بن أبي طالب ثم خرج من بقاء يوم الجمعة فهاجر على دار أحد من الانصار الا قالوا لهم يا رسول الله واعترضوا ناقته فقال خلوا سبيلها فانها مأمورة فتركوها حتى بركت في موضع المسجد فاقام النبي (صلى الله عليه وسلم) عند أبي أيوب الانصاري حتى بنى مسجده ومساكنه بالموضع الذي اشتراه وغير اسم يترى الى المدينة وسمى الاوس والخزرج بالانصار والمسلمين من أهل مكة بالمهاجرين واتخذ علياً أخاً وأخى بين المهاجرين والانصار ولبت بينهم يعلمهم شرائع الدين ويقتدون به في الاقوال والافعال ويرجعون اليه في حكم كل حادثة وبايعهم قبل سنة ثلاث من الهجرة أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنا ولا يقتلوا أولادهم وأن يتعاملوا بالمعروف وينذروا اليهود آمنين على أموالهم وأسلم سليمان الفارسي وعبد الله بن سلام فزاد الاسلام عزة ولكن اليهود تحزبوا مع المنافقين

وأخذت قريش تشدد على المسلمين وأغروا شعراءهم على الهجو فرتب (صلى الله عليه وسلم) من الخزرج حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة للرد عليهم وشرع الصوم والزكاة وحولت الصلاة الى الكعبة وورد الوحي بالاذان في سنة اثنين من الهجرة التي بعث فيها النبي عبد الله بن جش الاسدي في ثمانية الى نخلة بين مكة والطائف ليتعرفوا أخبار قريش فربهم غير لهم فغتموها وأسروا اثنين في آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برب فغيرهم الكفار باستغلاله فنزلت يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الى والفتنة أكبر من القتل

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في غزوة بدر وأمر رسول الله بالغزو﴾

كان أول غزواته غزوة بدر ومن خبرها أن قدم أبو سفيان بن حرب وثلاثون رجلاً

رجلا بعير لقريش وندب النبي الناس اليهم فبعث أبوسفیان بذلك الى مكة فقدم
 منها أبو جهل بنسمانة وخمسين رجلا فيهم مائة فارس وخرج النبي (صلى الله عليه
 وسلم) من المدينة لثلاث خالون من رمضان سنة اثنتين من الهجرة بثلاثمائة
 وثلاثة عشر رجلا فيهم فارسان ومعهم من الابل سبعون يتعاقبون عليها ونزل
 بهم بدرا وجلس هو وأبو بكر على عريش بنى لهما وأتى أبو جهل بمن معه
 وبرز منهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فاخرج النبي لهم عمه
 حمزة وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحرث بن المطلب فقتل حمزة وشيبة وعلي
 الوليد وكرأ على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات
 وانتشبت الحرب صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فخرج
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من العريش يحرض الناس على القتال وأخذ
 من الحصاء حفنة رمى بها قريشا قائلا شأهت الوجوه ثم قال لأصحابه شدوا
 عليهم فهزموا قريشا وقتلوا سبعين منهم أبو جهل وأسروا سبعين منهم عم النبي
 العباس وابنا أخويه عقیل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب
 وقذف في قليب بدر بعد القتال أربعة وعشرون من صناديد قريش وفي هذه
 الغزوة نزل قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم يائف من
 الملائكة

﴿ غزوة بني قينقاع ﴾

وهم يهود نقضوا عهد رسول الله فخرج اليهم نصف شوال سنة اثنتين فحاصرهم
 خمس عشرة ليلة ونزلوا على حكمه

﴿ غزوة السويق ﴾

حلف أبوسفیان بسبب قتلى بدر أن لا يمس الطيب ولا النساء حتى يغزو النبي
 (صلى الله عليه وسلم) فبعث الى المدينة رجلا قتلا رجالا من الانصار ثم خرج في
 مائتي راكب فركب النبي في طلبه حتى هرب عن معه وألقوا جرب السويق
 فسميت غزوة السويق

﴿المبحث التاسع﴾

﴿ في عدة غزوات ﴾

﴿ غزوة أحد ﴾

نزل أبو سفيان بذي الحليفة يوم الأربعاء لربيع ليال مضين من شوال سنة ثلاث من الهجرة بثلاثة آلاف من قريش وإمرأته هند بنت عتبة في خمس عشرة امرأة معهن دفوف يضربن بها ويبيكين على قتلى بدر ويحترضن المشركين على قتال المسلمين وخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ألف رجل منهم عبد الله بن أبي المنافق بثلاثمائة من المنافقين ومضى رسول الله بسبعائة نزل بهم في شعب أحد الذي جعل ظهره اليه وكان بين الفريقين يوم السبت لسبع مضين من شوال وقعة قتل فيها حزة أرطاة حامل لواء المشركين واشتغل بقتل سباع بن عبد العزى فقتله وحشي الحبشي عبد جبير بن مطعم وقتل ابن قنمة الليثي مصعب بن عمير حامل اللواء ظاناً أنه رسول الله فأعطى النبي الراية لعلي فانهزم المشركون وطمعت الرماة في الغنيمة وفارقوا المكان المأمورين بالازمته فاتاهم خالد بن الوليد بخيل المشركين من خلفهم وصيح ان محمداً قتل وانهزم المسلمون وأصيبت رباعية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشجع وجهه وكنت شفاه وجرح علي وأبو بكر وعمر ومثلت هند وصواحها بالشهداء فجذعن الأذان والأنوف واتخذن منها قلائد وبقرت هند بطن حزة ولاكت كبده وقتل فيها من المسلمين سبعون ومن المشركين اثنان وعشرون وفيها نزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ اويتوب عليهم أوعذبهم فاتهم ظالمون

﴿ غزوة بئر معونة ﴾

قدم المدينة في صفر سنة أربع من الهجرة أبو براء بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وهو على دينه فقال للنبي لو بعثت رجالا يدعون أهل نجد الى الاسلام رجوت ان يستجيبوا لك فبعث (صلى الله عليه وسلم) سبعين نزلوا بئر

بئر معونة على أربع مراحل من المدينة وبعثوا كتاب النبي الى عامر بن الطفيل فقتل الذي حضر بالكتاب وتوجه بجموع قتلوا الحجابة عند هذه البئر الا كعب بن زيد توارى بين القتل ثم لحق بالنبي

﴿ غزوة بني النضير من اليهود ﴾

نقض بنو النضير العهد وأجمعوا على اغتيال النبي فسار (صلى الله عليه وسلم) اليهم وحاصره في ربيع الاول ست ليال فسألوه الخروج من المدينة بما جلت ابلهم من الاموال الا السلاح فخرج بعض الى خيبر وآخر الى الشام وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام وهذا أول حشرهم المراد في قوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر * وآخر حشرهم اجلاء عمر لهم من خيبر الى الشام

﴿ غزوة ذات الرقاع ﴾

سار (صلى الله عليه وسلم) الى نجد فلقى جمعا من غطفان بذات الرقاع في جمادى الاولى من هذه السنة وتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب

﴿ غزوة بدر الثانية ﴾

ثم سار (صلى الله عليه وسلم) في شعبان هذه السنة الى بدر منتظرا قدوم أبي سفيان الذي خرج من مكة وعاد فانصرف رسول الله بالناس

﴿ غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب ﴾

وبلغه تحزب قبائل العرب فحفر حول المدينة خندقا وأتت قريش ومن تبعها من كنانة في عشرة آلاف وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد وانضم اليهم بنو قريظة ناقضين للعهد فعظم الخطب على المسلمين ولبث الفريقان بضعا وعشرين ليلة يترامون بالنبل بلا قتال وخرج علي بن عبيد ودمن ولد لؤي بن غالب فخرج اليه علي وذبحه ثم هبت الصبا فأكفأت قدور الاعداء وطرحت آيتهم ورمى الله الاختلاف بينهم فرحلوا بعد أن استشهد من المسلمين ستة وفيها نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم رجحا وجنودا لم تروها وكانت هذه الغزوة سنة أربع أو خمس

﴿ غزوة بني قريظة ﴾

انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الخندق الى المدينة فأمر بالمسير الى بني قريظة فسار اليهم وحاصرهم بالمدينة خمسا وعشرين ليلة في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة فسبى الذراري والنساء وأسر الرجال وكانوا سبعمائة يزيدون أو ينقصون حبسهم في دور الانصار حتى حفرت لهم خنادق ضربت أعناقهم فيها

﴿ غزوة ذي قرد ﴾ *

خرج (صلى الله عليه وسلم) في ربيع الاول سنة ست الى ذي قرد على ليلتين من المدينة فاستنقذ بعض لقاحه التي أغار عيينة بن حصن الغزاري عليها وهي بالغابة

﴿ غزوة بني المصطلق ﴾ *

سار رسول الله في شعبان سنة خمس أو ست الى بني المصطلق وقائدهم الحرث ابن أبي ضرار فقاتلهم على ماء لهم يقال له المريسيع وهزمهم فقتل وسبى وغنم ووقعت جويرة بنت قائدهم في سهم ثابت بن قيس فكاثبته على نفسها فأدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنها كتابتها وتزوجها فأعتق مائة أهل بيت من قومها بني المصطلق لكونهم أصهاره

﴿ المبحث العاشر ﴾

﴿ في عمرة الحديبية وبيعة الرضوان والهدنة مع كفار قريش ﴾ *

﴿ وغزوة خيبر وسفارة النبي الى الملوك وغير ذلك ﴾ *

خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من المدينة يوم الاثنين غرة ذي القعدة سنة ست معتمرا في ألف وأربعمائة من المهاجرين والانصار وساق الهدى حتى بلغ ثنية الزرار مهبط الحديبية أسفل مكة فبعث قريش اليه عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فقال ان قريشا عاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة ورجع اليهم

اليهم فقال جئت كسرى وقيصر في ملكهما فوالله ما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه فبعث النبي عثمان بن عفان ليخبر أبا سفيان وأشراف قريش انه (صلى الله عليه وسلم) لم يأت محاربا بل زائرا معظما لهذا البيت فقالوا ان أحببت ان تطوف بالبيت فطف فقال لا الا أن يطوف رسول الله فبسوه وبلغ رسول الله انه قتل فدعا من معه الى البيعة فبايعوه ببيعة الرضوان تحت الشجرة ثم علم أن عثمان لم يقتل وبعث قريش اليه سهيل بن عمرو فأجابه (صلى الله عليه وسلم) الى ما أراد ثم نحر هديه وحلق رأسه وفعل أصحابه مثله ثم عاد الى المدينة

(غزوة خيبر)

حتى خرج في نصف المحرم سنة سبع من الهجرة الى خيبر المالك أهلها أزيمة تجارة الجاز ونجد وفي هذه الغزوة أكل رسول الله من الشاة المسمومة التي اهدتها اليه زينب بنت الحارث اليهودية أكلة لم تزل تعاوده حتى مات منها وأخذ أبو بكر الصديق الراية فقاتل قتالا شديدا ورجع فأخذها عمر بن الخطاب فقاتل أشد من الأول ورجع فقال (صلى الله عليه وسلم) أما والله لا أعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرف اليها المهاجرون والانصار وجاء على من المدينة أرمد فتفل (صلى الله عليه وسلم) في عينه فبرئ وأعطاه الراية فسار وقاتله أهل الحصن وضربه أحدهم فسقط ترسه من يده فتناول من عند الحصن بابا ترس به حتى فتح الله عليه في صفر بعد الحصار بضع عشرة ليلة فالتقى من يده الباب الذي اجتهد بعد ذلك ثمانية من الصحابة ان يلقبوه فما قدروا وسأل أهل خيبر وفدك رسول الله الصلح على ان يساقبهم بنصف الثمار ويخرجهم متى شاء ففعل فكانت خيبر للمسلمين وفدك لرسول الله خاصة لانها فتحت بلا ايحاف

(غزوة وادي القرى)

ثم انصرف (صلى الله عليه وسلم) الى وادي القرى فحاصره وفتحته عنوة ثم سار

الى المدينة فقدم من الحبشة بقية المهاجرين ومنهم جعفر بن أبي طالب فقال
ما أدري بأبهما أسر بفتح خبير أو قلوب جعفر

﴿رسل النبي الى الملوك﴾

في سنة تسع بعث (صلى الله عليه وسلم) الى كسرى ابرويز عبد الله
ابن حذافة بكتاب مرفق وكتب الى باذان عامله باليمن أن يكتب الى النبي أن يسير
الى كسرى والا حاربه فقال (صلى الله عليه وسلم) مرق الله ملكه فسلط الله
شبرويه على أبيه كسرى فقتله وكتب الى باذان بذلك وأن يتعرض للنبي
فأسلم باذان وناس من فارس وبعث دحية بكتاب الى قيصر الروم فاحترمه ورد
دحية ردا جميلا والى المقوقس صاحب مصر حاطب بن أبي بلتعة فآكرم حاطبا
وأهدى الى النبي بغلة وجمارا وجاريتين احدهما مارية القبطية والدة ابراهيم
ابن النبي (صلى الله عليه وسلم) والى النجاشي عمرو بن أمية بكتاب قبله وأسلم
على يد جعفر بن أبي طالب وكان عنده والى الحرث بن أبي شمر الغساني شجاع بن
وهب الاسدي بكتاب قرأه فقال أنا سائر اليه فقال النبي باد ملكه والى هوزة
ملك اليمامة سليط بن عمرو فقال ان جعل الامر لي بعده سرت اليه وأسلمت
ونصرته والا حاربه فقال النبي اللهم اكفنيه فأت بعد قليل والى المنذر
ملك البحرين العلاء بن الحضرمي فأسلم وتبعه جميع العرب بالبحرين

﴿المبحث الحادى عشر﴾

﴿فى عمرة القضاء واسلام خالد ومن معه وفتح مكة وغزوات﴾

﴿مؤتة وحنين والطائف﴾

﴿عمرة القضاء﴾

خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالفين من المسلمين في ذى القعدة سنة سبع
معتبرا عمرة القضاء وساق البدن حتى قرب من مكة ففرج له قريش وتحذروا
أن النبي في عسر وجهه واصطفوا عنه دار الندوة فقال (صلى الله عليه وسلم)

رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة ورمل في أربعة أشواط من الطواف ثم سعى
بين الصفا والمروة

﴿اسلام خالد بن الوليد ومن معه﴾

في سنة ثمان اسلم خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة بن عبد
الدار

﴿غزوة مؤتة﴾

هي اول غزوة بين المسلمين والروم بعث رسول الله الحارث بن عير بكاب الى
عمر بن شرحبيل الغساني ملك بصرى فقتل الحارث في مؤتة فبعث رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) في جمادى الاولى سنة ثمان ثلاثة آلاف بلغوا مؤتة بارض
الشام فاتاهم الروم والعرب المنتصرة في نحو مائة ألف وولى راية المسلمين
زيد بن حارثة مولى النبي فجعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحة كما أمر
رسول الله ان يليها اللاحق بعد قتل السابق ثم قتل ابن رواحة فاتفق
العسكر على خالد بن الوليد فاخذ الراية وفتح الله على يديه ورجع بهم الى
المدينة

﴿نقض الصلح بين قريش والنبي وفتح مكة سنة ثمان﴾

كان في عهد قريش بنو بكر وفي عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) خزاعة فقتل
بنو بكر من خزاعة في هذه السنة باعانة جمع من قريش فانتقض العهد فأتى
أبو سفيان لتجديده فما أجيب بشئ فعاد

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة باثني عشر ألفاً من المهاجرين
والانصار وطوائف من العرب حتى قارب مكة فركب العباس عم النبي
ليخبر قريشا فيأتوا الى النبي ويستأمنوه فوجد أبا سفيان قاتى به الى النبي
واسلم وعرضت عليه قبائل الجنود

ثم أمر النبي الجنود بدخول مكة من أسفل مكة ومن كداء وثنية كداء

فدخلوها يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان هذه السنة واطمأن الناس فخرج
النبي وطاق بالبيت ودخله فصلى فيه وكسر الاصنام قائلاً قل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقاً ثم بعث سرايا يدعون من حول مكة الى
الاسلام بلا قتال

﴿ منهم سرية خالد بن الوليد ﴾

نزل بها على ماء لبني جذيمة ودعاهم الى الاسلام فتكلموا بكلام فهم منه عدم
الانقياد فقتلهم وبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال اللهم انى أبرأ اليك
بما صنع خالد (حيث بادر الى القتل ولم يتثبت) ثم أرسل عليها بمال أدى
به ديات القتلى وفضل معه مال دفعه اليهم تطيبوا لخاطرهم

﴿ غزوة حنين ﴾

بعد فتح النبي مكة أتى لحرب النبي هوازن بجرعهم وأموالهم معهم ثقيف أهل
الطائف وبنو سعد بن بكر الذين ارتضع عندهم النبي (صلى الله عليه وسلم) فخرج
النبي من مكة لست خلون من شوال سنة ثمان باثني عشر الفا حتى بلغ حنيناً
وهو واد الى الطائف أقرب منه الى مكة ونزل المشركون بأوطاس ثم التقى
الجمعان فانهزم المسلمون لايأوى بعضهم على بعض وثبت رسول الله في نفر من
المهاجرين والانصار وأهل بيته حتى تراجع المسلمون ونصروا على المشركين
وتبعوهم يقتلون ويأسرون وكان في السبي الشيماء أخت رسول الله من
الرضاعة فانها بنت حلينة السعدية مرضعته فأكرمها (صلى الله عليه وسلم)
وزودها وردّها الى قومها حسبما سألت

وفي هذه الغزوة أعجبت المسلمين كثرتهم وقال أحدهم لن تغلب اليوم عن قلة
فنزل و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم الخ

﴿ (حصار الطائف) ﴾

انهزمت ثقيف من حنين الى الطائف فسار اليهم النبي وحاصره سنة ثمان
نيفا وعشرين يوماً وقاتلهم بالمجنيف وقطع أعناقهم

ثم انصرف الى الجعرانة وبها غنائم هوازن وكانت أربعة وعشرين الف بعير وأكثر من أربعين الف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فرقها على غير الانصار فوجدوا في أنفسهم فدعاهم فقال أوجدتم يا معشر الانصار على لعاعة (١) من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم أما ترضون أن يذهب الناس بالعبير والشاء وترجعوا برسول الله الى رحالكم أما والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار وأتى اليه بعض هوازن فرد عليهم نصيبه ونصيب بني المطلب وأطلق السبي وكانت عدته ثمانية آلاف وأسلم مالك بن عوف مقدم هوازن فاستعمله النبي على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل

﴿ المبحث الثاني عشر ﴾

﴿ في غزوة تبوك وانقياد من في بحيث جزيرة العرب للشرعية الاسلامية ﴾
عزم النبي على غزو الروم في رجب سنة تسع مع ائناع الثمار الباعث على حب المقام وشدة الحر وجذب البلاد وعسر الناس وأمر المسلمين بالصدقة فتصدق أبو بكر بجميع ماله وعثمان بألف دينار وثلثمائة بعير طعاما وأعلم الناس مقصدهم لبعث الطريق وقوة العدو بعد أن كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ثم خرج بثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس حتى بلغ تبوك بعد مقاساة شدة ألد بالحر والعطش فاقام به عشرين يوما وقدم اليه يوحنا صاحب أيلة فصالحه على جزية بلغت ثلثمائة دينار

وصالح أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب وبعث خالد بن الوليد فأتى باكي درومة صاحب دومة الجندل فصالحه النبي على الجزية ثم قدم الى المدينة في رمضان وبها من الانصار ثلاثة متخلفون كععب بن مالك وهرة بن الربيع وهلال بن

(١) الجرعة من الشراب والكلأ الخفيف والمراد بها هنا الشيء التافه اهـ

أمية واعتذروا اليه ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن مخاطبتهم فاعتزلهم الناس خمسين ليلة وضافت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم وقدم عليه (صلى الله عليه وسلم) وقد ثقيف فاسلموا وبعث معهم المغيرة بن شعبه وأبا سفيان ليهدما اللات ثم جاءه وفود العرب قاطبة سنة عشر وأسلموا كما قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا وبعث عليا الى اليمن بكتاب قرأه عليهم فأسلمت همذان كلها في يوم ثم تابع أهل اليمن على الاسلام وكتب بذلك الى النبي فأمره ان يأخذ صدقات نجران وجزيتهم ففعل وعاد الى مكة وبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤدي حجة الوداع لانه لم يجمع بعدها ثم عاد الى المدينة

﴿ المبحث الثالث عشر ﴾

﴿ في وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ﴾

فاقام بها حتى مرض في أواخر صفر سنة احدى عشرة وخرج في أثناء مرضه بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب من بيت عائشة حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقدمني ومن كنت شمت له عرضا فهذا عرضي فليستقدمه ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش السخياء من قبلي فانها ليست من شأني ونزل فصلى الظهر ورجع الى المنبر فعاد الى مقالته فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم فاعطاه بدلها

واشتد به المرض فاستأذن أزواجه ان يعرض في بيت عائشة فأذن له وتأخر عن الصلاة بالناس ثلاثة أيام قال في أولها مروا بأب بكر فليصل بالناس ثم توفي فحوى أونصف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وغسله علي وهو يقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وأسامة بن زيد

وشقران

وشقران يصبان الماء عليه والعباس وابناه الفضل وقثم يلقبونه وكفن في ثلثة أثواب وحفر له أبو طلحة الانصارى تحت فراشه الذى مات عليه ونزل فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم ابنا العباس ودفن ليلة الاربعاء وله ثلاث وستون سنة فانه بعث لأربعين سنة ومكت بكعة ثلاث عشرة سنة وكسرا وبالمدينة قريبا من عشر سنين

جهز (صلى الله عليه وسلم) مولاه أسامة بن زيد بجيش الى الشام وحث حال مرضه على مسيره فخرج الجيش الى المعسكر وتوفى (صلى الله عليه وسلم) فرجع الجيش حتى جهزه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه وعن سائر الصحابة والتابعين)

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ فى القرآن ﴾

هو كتاب مجيد واجب التعظيم لا يعسه الا المطهرون أبان ما لله على عباده ومالههم عليه من الحقوق ضرب فيه من كل مثل وما فرط فيه من شئ جمع فأوعى فضائل وذنائل وحقائق وطاعات ومعاصى نزل على رسول الله منجما حسب الوقائع فكان رابطة بين قبائل العرب مؤسسا للوحدة الدينية سورة أربع عشرة ومائة تختلف طولاً وقصراً ولا تتجاوز السور الأربعون الاخيرة خمسين آية ولا تنقص عن ثلاث وهو مكي الاثمان عشرة سورة مدنية وأقدم المصاحف مكتوب بالخط الكوفي على رق غزال وأما المكتوبة بالخط النسخ فلا يتجاوز تاريخها القرن الثالث من الهجرة

﴿ دين الاسلام ﴾

جاء جبريل فى زى أعرابى فقال للنبي علام بنى الاسلام فقال (صلى الله عليه وسلم) بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا فقال جبريل لقد صدقت انه لهو كذلك وكان جبريل ينزل الى النبي بأمر ربه فاذا نزل غشى عليه (صلى الله عليه وسلم) وتحتل منه العرق وكانت الصحابة

يقتلون أمره (صلى الله عليه وسلم) ويحتمنون نهيه ويعظمونه ويوقرونه حتى توفي وبويع بالخلافة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فصعد المنبر وقال أيها المسلمون من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت واذكروا قوله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أنا أن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقوله تعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم الآية

ونزل القرآن منجما على حسب مقتضيات الأحوال كما سلف فما نزل رد لقول الكفار است مرسل قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى ولكن الله يفعل ما يريد ونزل رد لقول النصارى ان عيسى ابن الله قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا الى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ونزل في أنصارى له ابنان أراد اكراههما على الاسلام قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشيد من النجى الى والله سميع عليم ونزل في اليهود والنصارى والصابئين قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الى ولا هم يحزنون

﴿ ذكر الله والملائكة والانبياء في القرآن ﴾

نزل قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده الخ اشارة الى طريق علم الرسول ما وعدهم به من قيام الساعة واهلاك الله اياهم الدال عليه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه ونزل في توسط الملائكة بين الله وأنبيائه في تبليغ الرسالات قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا الى كل شئ قدير ومن أفضل الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومن مواضع ذكر الجن قوله تعالى قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن الى ولن نشرك بربنا أحدا وهم مثل الانس يحاسبون يوم القيامة وورد في حق ابليس قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني ناطق بشرا من صلصال الى قوله فسجد الملائكة

كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه الى بئس للظالمين بدلا

ومن الاخبار بالغيب فى القرآن قوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الارض الى وهو العزيز الحكيم ونزل فى الاسراء سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا الى انه هو السميع البصير

(ذكر الثواب والعقاب)

(فى الدار الآخرة)

قال تعالى فى ذلك اليوم لا أقسم بيوم القيامة الى قوله الى ربك يومئذ المستقر وقد أعد الله من الملائكة منسكرا وتذكيرا للسؤال وجبريل لوزن الاعمال بميزان عرضه السموات والارض يؤخذ للظالم من حسنات الظالم ان كانت له حسنات والا ضم اليه من سيئات المظالم فيثاب العبد أو يعاقب على حسب رجحان حسناته أو سيئاته ويساق المجرمون على الصراط وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فينبذون فى النار والمؤمنون الناجون يجوزنه مختلفين فى السرعة على اختلاف مراتبهم وأسرعهم من يجوزه فى أقرب من لمح البصر وفى ذلك قوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم الى قوله عربا أترابا لأصحاب اليمين والثواب والعقاب يعم الذكر والانثى لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ولقوله تعالى خطابا للنبي (صلى الله عليه وسلم) حين طالبتة أزواجه بما ليس عنده من زينة الدنيا يا أيها النبي قل لازواجهك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جيلا وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للحسنات منكن أجرا عظيما

﴿ الوضوء والصلاة والصوم والزكاة ﴾

الصلاة من أركان الاسلام الخمسة وأركانها وشروطها كالوضوء وغيره مقررة في الفقه ونزل في وجوب المحافظة عليها قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقوله تعالى فإذا قضيتُم الصلاة الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ويؤذن للصلاة خمس مرات في اليوم على مكان مرتفع أو مهذبة وكان أول انشائها فوق المساجد زمن الويلد وفرضت صلاة الجمعة في هذا اليوم بنص قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وليس المأمور به مجرد الاعمال الظاهرة بل هي مع موافقة الباطن لها لقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله الى قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله وأولئك هم المتقون والصوم من تلك الاركان وزمنه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الى سماء الدنيا لقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس الى ولعلكم تشكرون

والزكاة واجبة على الحر وهي ما يخرج عن نفس أو مال بشرائط معلومة ويجب ان لا يتبع بأذى لقوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلیم وفيها ورد قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتفقوا من طيبات ما كسبتم الى وأعلموا أن الله غني حميد وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى والله بما تعملون خبير ونزل في مؤديها رياء قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى كالذى ينفق ماله رياء الناس الى والله بما تعملون بصير

﴿ الآداب المأمور بها في القرآن ﴾

منها في الوالدين ما في آية كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين

للاوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين (نسخت بآية الميراث وحديث لا وصية لوارث) وآية واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً إلى وأنتم معرضون

ونزل في أداء الشهادة بآيةها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم إلى فإن الله كان بما تعملون خبيراً وفي حق مال اليتيم آية ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده إلى لعلكم تذكرون وفي إقامة الوزن بالقسط آية ويل للطففين الذين إذا كتبوا على الناس يستوفون إلى أنهم مبعثون ليوم عظيم وفي النفاق المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف إلى ولهم عذاب مقيم وفي الاستغفار من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً

وما قرط القرآن من شيء من تلك الآداب التي قوامها الحكمة وأسسها العدل والاحسان وغايتها قصد سبيل الحق والصّد عن حجة الضلالة والخروج من ظلمات الرذائل إلى أنوار الفضائل والتطهر من شوائب النقص والتخلي بزينة الكمال

وما قصدنا بإيراد ماسلف إلا أن يكون لهذه الشريعة دليل على تقدس غايتها وحرمة مذهبها ورفعة حكمتها وموافقتها لما أنزل من قبل على الرسل الكرام فبذلك يهتدى البصير إلى فضل القرآن المجيد اذ جمع فأوعى ما أوتيته النبيون قبل من البينات

﴿ إقامة الحجّة على من رموا دين الإسلام بالوحشية وسرد شواهد ﴾

﴿ على كرم أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وسخائه ومضاء ﴾

﴿ عزيمته وثبات جنانه وزهده وشطف عيشه ﴾

عما يدل على عى بصائر هؤلاء وصمم آذانهم عن الحق وزلل أقدامهم عن سبيل الصدق والرشد ما في القرآن الكريم من الآيات الناصحة لما ألقته العرب من القبائح كالأخذ بالثأر والتظاهر بالعدوان مثل ما كان ولا يزال شائعاً في أوروبا

من التبارز والتفاخر وكقتل البنات ذراً للعار أو حذراً من الفقر فما يدل على نسخ الاول قوله تعالى واذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم الى وما الله بغافل عما تعملون وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن الى آخر سورة النحل وعلى نسخ الثاني قوله تعالى واذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الأساء ما يحكمون وقوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم ان قتلهم كان خطأ كبيراً

وأما أخلاقه وأفعاله (صلى الله عليه وسلم) فكانت غاية في الكمال منها عفوّه عن أعدائه بعد فتح مكة وحمله في الأخذ بمعقوق الحرب من القبائل وأسفه على قسائه على بعض وعدم استعائه بما له من عظيم السطوة والسلطة على اجابة داعي القسوة ولذا كان يحاول بالحث العود بمن خرج عن الحد من أصحابه الى حدود الاعتدال ومنها أبأوه اشارة عمر عليه بقتل الاسرى بعد واقعة بدر وصفحه عن قتل عمه حمزة وقوله اللهم انى أبرأ اليك مما فعل خالد حين أخذ بثار قريبه من بنى جذيمة

ومما يدل على جرائته قتاله بعزم وقوة في غزوة بدر بعد أن شج وجهه وكسرت رباعيته وخوضه عباب الحرب قبل العكابة في واقعة حنين وحضه لهم على القتال حتى كانت الغلبة لهم

وأما زهده (صلى الله عليه وسلم) فلا يختلف فيه اثنان فانه لم يتحول عن شطف العيش مع ما طالته يده من الاموال والخيرات رأى الملوكة ولم يتخذ أبهتهم مع ما بلغ من السلطان الذى لا يبارى والشوكة التى لا ترام وكان (صلى الله عليه وسلم) نافذ الامر والتهى بشوشا حسن المعاملة مع الرفيغ والوضيع حلماً لاسيما عند السؤال

﴿ مناسك الحج التى قام بها النبي (صلى الله عليه وسلم) ﴾

*(فى حجه سنة ٦٣٢ تشرى فلامته) *

سافر صلى الله عليه وسلم من المدينة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة

سنة هجرية الموافق للثالث والعشرين من فبراير سنة ١٣٣٢ معه تسعون
أومائة وأربعة عشر ألفا من المؤمنين ونسأؤه في الهواذج ومعه الهدى حتى
بات في ذى الحليفة وأحرم واقتدى به المسلمون ولبوا معه ثم سار متزا مرا متديا
حتى بلغ مكة صبيحة رابع ذى الحجة الموافق ثالث مارس فطاف بالبيت سبعا
رمل في ثلاث منها وصلى عند مقام الخليل ثم ختم يومه بالسعي بين الصفا والمروة
وأمر من لم يكن معه هدى بالحل وأقبل على (رضي الله عنه) من اليمن معه
الهدى فبقى على إحرامه ثم سافر بقومه (صلى الله عليه وسلم) في ثامن ذى الحجة
الموافق سابع مارس الى منى فأقام بها في خيام ضربت له حتى طلعت شمس
الغد فامتطى ناقته القَصْوَاء وسار حتى بلغ عرفات فخطب الناس وهو على متن
راحلته ثم رجع وصلى الظهر والعصر ونزل عليه في هذا اليوم وهو على الجبل
قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا ثم مضى حين غربت الشمس الى المزدلفة فبات فيها حتى طلع فجر عاشر
ذى الحجة الموافق تاسع مارس فصلى الفجر ثم وقف بالمشعر الحرام ثم جاوز بطن
الحسر مسرعا ثم أتى منى بعد رمى الجمرات فصر هديه وكذا على (رضي الله عنه)
ثم حلق فأخذ الصحابة يلتقطون ما تساقط من شعره ثم عاد الى مكة وطاف
بالبيت وصلى الظهر وتسمى هذه الحجة بحجة البلاغ وحجة الاسلام وحجة الوداع
لما فيها من تبليغ المناسك للمسلمين وحصولها بعد عزة الاسلام وشيوعه وتوديع
النبي فيها المسلمين ومكة لانها آخر حجاته وما زال المسلمون يقتدون به (صلى الله
عليه وسلم) في ذلك فيهرعون كل سنة الى مكة ويؤدون مناسك الحج حسب الشروط
والآداب المعلومة من الشرع الشريف

*(في ان ما كتب من الفرائض لا يخلو عن حكمة) *

منها الوضوء فان أصول تدبير الصحة تستدعيه وفيه فوائد لا يحيط بها الا ذو دراية
بقانون الصحة وهو فرض بنص قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم الى لعلكم تشكرون

(٩ خلاصة تاريخ العرب)

﴿ في حكمة تحريم بعض المحرمات ﴾

كالجر فان تحريمها لضررها أما البدن فلانها ترعى الاحشاء وتخر العظم وتقت الكبد وتحرق الجوف وأما المال فلان من البين أن المنكب عليها لا ينتهى عنها ولو أصبح خالى الوطاب لا يملك مضغة فاذا يموت وأهله وبنوه فى مسغبة لو أن لهم ما أنفق فى سبيل الهوى ليلة لكفاهم شهرا وكذلك الميسر فانه لا ينقص عن الجر فى الضرر المالى وهما محرمان بنص قوله تعالى يسألونك عن الجر والميسر الآية

﴿ المقالة الثالثة ﴾

﴿ فى الامة الفاتحة من سنة ١٣٢٠ الى سنة ١٣٧١ ميلادية ﴾

﴿ الموافقة سنة ١١ الى ١٢٥ هجرية ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ فى انتظام العرب واستعدادهم للحاربة فى غير بحيث جزيرتهم ﴾

﴿ وفى الخلفاء الاربع الراشدين وفيه أربعة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فيما وصلت اليه أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من العظمة والسلطنة ﴾

كانت العرب قبل البعثة عظيمة الكبرياء والتفاخر منفردة بحكم أنفسهم شديدة الغيرة على الاستقلال حتى بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) ودعاهم فاهتدوا الى الاسلام وصاروا أمة واحدة مركبة من قبائل شتى متناسين حب الرياسة وعوائد الجاهلية لظهور الحركة الدينية التأليفية حتى توفى النبي (صلى الله عليه وسلم) فعادوا الى ذلك لعدم تمكن الايمان عندهم فاتفق معظم الصحابة على اختيار خليفة يقوم بحفظ الشريعة باصدار الاوامر بالضبط العام والقوانين النظامية اللازمة للعسكر وغيرها متبعين ذلك القرآن والسنة فكان بذلك للدين قوة انقادت بها العرب الى الاسلام بلا نزاع بينهم وبين الخليفة لاقتفائه أثر الكتاب

والسنة

والسنة ثم قسّطت الخلفاء بعد الصحابة فلم ينالوا غرضهم من غير قيام الأمة عليهم ومنع المفتين خروجهم عن الشريعة الإسلامية

﴿ المبحث الثاني ﴾

﴿ في الخلفاء الراشدين ﴾

تولى الخلافة أبو بكر (رضى الله تعالى عنه) سنة إحدى عشرة من الهجرة الى سنة ثلاث عشرة ثم عمر الى سنة أربع وعشرين ثم عثمان الى سنة ست وثلاثين ثم علي بن أبي طالب الى سنة إحدى وأربعين متبعين النبي (صلى الله عليه وسلم) في عصمة النفس من دهشة الشوكة والتشبت بحب الملاذ والزخارف واقتناء الاموال وفي اطعام الفقير ونصر المظلوم والخطبة والصلاة بالناس في المساجد والزهد والقناعة والتقشف

فقد كان أبو بكر (رضى الله عنه) يأخذ كل يوم باذن الصحابة خمسة دراهم من بيت المال حتى توفي تاركاً ثيابه وعبداء وبعيراً وتوجه عمر بن الخطاب لفتح بيت المقدس من المدينة الى فلسطين بلا خفراء معه وكان ينام على مدرج الكعبة مع الفقراء وحكم على جبلة بن الايهم ملك غسان حين ضرب صحابياً أن يستسمحه أو يدعوه ليقتص منه فقال جبلة كيف وأنا ملك وهو من آحاد الأمة وأبي عمر الا ذلك فقر جبلة الى هرقل بالقسطنطينية

واتهم عثمان نصرانيا بسرقة أسلحته ولم يأب الحضور معه الى المحكمة الشرعية للتقاضى في ذلك وأدى حساب مافي بيت المال من النقود وكان في امكان كل شخص أن يطلبه الى المحكمة للتحاكم وكان علي بن أبي طالب يفرق على المساكين كل يوم جمعة مابقى معه من الدراهم وكانت الاحكام الصادرة من القضاة نافذة على أرباب المناصب وآحاد الناس ولذا لم يعفو أحد من هؤلاء الخلفاء الراشدين عن أحد من المذنبين بعد صدور حكم القضاة بعقابه الى غير ذلك من الفضائل التي لا تحصى

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ في ملحوظات في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضى الله عنهم) ﴾
لما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) تهباً أمراء الانصار لانتخاب سعد بن عباد

الحرزرجي خليفة فبادرت الصحابة الى انتخاب أبي بكر الصديق فبايعه أولا عمر
وتبعه من بعده فخطبهم بما معناه أيها الناس انكم قد قلدهموني الحكم عليكم
فان فعلت خيرا فعاونوني عليه أو شرا فرددوني عنه وان قول الحق لخليفة النبي
على الامة لمنبئ عن غيره قائله على الاسلام وكتمان الحق عنه خيانة واني
أرى الضعيف والقوى متساويين في الحقوق أحكم بينهما بلا ميل والا فلا
حق لي في طاعتكم أحس (رضي الله تعالى عنه) بالوفاة بعد سنتين من مبايعته
فاستخلف ابن الخطاب الذي لم يقف أثره في تعيين واحد للخلافة حين وفاته بل
اختار من كبار الصحابة سنة اتفقوا على انتخاب عثمان فولى الخلافة وجدد
قتوحات ازدادت بها الثروة الاسلامية الا أن توليته أقاربه الاموية المناصب
كانت سببا في الفتنة الكبرى التي قتل فيها فان ذلك بعث القرشيين المنتشرين
في جميع خدم المملكة على بث خطباء في الكوفة والبصرة ومصر بالخروج عليه الذي
أفضى الى قتله سنة ١٥٥ ميلادية الموافقة سنة ٣٥ هجرية

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ في خلافة علي بن أبي طالب وما كان بينه وبين معاوية ﴾

﴿ من سنة ١٥٦ الى سنة ٦١ ميلادية الموافقة ﴾

﴿ سنة ٣٧ الى سنة ٤٢ هجرية ﴾

لم يتصل قتلة عثمان على الخلافة لانقاد نار الفتنة في جميع الجهات وكان علي (رضي الله
عنه) قبل خلافته مشغولا بعيشته المنزلية وقد يحضر مشورات أهل المدينة
انعقد الرأي بعد عثمان على خلافته لتأثر مجده فبايعه كثيرون منهم طلحة
والزبير ثم سارا الى موسم الحج باذنه فوافيا السيدة عائشة المتوجهة سغمره الى
مكة قبل قتل عثمان بعشرين يوما فتشاورا معها في الاخذ بدم عثمان من
رؤساء قوم علي ورجواها أن تسير معهما الى البصرة ليكون أهلها ومن يسير
معهم من الجازيين حزبا واحدا قسارت وانضم اليها أهل البصرة وبلغ ذلك
عليا وهو مسافر الى العراق فعاد الى البصرة ودعا قوم عائشة
الى

الى ترك القتال فأبوا فكان بين الفريقين قتال نصر فيه عليّ لـكنه لم يهن السيدة عائشة بل احترمها وبعثها الى المدينة في نساء ذوات شرف وبعث معها ولديه الحسن والحسين وأخاها محمد بن أبي بكر وسار الى الكوفة فاتخذها دار خلافته فوفا اليه المبايعون من العراق وخراسان وبلاد الفرس وبحيث جزيرة العرب ثم ظهر بالشام أمر معاوية مع عمرو بن العاص فنارعا في الخلافة وأتيا الى صفين بثمانين ألفا كان بينهم وبين جيش عليّ في مائة وعشرة أيام تسعون معركة قتل فيها خمسة وأربعون ألفا من جنود معاوية وخمسة وعشرون ألفا من جنود عليّ من غير أن ينظر أحدهما بالآخر فحكم الجيشان على معاوية وعليّ أن يحكمهما أناسا بينهما فحكما جمعا قضا أن لاحق لعليّ وشهروا معاوية خليفة فأبى عليّ الحكم واشتكى من غدر وكيله وعاد الى تشهير السلاح فأصر ثلاثة من الخوارج على قتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص لتقطع الحروب الداخلية فتوجه أحدهم الى معاوية فضربه ضربة غير قاتلة والاخر الى ابن العاص فقتل كاتب سره ظاناً انه هو والثالث الى عليّ فقتله فاختر الكوفيون ابنه الحسن خليفة ومعاوية اذذاك خليفة الشام ومصر وبحيث جزيرة العرب وهو أول من جلس من الاموية على كرسى الخلافة قال المؤرخ السني النيساوي قد زالت عادة الامة المحمدية من الساذجية في الضروريات منذ جلس معاوية على كرسى الخلافة وأما الفقه الديني والعوائد التي ورد بها القرآن فقد بقيا بعد الخلفاء الاربعة كما بقى عند الامة المحمدية وعساكر الاسلام طرف من تلك الطباع الجمهورية والسجاياء العلوية التي من شأنها ان تجعل الدول الصغيرة عظيمة وتزيد الدول العظام قوة وشوكة حتى في الايام التي استولى فيها الاجانب الظلمة على تلك الامة

(الباب الثاني)

﴿ في الحالة السياسية ببلاد العرب وقت وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي ﴾

﴿ قح المتنبئين وانارة المسلمين على غربي آسيا من سنة ٦٣٢ الى سنة ﴾

﴿ ٦٩٠ الموافقة سنة ١١ الى سنة ٧١ هجرية وفيه ثمانية مباحث ﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿في عصيان بعض العرب وفتوحات خالد بن الوليد وعكرمة﴾

﴿وغيرهما وكتابة القرآن﴾

لما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) ارتدت قبائل عمان والبحرين ومهرة وحضرموت وظهر مدعو النبوة طليعة في نجد ومسيلمة في اليمامة وقيس قاتل الاسود في اليمن وهم بالعصيان أهل مكة والطائف وسائر اقليم الحجاز فوجه أبو بكر همته لقمع هذه الفتنة وبعث أسامة بن زيد الى البلاد الشامية بجيش هائل أوقع الرعب في قلوب العرب الا أن غطفان وقبائل نجد رأوا المدينة خالية حينئذ من المقاتلة فشنوا الغارة عليها فصدتهم أبو بكر مرتين فرجعوا وقتلوا من بيادهم من المسلمين وانضموا الى حزب طليعة الكذاب ثم قدم أسامة مؤيدا راجعا بجزيل الغنائم بعد وقوع فشل في حزبي طليعة ومسيلمة بمسير سجاح المدعية النبوة بيني تغلب من جزيرة الدجلة والفرات الى نجد فبايعها بنو تميم قوم طليعة وانتصروا ثم توجهت الى اليمامة بطامة كالريح القاصف فبادرها مسيلمة بالقتال وعرض عليها في أثناءه أن يتزوجها ولم ترحل عنه الا بعد أن أخذت نقودا كثيرة

ولم تدخل دومة الجندل تحت طاعة أسامة (رضي الله عنه) واتخذها العصاة والمرتدون ملتجأ فوجه أبو بكر (رضي الله عنه) خالد بن الوليد الى نجد وأوصاه بما أوصى به أسامة من أن يطلب من الاعداء الاسلام أو تأدية الجزية فإن أجابوا والا قاتلهم بشدة عزم وصدق نية من غير أن يقطع أعضاء المغلوبين أو يقتل النساء والاطفال أو يتلف زرعاً أو شجراً مثمراً ثم قدم خالد الى بلاد نجد فانتقاد اليه طيئ وبنو أسد وغطفان وهوازن وسليم وهزم طليعة في واقعة براحة ففر الى صحارى الشام وقبض (رضي الله عنه) على من قتل مسلماً أو ساعد على قتله من غطفان ونجد فكافوا ما بين مرجوم وملق من شواهد الجبال ومحرق وغريق فامتلات القبائل رعباً ثم سار الى بني حنظلة وهم بطن من تميم تابعون لسجاح فشنت

شمل

شمل من لم يبايعه وقتل رئيسهم مالك بن نويرة وتزوج امرأته فليم على ذلك وجاء متمم أخو مالك الى أبي بكر وطلب الانتصاف من خالد فايدته عمر فقال أبو بكر لا أقتل سيفاً سله الله على المشركين ودفع عنه دية مالك لآخيه

ووجه أبو بكر (رضى الله عنه) الى اليمامة سريتين احدهما مع عكرمة بن أبي جهل والاخرى مع شرحبيل بن حسنة فغلبهما مسيلة فامر أبو بكر بتوجهه عكرمة الى عمان وظل الى اليمامة فانقاد بنو حنيفة لخالد وسلموه مدينة هجر بعد قتل مسيلة بواقعة عقرباء التي قتل فيها كثير من القراء فامر أبو بكر بجمع القرآن خشية ضياعه بقتل أهله ووضعه (رضى الله عنه) بعد جمعه تحت يد السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب احدى أمهات المؤمنين (رضى الله عنهن) واستولى عكرمة على مدينة دابا قاعدة عمان وشنت أحزاب المتنبئين لقيط ذى التاج ابن مالك الأزدي وانقاد اليه اقليم مهرة وبنو كندة في اقليم حضرموت وانضم الى المهاجرين أبي أمية أحد رؤساء المجاهدين وقطع دابر من بقى من حزب الاسود باليمن

ووجه (رضى الله عنه) الى أهل الردة بالبحرين وعمان وغيرهما العللاء بن الحضرمي فخاب بجنوده صحراء الدهناء وهزم أمام بلدة جؤاني بنى بكر المتولى عليهم أحد عائلة المنذر ملك الحيرة وفتح جزيرة دوينة فاطفاً ناراً الخروج بالكلية وبذلك صار من في بحيث جزيرة العرب الحقيقية معترفاً بالطاعة للدوام البكرية

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى شدة ميل العرب المسلمين الى الجهاد وتكثير المسلمين ﴾

عَوَدَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) العناية على الجهاد وأعلمهم بنحو حديث جعل رزقى تحت ظل رحى أن الدنيا نصيب المؤمنين بقوة عزائمهم فغلب عليهم فى الجهاد هيام ديني لاسيما اذا حثهم الرؤساء حين تقوم الحرب على ساقتها بقولهم ان الجنة أمامكم والنار خلفكم فانهم بهذه الموعظة المبشرة بالجنة والجماسة

المثيرة طباع الحرب وشدة الضرب والطعن يلقون أنفسهم وسط المعركة فيفوزون في أكثر المقاتلات بالنصر بعد أن ينازل رئيسهم أشجع الأعداء قبل انعقاد الواقعة إلا أنهم كانوا يجهلون تعبئة الجيش العلمية فاعتنوا بعرفة استعدادات أعدائهم الجريبة وانتظاماتهم العسكرية فآخذوا يقلبونهم حتى عودوا عساكرهم الانتظام وعرفوا كيف ينتفعون بفرسانهم بوضعهم على مينة الصفوف وميسرتها وقت القتال وبالجملة توالى للعرب نصرات ضعفت بها الفرس وكذا الروم المنقسمون إلى أحزاب متعادلة لاختلاف أديانها المتعودون أن يستأمنوا على مملكتهم للحماية عنها غرباء مؤجرين لا يعرفون قوة عزائم الأمة العربية ظانين أن حربها كالخروب القديمة التي كان يؤل أمرها إلى الاتفاق والصلح مع الأعداء فضيعوا بذلك زمنا نفيسا لم يتداولوا فيه مع هؤلاء الرجال الذين كانوا إذا نصرروا أو انهزموا لا يزالون مصرين على الزام العدو أما الدخول في الإسلام أو دفع الجزية مع الصغار على أن الرعايا الرومسية كانت فرحة بكم الإسلاميين لما رأت من صدقهم في المعاهدات والمعاملات وعدم تعسفهم وإجفافهم فآخذ الروم يسلمون وكل من نطق منهم بالشهادتين ثبت له الحقوق الإسلامية ثم تكامل اختلاط الروم بالعرب فآخذ كل عربي يتزوج بروميات في آن واحد

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ في إغارة أهل الإسلام على العراق العربي من سنة ١٣٣ هـ إلى ﴾

﴿ سنة ١٣٤ هـ ميلادية الموافقة سنة ١٢ إلى سنة ١٣ هجرية ﴾

كان غرض أبي بكر (رضي الله عنه) من بعث أسامة بن زيد بجيشه استكشاف ما عليه سكان العراق ثم قصد الجدة في فتحه فإوصى عياض بن غنم وخالد بن الوليد بما نطيب وتقوى به نفوس الأمة البدوية ثم بعثهما إلى غربي العراق ففتح عياض دومة الجندل وبلغ العراق من طريق المضيق قبل خالد الذي سافر من بلاد اليمامة فسلك طريق أبله قرب الخليج الفارسي واجتمع مع عياض قرب الحيرة وحارب من يجزيرة دجلة والفرات فنصر عليهم ثلاث مرات وهدم مدينة

أمغيشيا

أمغيشيا وفشا قتله الذريع لكل مبارز فوقع الرعب في قلوب العراقيين مسيرة أيام فاخذ بلا قتال الحيرة والانبار وعين التمروديان المدائن تحت مملكة الفرس الفاشية بها اذذاك أنواع الفشل والفتن وسار الى اغانة عياض حين أوقفته الاعداء عن المسير امام مدينة دومة الجندل فانجده ورجع الى الحيرة فجدد الحرب مع العراقيين وهزم قرب فراض التي على مينة الفرات الروم المنضمين الى الفرس والعرب التغلبيين لصد المسلمين عن العراق ثم ترك جيشه وتوجه سنة ثلاث عشرة الى مكة فنج وعاد متأهبا لاجتياز حدود مملكة الفرس والجولان في أرض فارس اذ ورد اليه من أبي بكر كتاب بتوجهه الى الشام

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ في فتح الشام من سنة ٣٣٣ هـ الى سنة ٣٨٠ ميلادية الموافقة ﴾

﴿ سنة ١٢ الى سنة ١٧ هجرية ﴾

كان العرب يطلقون الشام على بلاد سورية غير مردين به ما بين حدود طورسينا وغرب الفرات الى منابع نهر الاردن بل مردين جميع ما تحته برارى بحيث جزيرة العرب وبرزخ السويدس من الجنوب والبحر الابيض المتوسط من الغرب وطورسينا الاقصى من الشمال والفرات من الشرق

وقد صرف أبو بكر (رضي الله عنه) همته في فتح الشام فقد بعث سرايا وصلت الى مدينتى صور وعكا والجزء الاعلى من مجرى نهر الاردن والى داخل اقليم فلسطين الحقيقي الا أن واقعة عقدت بعيدا عن دمشق فعادت على السرايا الاسلامية بهزيمة بعث بها أبو بكر الى أبي عبيدة مددا وقلده ويزيد بن أبي سفيان وشرحيل قيادة الجيش على أن يكون الاخيران تحت يده عند الاجتماع فقسم أبو عبيدة جيشه ثلاثة أقسام دهموا في آن واحد بصرى ودمشق وطبرية فلم يظفروا بالاعداء لتفرق القوة وأما خالد بن الوليد فامثل أبا بكر وسار بتسعة آلاف من الحيرة الى الشام فنزل جهة تدمر وحوران فمنتظرا وفود المدد

(١٠ خلاصة تاريخ العرب)

اليه من غير أن يحاوب هاتين الجهتين لعله انهما يوصلانه الى نهري الاردن وانطاكية

المبحث الخامس

﴿ في فتح بصرى ودمشق وواقعة اجنادين سنة ٦٣٣ ميلادية ﴾

﴿ الموافقة سنة ١٢ هجرية ﴾

لما وفدت الوفود الى خالد نزل بالجيش أمام بصرى فحاصرها وقاتلها قتالا شديدا فأسلم محافظهم (رومانوس Romanus) ثم أخذت فقرر خالد عليهم الجزية حين سألوه ذلك مع منع الجيش من اغتنام أموالهم. ثم سار الى دمشق فحاصرها وقد بعث اليها هرقل خمسة آلاف رومي وأقام بانطاكية فبعث من في دمشق جوابا بذلك الى هرقل بانطاكية وهو اذذاك كثير الاسلحة والمدائن الحصينة حاكم على بحر الروم لكن عزيمته انحلت باستكثاره الرجال الاسلامية مع استعظامه شدة بأسهم فبعث قائدا بستين ألفا رومي قابلهم خالد على اجنادين بسائر من معه وهم عشرون ألفا قتلوا من الروم خمسين ألفا وفر من يق الى دمشق وحص وانطاكية فرجع خالد وحاصر دمشق من جهة وأبو عبيدة من أخرى فتكلم أهل دمشق مع أبي عبيدة لحلمه وسعة أخلاقه في تسليمهم المدينة على أن يرتحل كل منهم ببعض ماله ولا يقتفى المسلمون أثرهم الا بعد ارتحالهم بثلاثة أيام وفتحوا له أبواب المدينة على ذلك فدخلها وبلغ رجبها فوجد جنود خالد فتحوا جهتهم عنوة وذبخوا سائر من رأوه من الروم فنعهم عملا بالشروط حتى انقضت الايام الثلاث فقبعهم خالد أسرع من البرق فشتت شملهم ورجع غائما

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ في عزل خالد من قيادة الجنود وواقعة اليرموك وانقياد بني غسان ﴾

﴿ سنة ٦٣٦ ميلادية الموافقة سنة ١٥ هجرية ﴾

بينما خالد بدمشق اذ بلغه وفاة الصديق وجلس عمر بن الخطاب المشهود له بالاعتناء بالضبط والربط فقد كان يسهر الليل في خفارة المدينة المنورة لئلا يصل الى أغنياء الغرباء أذى وشكا اليه يهودى من عامل فكتب اليه اما أن

تعديل

تعدل حتى لا يحصل شكوى وأما أن تدع الحكم وكان في نفسه (رضي الله عنه) شئ من خالد منذ قتل مالك بن نويرة السالف فلذا عزله عن امرة الجنود حين استخلف فامثل خالد لان يكون تحت امرة أبي عبيدة بن الجراح المعترف له بالشهامة وحسن خدمته الحربية ومستشيريه في كل ما يقتضى الاستشارة واستمر (رضي الله عنه) مع أبي عبيدة مشغلا بالحروب المفيدة فقد أنجد سرية ذهبت الى سوق آبل الموسمى لتنال منه غنمة ثم فتح حصن ومدينة (أريطوس Arethus) التي على نهر انطاكية المسمى العاصى ومدينة حماه وغيرهما بعد أن هزم الروم وبني غسان ثم فتح قنسرين عنوة فبعلبسك ثم سار سنة أربع عشرة مع أبي عبيدة لفتح انطاكية فبلغهما ان هرقل جهز من انطاكية جيشا يمنع الجنود الاسلامية من بلوغ انطاكية ومن فلسطين جيشا آخر بأنهم من خلفهم فرجعوا لصد جيش فلسطين عن المرور الى انطاكية وعسكرا على شاطئ نهر اليرموك الذى يصب في نهر الاردن بجنوب بحيرة طبرية وقدم قسطنطين بن هرقل بمائة وأربعين ألفا يقدمهم الغسانيون تحت قيادة شيخهم جبلة بن الأيهم المرتد عن الاسلام لينتقم من عمر (رضي الله عنه) لحكمه عليه بما سلف وذهب قسطنطين الى قيسارية وفرق كائبة على مدائن الساحل من غزة الى طرابلس فكان بين الفريقين الحروب أياما انهزم فيها المسلمون ثلاث مرات ثم أيد الله خالدا بالظفر بهم وأسلم الغسانيون ماعدا جبلة فزال مصراعلى رده الى أن مات بالقسطنطينية التي كانت بها ذريته حتى فرت من الملوك العثمانية الى جبال الجراكسة في القرن الخامس عشر من الميلاد

﴿المبحث السابع﴾

﴿في فتح القدس وحلب وانطاكية ومدن السواحل﴾

﴿وجزيرة دجلة والفرات﴾

حاصر عمرو بن العاص مدينة القدس والبطرك (سوفرونيوس Sophronius) يحامى عنها ثم حاصرها أبو عبيدة مع خالد حتى بلغ أهلها الجهد فرضى سوفرونيوس

بشرط عقد الشروط مع الخليفة عمر فسافر (رضي الله عنه) الى القدس وأمضى الصلح وألزمهم دفع الجزية وبنى بموضع المعبد الذي بناه سليمان (عليه السلام) مسجدا عرف بمسجد عمر ثم عاد سنة ست عشرة معه عمرو بن العاص الذي أعده لفتح الديار المصرية

وبلغ ابن الخطاب (رضي الله عنه) فتح خالد لمدينة الرملة فرضى عن خالد وأعاده أميرا على المجاهدين فسار لفتح انطاكية وحلب من وسط سهول دمشق وأبقى في فلسطين يزيد ومعاوية ابني أبي سفيان ليأخذوا قيسارية وسائر مدائن الساحل من قسطنطين بن هرقل فاهلكا أكثر جيش قسطنطين حتى خرج هو من قيسارية فاخذها يزيد ومعاوية مع عسقلان وغزة وبابلس وطبرية وعكا ويافا وبيروت وجبلة واللاذقية بلا قتال وأما خالد وأبو عبيدة فاخذوا مدنا وحصونا تركاها حين تفهقروهما الى بحيرة طبرية في المرة السالفة وحاصرا مدينة حلب أربعة أشهر منعهم فيها الدخول جندى رومى يسمى (يوقبا Youkina) بحصن قريب منها ثم اهتديا الى طريق وسط صحور فاخذوا المدينة وارتحل هرقل عن انطاكية وترك بها جيشا هزمه خالد وأبو عبيدة وهجما على حصن أوراى سنة سبع عشرة فانقاد أهل انطاكية لتسليمها على أن يدفعوا للسليين ثلثمائة ألف من نقود الذهب ليعفوا عن قتلهم ونهبهم فكان ذلك ثم وجه أبو عبيدة سرايا أخذت منبج وصور وطرابلس وغير ذلك من المدن التى بها عساكر رومية وكان بذلك استيلاؤهم على سائر البلاد الشامية

ونقل بعض المؤرخين ان هرقل أراد سنة سبع عشرة هجرية أخذ البلاد الشامية فبعث أسطولا الى انطاكية وهجم روم وعرب جزيرة دجلة والفرات على حصن فعصت انطاكية وقنسرين وحلب والقريتان المسميتان بالحاضرتين بجوار حلب وقنسرين مع بقاء قيسارية تحت سلطنة الروم وجع أبو عبيدة جنوده في مركز واحد وبعث له عمر بن الخطاب جنودا تغزو جزيرة دجلة والفرات لتتحول الأعداء عن الشام الا أن عرب الجزيرة والحاضرتين انقادوا الى خالد وسالموه فولات الروم الادبار

وأخذ

وأخذ المسلمون ثانيا قنسرين وحلب وانطاكية بلا حرب وأسلم بنو تنوخ وجرهم المنتشرون في تلك البلاد الى نواحي تدمر

ولكثرة ثمرات البلاد الشامية توطن بها معظم الفاتحين ثم انتشر بها سنة ثمان عشرة هجرية طاعون مات به أكثر من خمسة وعشرين ألفا منهم أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد بن أبي سفيان ونجا منه خالد واتهمة ابن الخطاب في بيت مال المسلمين فعزله عن الامارة على الجنود فصبر (رضي الله عنه) حتى مات سنة احدى وعشرين هجرية فاجد بتركته سوى جواده وأسلحته وجاريته

وقلد ابن الخطاب (رضي الله عنه) عياض بن غنم حكومة حص وشمال بر الشام وأمره أن يفتح جزيرة دجلة والفرات المتهدمة قلاع واسوار مدنها منذ حرب الروم وفارس ففتح فيها بلا قتال سنة عشرين الرقة وسروج وحران وارقة موطن الخليل (عليه السلام) وقسطنطينية ونصيبين والموصل وآمدودار اسغنى (نسبة الى رأس عين) ثم أسلم عرب الجزيرة ماعدا التغلبيين ملتزمين الجزية وامابنواياد فلم يسعفهم هرقل لضعفه حتى تحصنوا ببلاد (قبادوث Cappadoce) فاسلموا واجتمع سائر القبائل العربية آخر سنة عشرين هجرية على الاسلام

وسمى المسلمون بلاد ميزو بوتاميا بالجزيرة وقسموها أربعة أقسام ديار الجزيرة وقاعدتها الموصل على نهر الدجلة بازاء نينوى وديار بكر بشواطئ الفرات وقاعدتها آمد الروميسة وديار مضر الشاملة للبلاد التي تسميها الروم أو شروين وقاعدتها الرقة وديار ربيعة الشاملة للاخطاط التي بين الفرات وأعلى الدجلة وقاعدتها نصيبين

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في اغارة المسلمين على أرمينية واناصول والسواحل والجزائر﴾

﴿البحرية والقسطنطينية وما كان من ملوك الروم في حق﴾

﴿النصارى المردانية﴾

لما فتح المسلمون جزيرة النهرين اغاروا على ايلة أرمينية فهزموا أهلها وألزموهم

تأدية الجزية سنة ١٤١ ميلادية الموافقة سنة ست وعشرين هجرية لشقاق بينهم أنساهم الحب الوطني وتقدموا الى جبال الجرا كسة ففتحوا بلاد ايريه التي هي جزء من بلاد شروان وصددهم الحزر ببلاد جرجستان فساروا الى بلاد اناضول من جهة اقليم قبادوث وفريجيا فاخذوا عمورية من اليونان ثم خرجت عن الحكم سنة ١٧٧ ميلادية الموافقة سنة ثمان وأربعين هجرية فلم يغيروا على تلك البلاد الا بعد نصف قرن

وأنشأ معاوية بن أبي سفيان عامل الشام أسطولا سافربه في البحر فاخذ سنة سبع وعشرين هجرية جزيرة قبرص وضرب عليها جزية تساوى نصف ايراد الشام وسنة تسع وعشرين جزيرة قريطش وجزيرة كوس وجزيرة رودس ثم انفرد بالخلافة وحارب سنة ست وثلاثين الروم بحرا وأهلك جزءا من سفن قسطنطين الثاني في خليج ايسالوق بسواحل اقليم (ليسيا Lycie) (من اناضول) في سفح جبل فينسكس ثم صنع أساطيل سار بها زمن الربيع سنة ثلاث وخمسين حتى بلغ سواحل بحر مرمرة فنزل غرب القسطنطينية ومكث محاصرها ست سنين يؤخر كل سنة في تشرين الثاني أساطيله الى مبنى سيزيقة التي استولى عليها ثم يعود للحصار زمن الربيع فاخترع ملك القسطنطينية قسطنطين الرابع الملقب (بوغانات Poganat) نارا أحرقت سفن المسلمين فعادوا سنة ستين الى الشام وفي أثرهم جيش رومي أخذ يسطو عاهم فأمنت القسطنطينية والاناضول اغارة المسلمين بل أراد بوستينان الثاني ملك الروم ان يأخذ البلاد الشامية سنة سبع وستين فبعث له عبد الملك وهو الخليفة الرابع بعدمعاوية عطايا وعاهده لاشتغاله عن ينازعونه الخلافة ثم تمكن حكمه في مملكته فظهر على الروم من الكبرياء ما لم يقع مثله وانتصر وأيد الاسلام في البلاد الشامية فانحاز الى جبل لبنان من النصاري جمع تسموا بالنصارى المردانية وأخذوا يتقدمون في الاغارات على البلاد الشامية حتى بلغوا دمشق مع تمسكهم بعقائد الكنيسة اللاتينية ومخالفتهم عقيدة الروم فبعث اليهم بوستينان الثاني قائدا أو همهم انه يريد التداول مع رئيسهم ثم فتك به وهجم عليهم الروم فخيّلهم

بخیلهم سنة احدى وسبعين هجرية فبعثوا منهم ألفا ومائتين الى بلاد أناسول وبقيت بلادهم مفتحة للمسلمين من ذلك الوقت وهو سنة ١٩٠ ميلادية الموافقة سنة ٧١ هجرية

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ في فتح مصر وفارس وافرريقية وما وراء نهر جيحون من سنة ٦٣٨ ﴾

﴿ الى سنة ٦٨٠ ميلادية الموافقة سنة ١٧ الى سنة ٦١ هجرية ﴾

﴿ وفيه ثمانية مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في فتح مصر وحالها حين ملكها ابن العاص ﴾

كان في القسطنطينية وكل اقليم تابع لها أحزاب من الروم ذوو ديانات مختلفة أبدت ضغائن بينهم الا أن من في القسطنطينية كانوا يسترون مقاصدهم الباطنية بمناظرات في العلم اللاهوتي بخلاف من في تلك الاقاليم فانهم كانوا يتحولون من النزاع في العقائد الدينية الى مسألة اختلاف جنسية أمهم الموجب لاشهار السلاح بينهم كما شوهه ذلك في مصر فان فيها اذذاك أناسا من الاروام متغلبين عليها متدينين بذهب الرومانيين وآخرين من ذرية الامة المالكة لمصر في عهد البطالسة متدينين بذهب (أوتوقيس Entychès) من اعتقاد أن عيسى اله تجسد وليس بشرا انضم الى هذا الحزب يعقوب البرادعي أسقف مدينة ايدسة التي محلها الآن ياقا فاغراهم على اشهار السلاح على الحزب السالف فاتبعوه ثم مات سنة ثمان وسبعين وخسمائة بعد الميلاد فارتاح منه المصريون الذين رضوا برئاسة المقوقس عليهم لما له من المهارة والحيل وولايته مصر زمن اغارة أتوشروان عليها فاخذ يجبي الخراج لنفسه من غير أن يبعث منه شيأ الى ملوك القسطنطينية ولا الى ملوك المداين فكثر ماله وغمر أبناء وطنه بالعطاء فازداد نفوذ كلمته عليهم وأتى اليه من النبي (صلى الله عليه وسلم) سفير فبعث هدايا

قبلها (صلى الله عليه وسلم) ولذا كان حليفا نافعا للمسلمين
وقد أسلفنا أن ابن الخطاب (رضى الله عنه) رجع بعد فتح المقدس؛ حمرو بن العاص
ليوجهه الى مصر لما له من العزم والحزم والشجاعة في فتح الشام ووقائع الاسلام الاولى
ثم أذن له في التوجه الى الديار المصرية فسا فر من غزاة باربعة آلاف مقاتل بلغوا مدينة
بيلوزة قرب الطينة بناحية دمياط وهزم المصريين في مدخل برزخ السويس وسار
فعسكر أمام مدينة فامية مفتاح اقليم الوجه البحرى من مصر وأخذها بعد شهر
سنة ثمان عشرة من الهجرة فكان له سلوك طريق الساحل الموصلة الى جميع
المدن حتى اسكندرية الا أنه توجه في الصحراء الممتدة من النيل الى السويس
حتى بلغ قصر الشمع فلبث يعانى قحسه سبعة أشهر لم يحصل فيها على طائل
لاتفاق الروم والقبط المحاربين بها تحت قيادة المقوقس الذى غرهم بعد
وجبرهم على ترك القلعة على ان يعترفوا بحكم المسلمين عليهم ويدفعوا لهم في
كل سنة دينارين ويبقى على دينه من أراد منهم ثم دخل ابن العاص القصر
سنة عشرين واتخذته تحت حكمه

﴿ البحث الثانى ﴾

﴿ فى فتح الاسكندرية ﴾

لما دخل ابن العاص القصر نشبت الروم ثم اجتمعوا في كوم شريك فسار اليهم
وهزمهم واقتنى أثرهم حتى اجتمعوا بالاسكندرية فحاصرها حتى ملكها ٢١
دسمبر سنة ٤٤١ ميلادية الموافقة ٢١ هجرية بعد أربعة عشر شهرا من
حصارها وفر حزب من الروم الى السفن وبقي داخل المدينة حزب آخر أرادوا
القتل بالمسلمين فاخرجهم ابن العاص وتبعهم حتى شئت شملهم وعاد الى الاسكندرية
فوجد من فروا الى السفن عادوا اليها وقتلوا محافظا عليها من رؤساء المسلمين
فاخرجهم وتردد فى أن يغنم مافى الاسكندرية ويهدمها أولا وكتب بذلك كتابا
الى ابن الخطاب (رضى الله عنه) فلامه على ذلك فوضع الجزية والحراج
ورتب لتفصيل ذلك رجالا من القبط لمعرفة درجات الناس ولعنهم فحصلت أموال
كثيرة

كثيرة صرف معظمها في مصالح الديار المصرية كتجديده بجر القلزم العتيق الذي كان يصل النيل بالبحر الاحمر وهم بحضر برزخ السويس ليصل ببحر دمياط بالبحر الاحمر فنعه ابن الخطاب لثلا يفتح للروم طريقا الى مكة والمدينة وبنى الفسطاط بدل منف التي انهدمت وكان المصريون يضطربون اذا لم يبلغ النيل الارتفاع المعلوم زمن الفيضان فنقص ابن العاص أذرع المقياس

وتقل عن بعض المؤرخين ان ابن العاص شاور ابن الخطاب (رضى الله عنه) فيما يفعل بكتبخانة سراييون الشهيرة التي بالاسكندرية فأمره بإحراقها فأثلا ان كانت مخالفة للقرآن فخره أو موافقة فغير نافعة وهو بعيد عن الصدق فانه فعل وحشى لا يصدر حال الهدوء والسكون على ان دعوى عدم نفعها اذا كانت موافقة ضعيفة أو باطلة لا يصح نسبتها الى هذا الخليفة المشهود له بوقور العقل لدى سائر الامة ولذا لم يذكرها أحد من المؤرخين المعاصرين له (رضى الله عنه) ولو فرض صدور أمره بإحراقها فما كان الا لمقدار قليل فان معظمها أحرق في عهد الملك تيودوس سنة ثلاثين وتسعمائة بعد الميلاد

وأُتلف ابن العاص سور الاسكندرية عند قيام سكانها على المسلمين فان عثمان بن عفان (رضى الله عنه) عزله عن مصر حين ولى الخلافة فعز ذلك على المصريين لحسن تذييره ثم هجم الروم على الاسكندرية وأخذوها فخاف القبط أن ينتقم الروم منهم على ما كان من جبنهم وخيانتهم فبعثوا الى عثمان (رضى الله عنه) سفراء يرجونه اعادة ابن العاص الى ولاية الديار المصرية فعاد وحاصر الاسكندرية وأريق دماء كثيرين من المسلمين حال هجومهم على السور خلف ليهده منه فهدمه وبنى بالموضع الذى أوقف فيه عساكره جامعاً سماه جامع الرحمة

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في غزو المسلمين بلاد النوبة وبلاد برقة وسائر فتوحاتهم الواصلة﴾

﴿الى صوفيطة المعروفة بصطفورة﴾

لما فتح ابن العاص مصر وجه سنة ٤٣٤ ميلادية الموافقة سنة ثلاث وعشرين جيشاً

(١١ خلاصة تاريخ العرب)

ملك بلاد النوبة وضرب عليها جزية ثم سار ابن العاص بجيش ملك به (سيرينة Cyrénaïque) وسائر الايالة حتى برقة ثم رجع الى مصر ليستعد لفتح شمال افريقية فعزله عثمان بن عفان (رضى الله عنه) بعبد الله بن سعد الذى فتح قنوجات في شمال افريقية سنة أربع وعشرين وحاصر سنة سبع وعشرين طرابلس فقبض ثم رفع عنهما الحصار لفتور همة من معه بالتفاتهم الى المغامر بعد أن كان القصد توسعة الدائرة الاسلامية لكن ابن سعد أمر بعد ذلك الزبير فسار بجيش قابله البطريق (غريغوار Grégoire) حاكم جميع الاقاليم الرومية التى فى غرب افريقية بمائة وعشرين الفا من البربر والروم قرب مدينة يعقوبة فهزمت الزبير بعد أيام وقتله وسبي ابنته وأغار على اقليم بيزاسنة (المسمى الآن بلاد النخل أو الجريد) وعلى البلاد التى كانت تحت يد القنصل الرومانى وتحتها مدينة قرطاجنة وعلى اقليم (نوميدية Numidie) (المسمى الآن اقليم قسنطينة) وعلى موريتانية القيصرية وموريتانية السيتيفية اللتين من جملتهما اقليم مدينة الجزائر ومدينة تلمسان ثم أغار على الجزء الذى لم يكن تحت أيدى (ويزيغوث Wisigoths) اسبانيا من اقليم موريتانية الطنجية (المعروف الآن ببلاد مراكش وفاس وطنجة) وأغار على مدينة صوفيطولة (المعروفة بصطفورة) وانقاده جميع بلاد طرابلس ولم تبق مدينة من ابتداء صحراء برقة الى بونغاز جبل طارق الأسلمت لامر الزبير وأدت اليه الجزية التى كانت تدفعها لقيصر الروم وقد فرق من الغنمة على كل فارس ثلاثة آلاف دينار وعلى كل راجل ألف دينار فبعثه ابن سعد ليبشر أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالنصر فاصعد منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليقص ذلك على الناس ثم أخذ ابن سعد من روم قرطاجنة وغيرها مليونين وخمسمائة ألف دينار جزية وعاد بجيوشه الى مصر فتعجب سلطان القسطنطينية من دفع الروم هذا المقدار وادعى أن نوابه بتلك البلاد خانوه فطلب منهم خراجا أكثر مما أخذه منهم أولا ثم طلب الامبراطور (قونستانت Constant) الثانى من حاكم ذلك الاقليم الافريقى مثل ما أخذه ابن سعد فأبى والتجأ الى معاوية وقد آلت اليه الخلافة فرفضه على فتح هذا الاقليم

الاقليم وأراه ضعف الروم وخصوبة الاقليم وكانت الجزية التي أخذها ابن الزبير من سكان هذه البلاد في مقابلة حمايتهم من غارات البربر المستقلين بحكم أنفسهم فانهم كانوا ينزلون على حين غفلة من جبل أوراسيوس (المعروف الآن بجبل أوراس) فينقضون على المدائن الحصينة فيذبحون الجنود المنعزلة عن الجموع وينهبون المواشى ومحصل الاراضى ثم يعودون الى جبالهم التي لم تقدر قواد عساكر الروم على اقتفاء أثرهم فيها بل حاولوا منع تلك الغارات الدورية فلم يجد ذلك شيئاً فأخذوا يسالمونهم وعقدوا مباحة معهم حتى انقادوا لابن الزبير بعد تلك النصره التي أبدى فيها من الشجاعة ما أخذ بالباب جميع الناس

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ في الاغارة الثانية للسليمان على شمال أفريقية ﴾

﴿ وماثر معاوية بن حديج وعتبة بن نافع ﴾

لما أظهر حاكم أفريقية ما سبق الى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وجهه (رضي الله عنه) سنة خمس وأربعين معاوية بن حديج والى الديار المصرية بجيش فتح اقليم بيزاسينة وجميع سواحل البحر الابيض ثم عدة مدائن منها جلولا التي فرق من غنيمتها على كل مجاهد ثلثمائة دينار فولى الخليفة على ما فتح من أقاليم أفريقية لتدبير أمورها الداخلية وتوسعة دائرة الفتح عتبة بن نافع لما له من الشجاعة المخبورة وسلامة الطوية والكرم وشرف النفس فتوجه وأخذ يجاهد بجنوده شمال أفريقية حتى بلغ المحيط الاطلنطى فقال اللهم رب محمد لولا أن أمواج هذا البحر تعوقني لذهبت لأنشر مجد اسمك العظيم في أقصى حدود الدنيا وبنى قرب مدينة قرطاجنة مدينة سماها القيروان خلفت قرطاجنة المعاصرة لرومية المدائن وصارت كرسى أفريقية ثم عمل بأفريقية غزوات سريعة التقدم منها غزوة بعيدة عاد منها متخلفا عن جيشه في أكبر رجاله فانقض عليه البربر كالجراد فقاتلهم باصحابه حتى استشهدوا فسار البربر الى القيروان وطردها منها المسلمين فتقهقروا الى مدينة برقة سنة ٤٨١ ميلادية الموافقة سنة اثنتين وستين هجرية

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في اخبار الفرس وفتح بلادهم﴾

انتشر الاسلام بمشارك الارض حين انتشاره بمغاربها فانه لم يتجاوز سنة ثلاث عشرة شواطئ الفرات فما أتى بعد ذلك أربعون سنة حتى ظهر في شرق الفرات وبلغ نهري جيحون والسند

وأول اقليم طمعت اليه أنظار العرب اقليم كندة لاشتماله على مدخرات الملوك السجوقية والفارسية ونضارته بالمياه والسهول الخصبة والبساتين النضرة لكنهم لو ملكوا هذا الاقليم وسلكوه الى جهة نهر السند ورأوا ما فيه من الجبال المقفرة والرمال المجذبة والمسالك المتباعدة لزال رغبتهم فيه

وبعث خالد وهو بالعراق الى المدائن تحت مملكة الفرس كتابا يتهديدهم فأمره أبو بكر بحصار دومة الجندل ثم بعثه الى الشام فابقي بالعراق المثنى بن حارثة في جمع قليل لا يقدر على حفظ ما فقه خالد من البلاد الشرقية المأخوذة من الفرس فطلب من المدينة حين وفاة أبي بكر مددا يحفظ ذلك وان كان بمملكة الفرس عقب جلوس ابنتي كسرى ابرويز اضطراب يمنعهم استنقاذ ذلك من المسلمين

ثم قلد عمر بن الخطاب أبا عبيدة قيادة الجيش ووجهه الى الفرس ومعه المثنى ابن حارثة دليلا فاتصر على الفرس في وقعات نيماريك وسقاطية وقسيطة فبعث رستم نائب بنت كسرى جيشا قاتل أبا عبيدة في قس الناطف وهزمه وراى رستم قلة نفوذ كلته فاشرك معه في الكامة فيروزان فوقع بينهما فشل انتهز به المثنى نصرته على الفرس في واقعة مهران قرب الموضع الذي بنيت فيه الكوفة بعد وصال في بلاد الحيرة وعبر الفرات وجزيرة دجلة والفرات وهزم أمام تكريت فغير وتغلب المعاهدتين للفرس فولى رستم وفيروزان يزجر الثالث بن شهر يار بن ابرويز السلطنة فزال الحزب وتفرق الكامة بوحدتها التي أخرجت المثنى من العراق الى الصحراء ثم مات أبو عبيدة (رضي الله عنه) في قس الناطف لجراح اصابته ونجا من بقي من العسكر لقتل بين أكابر دولة فارس ولولاها ما نجا منهم أحد

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ في واقعة القادسية ﴾

تولى يزيد جبر الثالث السلطنة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ميلادية في سادس عشر حزيران
المعتبر مبدأ لتاريخ الفرس وأراد الانتقام من الامة العربية فبعث سنة أربع
وثلاثين وستمائة الموافقة سنة ثلاث عشرة هجرية رستمًا بمائة وعشرين ألفًا قاتلوا
بقرب القادسية سعد بن أبي وقاص متولى الجنود من قبل ابن الخطاب فكان
بين الفريقين ثلاث وقائع واحدة في يوم أرمات لم ينصر فيها أحد وأخرى في يوم
اغواث انتصر فيها العرب وثالثة في يوم عماس قتل فيها رستم وانهمزمت الفرس
وغنمهم المسلمون فجعل ابن أبي وقاص خمس الغنمة لبيت المال وأعطى من الباقي
سنة آلاف درهم للفرس وألفين للراجل فرأى ابن الخطاب توزيع الخمس
على الجنود ونقل القراء في العطاء على حسب درجاتهم

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ في انشاء العرب الكوفة والبصرة ﴾

﴿ وأخذهم المدائن تحت مملكة الفرس وواقعتي جلولاء ﴾

﴿ ونهاوند وهرب يزيد جبر ومقاومة هرمزان للعرب ﴾

أخذ سعد بن أبي وقاص الحيرة فانشأ المسلمون بعد سنة الكوفة على ثلاثة
أميال من الحيرة في الجنوب الشرقي فصارت مركز الحكومة وأخذوا ذاك عتبة
ابن غزوان مدينة ابلة قرب الخليج الفارسي فاخبطت البصرة على أربعة فراسخ
منها فكانت مركزا لمتاجر الهند وآسيا الشرقية وأخذ ابن أبي وقاص أيضا
ساباط ونهر شير وكذا المدائن سنة ٦٣٧ ميلادية الموافقة سنة ست عشرة
هجرية فبعث الى ابن الخطاب تاج كسرى الاكبر وعلم دولته

وقد فر يزيد جبر من المدائن الى حلوان عقب واقعة القادسية وججع جيشا هزمه
المسلمون في واقعة جلولاء مجتمع دجلة والفرات ففر الى مدينة اصطخر وأخذ
ابن أبي وقاص بلاد بابل المعروفة بالعراق العربي ثم سار الى اقليم كردستان

بشاطئ الدجلة فآخذ تكريت والموصل ثم حلوان فخاربه يزدجر بجهة نهاوند
فأخذهم المسلمون قتلاً ثم ساروا إلى العراق العجمي وأذربيجان الواقعين بالساحل
الجنوبي الشرقي من بحر جرجان المسمى بحيرة الخزر فأخذوا أصفهان فهمدان
فقروين فتوريز وساروا إلى بلاد خيروان وأقليم أرمينية فنعهم بأرمينية الرومانية
نصارى هاجروا إليها من الشام وبشمال أذربيجان خزر أزالوا تحصينات بأقليم
كوكار وخرَّبوا أقليم جرجستان وأرمينية الفارسية فرجع العرب إلى ناحية
کردستان وعبروا دجلة من تجاه الموصل وذهبوا لمساعدة جيش الشام وفتحوا
أقليم خوزستان وفارسستان وأخذوا الأهواز ومدينتي شتر وجند يسابور
وطردوا يزدجر من مدينة جهل منار فهرب بعد مناوشات إلى مرو بخراسان
ونقل إليه النار التي كان يعبدها .

واستعد المرزبان هرمزان لقتال العرب في إقليم سوزيانة الذي فرق في حصونه
عساكره وقائلهم زمناً طويلاً حتى بلغه الجهد فسلم نفسه إلى المسلمين فبعثوه
إلى ابن الخطاب (رضي الله عنه) فتعجب منه حين رآه مضطجعاً مع الفقراء على
درج المسجد الكبير على ماله من شوكه الملك والخلافة فاشتكى الظمأ لينال العفو
على عادة العرب من عفوهم عن شرب مياهم ففهم عمر ما أراد وحلف أن لا يقتل
إلا إذا شرب الماء فكسر المرزبان قدح الماء فعفا عنه وأسلم ووتعت مملكة الفرس
في قبضة الخليفة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿ في أخذ العرب إقليمي كرمان ومكران وخراسان وزوال سلطنة ﴾

﴿ الفرس وانقطاع فتوحات العرب في آخر القرن السابع من ﴾

﴿ الميلاد الموافق لسنة ثمانين هجرية ﴾

توجهت الجنود الإسلامية قبل فتح شمال مملكة الفرس إلى إقليمي كرمان
ومكران اللتين على ساحل بحر الهند وصدوا نجدة من الهنود إلى خلف نهر
السند ثم توجهوا إلى الري الموصل إلى أقاليم هراة ومازندران ومرجيان بشمال
خراسان

خراسان وبلغ واقليم پارويا ميروس واقليم اراخوسيا (هو الآن بلاد كوكر)
 ثم ساروا الى سجستان فقاتلهم بها يزدجر بجنوده وأمدّه (تايي تسنخ Tai-Tsong)
 سلطان بلاد الصين والتتار الى بحر جرجان بخمسين ألفا غضبوا من يزدجر لفخره بقوته
 فكان بينهم وبينه قتال انتصر به المسلمون عليهم وأخذوا سجستان وأخذوا الحنف
 مرو وهراة وبلغ ونيسابور حين أمره ابن الخطاب بفتح خراسان ومازال يحارب الفرس
 حتى أزال بعد شهرين سلطنتهم سنة ٦٥٢ ميلادية الموافقة سنة ثلاث وثلاثين
 هجرية فالتجأ يزدجر الى تايي تسنخ فسلط عليه من قتله على شواطئ نهر هرغال
 فانقضت عائلته أردشير بن بابك بعد ثلثمائة وتسع وعشرين سنة شمسية من سلطنتها
 ثم ساروا الى الجهة الشرقية وراء نهر جيحون فلم يملكوا الشدة منازعة الاعداء
 الامدينة ترمذ في أثناء سنتي ٦٧٣ و ٦٧٤ من الميلاد الموافقتين لسنتي أربع
 وخمسين وخمس وخمسين هجريتين نعم أخذوا في الجهة الغربية وراء جيحون
 كرسى خوارزم وفرضوا الجزية عليها وعلى مدينتي قط وزمخشر سنة ٦٨٠ ميلادية
 الموافقة سنة احدى وستين وشغلوا اقليم جرجان ومازندران الآن البربر طردوهم
 من القبروان سنة اثنتين وستين هجرية الى بلاد بركة

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ من المقالة الثالثة في خلفاء الممالك الاسلامية من سنة ٦٦٠ ﴾

﴿ الى سنة ٧٠٥ الموافقة سنة احدى وأربعين هجرية الى ﴾

﴿ سنة سبع وثمانين ﴾

﴿ وفيه ثلاثة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في زوال قوة الحزب العلوى ﴾

كانت سادات قريش تبغض (النبي صلى الله عليه وسلم) ثم دخلوا في الاسلام
 لحمله عليهم فكانوا ذوى شرف وأئمة بين العرب حتى ولي الخلافة ابن الخطاب

وأزال أنفهم فأجمعوا بعد وفاته على تولية عثمان وأخذوا يظهرون شرفهم بتنفيذ كلمهم على عثمان فخلص من تعليمهم فخلصوا عن تعذيبه وحرصوا الناس بخطهم في الممالك الإسلامية على العصيان حتى قتل فأخذوا يقاتلون ابن أبي طالب محجين بأخذ الثأر حتى عجزوا فسلطوا عليه من قتله غدرا فانتقلت الخلافة إلى ابنه الحسن ثم تنازل عنها سنة اثنتين وأربعين إلى معاوية الذي انفرد بها فقمع الخوارج وجازى ابن العاص على انتصاره له بإعادته إلى ولايته الديار المصرية واتخذ دمشق تحت الممالك الإسلامية فشق ذلك على أهل مكة والمدينة محجين بأن لهم انتقاب الإمام من عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وكذا أهل الكوفة محجين بأنهم أكثر عددا وأكبر شجاعة مع إقامة عليّ (رضي الله عنه) بينهم المقتضية لشرفهم فقام زياد بن أبي سفيان فقتل في أقل من نصف سنة من البصرة أكثر من ثمانية آلاف رجل ومن الكوفة جرا أتقى رجالها لتعظيمه عليّ بن أبي طالب وقتل الحسن بن عليّ في المدينة بسنة سنة اثنتين وأربعين وعبد الرحمن بن خالد مروّع بني أمية بشجاعته وآخرين وحكم بقتل السيدة عائشة فرعب الحجازيون والعراقيون وصبروا وأراد معاوية أن يجعل الخلافة وراثية لعائلته بأن يعهد بها إلى ابنه يزيد فعارضه زياد بن أبيه حتى مات فاعترف الناس بالخلافة ليزيد بعد أبيه حتى توفي معاوية وجلس يزيد سنة ستين فاراد العراقيون إعطاء الخلافة لنسل عليّ حيث كانوا أقرب الناس للنبي (صلى الله عليه وسلم) وطرّدوا الحاصم الذي بعثه يزيد وأرسل أعيان العراق إلى الإمام الحسين ليولوه الخلافة فسار إلى العراق بسبعين نفسا بلغ بهم شواطئ الفرات وبعث له عبيد الله نائب يزيد بن معاوية شمرا الخبيث ليقتله فطلب منه الإمام الحسين أن يسير معه إلى يزيد في أمن أو يعود إلى المدينة فإني شمّر فقاتله الحسين إيمان معه حتى أحرق به عساكر يزيد وضربوه فوق مضرجا بالدم على أصحابه الذين رمهم الأعداء ولم يبقوا إلا أخوات الحسين وولده زين العابدين وكان صغيرا فأمر يزيد بإعادته مع السيدات إلى المدينة

ولم يجد الكوفيون رئيسا يولونه الخلافة بعده فصبروا حتى بلغوا أمنيته سنة احدى وستين وقد ظنوا أن تبجيله (رضى الله عنه) بعد وفاته ينفي عنهم عار جبنهم المخلد واتخذت شيعة الأجم الى زمننا هذا يوم موته وهو عاشر المحرم موسما لجنارته يظهر فيه الحزن على موته

﴿ المبحث الثاني ﴾

﴿ في خلافة عبد الله بن الزبير بمكة مخالفا لبني أمية ﴾
 ﴿ وظهور آخرين يدعون الخلافة وتسكين الججاج الثقفي ﴾
 ﴿ ما بداخل المملكة الاسلامية من الفتن ﴾

تفجع الجازيون على قتل الحسين وأصحابه فعصى عبد الله بن الزبير بني أمية وحرص عليهم قبائل قريش فدعاه أهل المدينة للإقامة بينهم وطردها والى المدينة من قبل يزيد بن معاوية فاقتدى بهم أهل مكة والمدن القريبة منها وتلقب ابن الزبير بالخليفة فبعث له يزيد جيشا هجم على المدينة ثم حاصر مكة سنة أربع وستين وأشرف على فتحها واذا يزيد قد مات بحدوران في ربيع الاول من هذه السنة فرجع الجيش الى الشام

وأعلنت جزيرة العرب ومصر والعراق وخراسان بالانقياد لابن الزبير الذي تأخر مع ذلك عن ازالته الخلافة الاموية من دمشق حتى عينوا معاوية الثاني ابن يزيد فتقلدها بعد امتناع وتنازل عنها بعد ستة أسابيع خلفه مروان بن الحكم مشرطا تولية خالد بن يزيد بعده ثم هزم جيوش ابن الزبير وانقاد له حصص وجزء من جزيرة دجلة والفرات فصرف همته الى مصر فاخذها ممن ولاه ابن الزبير عليها وترك بها بعض أولاده يأخذ الخراج والجزية وحرم مكة والمدينة من القمح الذي كان يرسل اليهما في بحر السويس المسمى القلزم فتبدلت أحوال خلافة ابن الزبير وذهب أخوه مصعب لاخذ دمشق فهزمه الاموية الى البصرة ثم مات مروان سنة ٦٨٤ ميلادية الموافقة سنة ٦٥ هجرية خلفه ابنه عبد الملك

في ثالث رمضان من هذه السنة غير مكثرت بعهد والده الى خالد بالخلافة فاستبد بحكم الشام ومصر ورأى عدم تمكن أحزابه من الحج فزين لهم بيت المقدس ليذروه وصرف همته أولا الى العراق المضطرب منذ قتل الامام الحسين فقد كان به حزب متعصب للعلوية يأبى الانقياد لغير أئمتهم سار به سليمان بن صرد الى الشام لصد جيش عبيد الله بن زياد عن العراق فقابله عبيد الله بحدود الشام فزق شمله وحزب آخر معترف بخلافة ابن الزبير سار به المختار الى مكة فتحصر ابن الزبير ولم يكافئه على نصره له فخالفه وجمع من بقى من جيش ابن صرد وتلقب بالخليعة وأظهر الاخذ بثار علي وولديه فقتل في غير الوقائع نحو خمسين ألف رجل منهم شهر قاتل الحسين وسائر من اشتهر معه في يوم كربلاء وعبيد الله بن زياد ثم أخذ الكوفة والعراق البابلي ثم سار اليه مصعب بن الزبير والى البصرة فحاصر الكوفة ثم قتله بقلعتها سنة ٦٨٦ ميلادية الموافقة سنة ٦٧ هجرية وقتل جميع أحزابه بالسيف وكانوا سبعة آلاف فعظمت المصائب بتلك الحروب الداخلية الا أن عبد الملك كان يفرح لها لتقليلها أعداءه وتقريرها انتصاره اذ لم يبق له الا عدوان عمرو بن سعيد بدمشق ومصعب بن الزبير فقتل ابن سعيد ثم مصعبا في واقعة مسكن ووضعت أمامه رأس مصعب في قلعة الكوفة فقال بعض الحاضرين لعبد الملك اني رأيت بهذه القلعة رأس الحسين أمام عبيد الله بن زياد ورأس ابن زياد أمام المختار ورأس المختار أمام مصعب ورأس مصعب أمام أمير المؤمنين فتشاءم عبد الملك وهدم القلعة ومحا أثرها وانتقاد له الكوفيون وجنود مصعب بالبصرة والموصل وبلاد الفرس وسائر الاقاليم الشرقية من المملكة الاسلامية ثم بعث أعظم قواذ عساكره للحجاج ابن يوسف الثقفي بجيش حاصره مكة ثمانية أشهر وقتل ابن الزبير وأعيان رجاله على عتبة الكعبة التي تهدمت من مجانيقه فبناها هذه السنة بعد أن بناها ابن الزبير سنة ٦٨٣ ميلادية الموافقة سنة ٦٤ هجرية فاستقل بالولاية والتصرف في بحيث جزيرة العرب وعامل أهل المدينة بالقسوة لكونهم أول من

قام على الاموية ثم بدت فتن بجهة العراق فنقله عبد الملك بن ولادة بلاد العرب الى ولاية العراق وخراسان ومجستان فظهر دعوة الاسلام وراى العراقيين متأهبين للخروج عن الطاعة فقتل رجالهم ومنهم قرشيون أعانوا على قتل عثمان (رضى الله عنه) وبالعراق اذذاك من الخوارج جوع الازارقة الفار بهم الى نواحي الاهواز المهلب أحد قواد مصعب بن الزبير وهم أعداء للحكومة خلافة كانت أو ملوكية وظهر منهم شبيب وسالح بأحزابهم الملقبين بالصفورية لمبارزة الحجاج وعقدا بقرب آمد واقعة لم يظفر فيها أحد بالآخر ثم نصرا عليه في عدة وقائع ثم قتل الحجاج صالحا قرب الموصل على غفلة وأما شبيب فاخذ الكوفة حين كان الحجاج بالبصرة فعاد اليه وهزمه من موضع الى آخر حتى دخل بلاد الفرس وكرمان ثم مات قرب دجيل الاهواز سنة ٦٩٠ ميلادية الموافقة سنة ٧٧ هجرية ثم خرج على الحجاج عبد الرحمن بن محمد سنة ٧٠١ ميلادية الموافقة سنة ٨٢ هجرية فاخذ منه البصرة والكوفة ثم انهزم فقتل نفسه لئلا يقع في يد الحجاج فكان ذلك آخر فتنة بالملكة العربية

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى سوء عواقب تلك الحروب الداخلية﴾

حقق الثقفى للاموية الانتصار على أعدائهم الذين كانوا ينازعونهم فى الخلافة وعادت بلاد العرب الى خول الذكر ونشأ من ذلك ذهاب شهرة البلاد العربية الى موسم الحج وعود سكان نجد والحجاز الى ما كان عليه آبائهم من الاستقلال فى المعيشة عن غيرهم وانعزالهم عن الانتظام فى سلك الجيوش الاسلامية وتخلق خلفاء الاموية باخلاق الملوك الذين غلبوهم فانهم رأوا دناء النفوس فى رعاياهم فدخلهم ما كان عند امبراطورة القسطنطينية والفرس من الكبرياء مع استقلالهم بالسياسة دون الديانة وجراءتهم على تعدى الحدود الشرعية واعراضهم عن حبس الوعاظ باحياء القرآن واعتباره دستور الاحوال بل كانت خلفاء الاموية قدوة لغيرهم فى المخالفات كشرب يزيد بن معاوية الخمر ورسم عبد الملك صورته مقلدة بسيف

على نفوذ ضربها ولذا ذهب الحمية الدينية التي هي السبب الأقوى في تقوية عزائم الجيوش الإسلامية فظهرت فرق ادعت انها متمسكة بالعروة الوثقى داعية اليها فتمادت في التعصب للدين حتى اتخذت قتل النفوس ذريعة الى نصر معتقداتها كالحوارج الذين توجهوا لقتل عليؑ ومعاوية وابن العاص ظانين ان في ذلك هدوا للناس والمعتزلة المتظاهرين بثار عثمان والازارقة الذين لم يبقوا صغيرا ولا كبيرا مع اداستهم التهليل والتكبير بل كان بين تلك الفرق حروب في جزيرة دجلة والفرات واذربيجان لاسيما العراق العجمي

ولم يؤخر غير تلك الفرق عن الانتقام منها الاخشية سطوتها فانها طالما بارزت وهي مائة أو مائتان آلافا ربما نصرت عليهم ولذا نفذت أوامرها بالقتل لدى قواب الاموية خشية منها

وبالجملة كانوا هم وغيرهم على غاية من الافساد كما فعل الججاج فانه ذبح مائة وعشرين ألف نفس ومات وبجبوسه أكثر من خمسين ألفا يكابدون الذل والهوان هذا ما كان بالجهة الشرقية وأما المغربية فلم يظهر بها شئ من ذلك بل ازداد فيها التمسك بالدين الاسلامي

﴿الباب الخامس﴾

﴿من المقالة الثالثة في اغارات العرب على شمال افريقية﴾

﴿وعلى اسبانيا وفرنسا وآسيا الصغرى وما وراء﴾

﴿جيجون وشواطئ نهر السند﴾

﴿وفيه تسعة مباحث﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿في حيازة الأموية أقوى ما يكون من الشوكة﴾

نجحت نصرات الججاج عبد الملك من أعدائه حتى توفي سنة ٧٠٥ ميلادية الموافقة

سنة ٨٧ هجرية ولا اضطراب في مملكته خلفه الوليد أكبر أولاده عشر سنين من سنة سبع وثمانين الى سنة سبع وتسعين خلفه اخوته الثلاثة سليمان ويزيد وهشام من سنة سبع وتسعين الى سنة ١٣٩ هجرية الموافقة سنة ٧١٥ الى سنة ٧٤٣ ميلادية وتخلل خلافتهم عمر بن عبد العزيز فانه تولى بعهد من سليمان سنة تسع وتسعين فسلك أحسن المناهج حتى مات مسموما سنة اثنتين ومائة الموافقة سنة ٧٣٠ ميلادية خلفه يزيد الثاني الى سنة ست ومائة خلفه هشام الى سنة ست وعشرين ومائة الموافقة سنة ٧٤٣ ميلادية وقد عانى من قبلهم من الاموية فتح القارة الاور وباوية سنة ثلاث وخمسين فنعمهم الروم بالقسطنطينية من الجهة الشرقية ومازالت كذلك حتى تولى هؤلاء بعد أبيهم عقب نصرات أدت الى زعم ان عز المملكة الاسلامية منوط بعائلتهم فاخذوا يبشون في الناس الحمية الحربية حتى أخذوا بعض البلاد الشرقية والافريقية ثم أغاروا على أوروبا من الجهة الغربية وبلغوا بونغاز جبل الطارق ثم سطوا على اسبانيا وفرنسا ونزعوهما من الجرمانين الحاكمين عليهما منذ ثلاثة قرون فظهر شرفهم بالممالك الاسلامية على ما فهم من عدم السياسة حيث اكتفوا من الجزية بقليل احتاجوا معه عند غزوهم الممالك القاصية الى أموال يؤدون بها لوازهم ولم يقع في زمنهم فتن داخلية لظهور سطوتهم وقوة بأسهم نعم كان اذذاك علوية يضمرون الخروج على الاموية ويلومون أهل السنة على ابعادهم عليا وولديه من الخلافة واختاروا زيدا حفيد الحسين اما ما تم تخلوا عنه لطيشهم المعتاد وهم ثلاثة احزاب تعصب أحدهم لذرية علي من فاطمة الزهراء وثانهم لذريته من غيرها وثالثهم لبني العباس زاعم ان ذريته من غير الزهراء تنازلوا عنها للعباسية وما زالوا مضمرين الخروج على بني أمية حتى أظهره سنة اثنتين وعشرين ومائة هجرية مع تفرق أحزابهم وعدم انضمامهم الى رئيس جدير بالخلافة فلم تختس الاموية بأسهم واكتفوا بانارة البغضاء بينهم ثم قوى حزب العباسية وجعل تحت ألويته من كانوا معضدين للآخرين وبالجملة فبولاية هؤلاء الانجال الخلافة عقب نصرات الججاج

المتوالية وفهم اهته البلاد الشاسعة وبثهم البغضاء بين العلوية كان لهم المجد
الباذخ والشرف الاكبر

المبحث الثاني

في فتح المسلمين شمال أفريقيا من سنة ٧٠٤ الى سنة ٧٠٨ ميلادية

الموافقة سنة ٧٥ الى سنة ٩٠ هجرية

سلف ان عتبة بن نافع بلغ بالجنود الاسلامية أقصى سواحل البحر الاطلنطيق
ثم انضم البربر والروم فطردوه من القيروان الى بلاد برقة تاركا ما فتحه من
أفريقية حتى نصر عبد الملك على منازعيه في الخلافة فامر الحسن والى الديار
المصرية بالمسير الى شمال افريقية فسار وأخذ القيروان التي بناها ابن نافع ثم
حاصر مدينة قرطاجنة ذات الحصون المنيعة فاخذها وفر من بهامن الروم
الى سفن بيمينها والى صقلية والاندلس الا أناسا استوطنوا مدينتي سطفورة
وبيزرت حتى أتى اليهم من القسطنطينية مدد خرج على السواحل وعاد بلا
حرب سنة ٧٠٤ ميلادية الموافقة سنة خمس وثمانين هجرية وجمع الحسن من أفريقية
غنائم خاف أن يضعها بالقيروان فتسطو عليها قبائل البربر الساكنة بجبل أوريس
فحت حكم كاهنة متنبئة تدعى ان لها مددا للهيأ ونصر اسمها ويا وأخبرت بأشياء
فوقعت فانتشر صيتها سريعا ولم تر العرب الا نها بين فاقامت عليهم سائر قبائل
البربر ولذا خشى منهم الامير حسن فعاد الى مصر ليضع بها تلك الغنائم ويستعد
لهؤلاء البربر الذين خربوا زمن عوده جميع ما فتحه وهجموا على العرب واليونان
فسار هذا الامير بجيش هائل وأخذ يحتال على قتل تلك الكاهنة فاعدت
الزروع والمدائن لتكون سواحل البحر الابيض قفارا تهلك فيها الجنود الاسلامية
جوعا فاخذ هذا الامير يخاطر بنفسه حتى قاتلها وقتلها في الحرب فاخذ بلاد
السواحل وداخل البلاد الافريقية سنة ٧٠٨ ميلادية الموافقة سنة ٩٠ هجرية
وقدر على البربر جزية وعاد الى مصر بعد أن ولي على تلك البلاد موسى بن نصير

فبث بينهم سنة احدى وتسعين الى سنة ثلاث وتسعين من العدالة وحسن
التدبير ما نظمهم في سلك جيشه وجبرهم على اتباعه حيث شاء فنوى ان يجتاز بوغاز
الطارق ليغير على اسبانيا

ولكثرة غنائم أفريقية التي أتى بها الحسن ارتحل كثير من العرب الى أفريقية
لاكتساب الثروة فبشوا هناك القرآن المجيد ووافقوا البربر في حب الحرية
والاستقلال والعيشة البدوية والخط والترحال والسلب والنهب مع عزة النفس
واكرام الضيف فكان البربر أقوى المعضدين للعرب حتى حاربوا اسبانيا فأبى
بعض البربر معاشرتهم وذهبوا الى جبال ايلة الجزائر فلم تزل بها ذريتهم المسماة
بالقبائل الى الآن

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في اغارة المسلمين على اسبانيا سنة ٧١١ الموافقة سنة ٩٣ هجرية﴾
ملك بحيث جزيرة اسبانيا قبل الهجرة بمائتين واثنين وعشرين سنة رجال يعرفون
(بالوزير يغوط *sigisbertus*) ملكوا بلاد طجة وسبتة وهزموا موسى بن نصير حين حاصر
سبتة سنة ٦٤ هجرية الموافقة سنة ٦٨٣ ميلادية كاهزمه الملك (ويطيزا *Witiza*)
الوزير يغوط سنة ٩١ ثم أخذ الملك (رودريق *Roderic*) المملكة واسعة الارض
كثيرة الرجال على ما فيها من ضعف الشوك لتألفها من جوع متعادية وجهلهم بالتدبير
العسكري ومطالبة القسس لهم باموال باذخة وعدم انتظام شريعتهم المؤلفة من
شريعة الرومانية وعوائد الجرمانية وتأخر من في البلاد المنتظمة عن امداد السلطنة
واستعباد الرعايا بالفلاحة التي تطفئ من القلوب حب الوطن وشرف الامة واضطهادات
اليهود التي بعثت فيهم البغضاء والحقده على الوزير يغوط وضم رودريق الى ذلك اساعة
الكونت (جوليان *Julian*) التي كانت سببا في استيلاء العرب على اسبانيا فان الوزير
موسى بن نصير بعث الى الخليفة الوليد بن عبد الملك كتابا وصف فيه اسبانيا
وغزارة خيراتها فاذن له في فتحها مشيرا اليه بتقديم بربر أفريقية حذرا من
الغدر فبعث الى اسبانيا اثني عشر ألف بربري مع شجاع مسمى بطارق عارف

بسواحل اسبانيا الجنوبية المشرقة على بونغاز الجبل الذى حل فيه هذا
 الشجاع فسمى بجبل طارق فارشده جوليان ذو الممالك الواسعة باسبانيا وسلم
 اليه قلعة الجزيرة الخضراء بجمع رود ريق مائة ألف مقاتل قاتل بهم العرب
 سبعة أيام فى سهل غواد اليط قرب مدينة كزيريس مع تزينه حال الحرب الذى
 قلده فيه أهل ديوانه وتركوا القتال على أرقاء أغبياء كالبهايم يقاتلون مكرهين
 بخلاف جيش طارق فانهم لتعودهم القتال وعلمهم أن من استشهد دخل الجنة
 نسوا قتلهم فى جانب مائة ألف وتأهبوا لقتالهم كتأهبهم لاستقبال النعمة قال
 لهم طارق ان العدو أمامكم والبحر خلفكم فأين تذهبون ثم حل على العدو
 فاخترق جيشهم فانضم بعساكره الى المسلمين اياس أسقف اشبيلية وكان من
 حزم جوليان فانهم ردد ريق وألقى نفسه فى نهر الوادى الكبير سنة ٧١١
 ميلادية الموافقة سنة ثلاث وتسعين هجرية فاخذ طارق تحت سلطنة اليرغوطية
 وبعث جموعاً أخذوا غرناطة وقرطبة ووية وملقة واستجة وسار هو الى طليطلة
 فأتى اليه من موسى بن نصير أمر بان يقف منتظراً لقدمه فأبى خشية ان تجتمع
 الأعداء وينتخبوا سلطاناً يجدد لهم قوة وسار حتى بلغ طليطلة فاخذها بلاقتال
 وترك بها عساكر محافظين وسار الى شمال اسبانيا فانقاد له جميع البلاد الممتدة من
 جبل طارق الى جيمون

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى انتقال موسى بن نصير الى اسبانيا وترتيبها وعزلها ﴾

﴿ وقتل ولده عبد العزيز ﴾

حاز طارق من نصراته باسبانيا نفراً فخنق منه ابن نصير وسار الى اسبانيا بعساكر
 فتح بهم مدينتى كرمونة واشبيلية وحاصر مريدة وبها شجعان ويزيغوط حتى
 أسعفه ولده عبد العزيز بسبعة آلاف فاخذها ثم سار ابنه عبد العزيز الى
 مرسية فحضر الجزيرة فيها على (تيودومير الغوطى Thèdemir) المستقل فيها بالامارة
 وسار

وسار هو الى طليطلة حين أخذ طارق اقليمى استریمادور ولوزيطانيا ثم قابل طارقا فضربه بالدرّة وسجنه وجرده من قيادة العسکر فأمره الخليفة الوليد باطلاقه واعادته للقيادة ونسب فتح اسبانيا اليهما خشية ان يستقل موسى بعائلته الكثيرة عن حكم الاموية ثم فتح موسى أقاليم استورية وطارق البلاد التي خلف نهر ابرة الا انها تعاونت على فتح سراقطة لقوة من بها وفتحها جميع اسبانيا الى جبال البرانس المسماة أيضا بجبال الابواب ثم لبث ابن نصير يرب اسبانيا ويحيى جزيتها على المقدار المؤدى سابقا الى الغوطيين مظهرا فيها العدل حتى عادت اليها رفا هيتها القديمة التي لم تحصل عليها زمن الغوطيين ثم وضع لها قوانين مخالفة للقوانين الشرعية التي وكل اليه العمل بها مریدا قطع ارتباطها بالخلافة الاموية فبعث سليمان بن الوليد بعد أن ولي الخلافة اليه والى طارق فحضر طارق فقيرا غير متمهم باختلاس شئ من الاموال فأثنى عليه الخليفة بما حازه من النصرات وحكم عليه بالاقامة عنده في آسيا خشية أن ينضم اليه من البرابرة جوع لشهامته وعظيم نفاره وحضر ابن نصير الى دمشق بجمع من الأسرى فضربه سليمان ونفاه الى مكة وولده عبد العزيز وعبد الله حاكمان اذ ذاك بافريقية واسبانيا فخاف سليمان ان يستعينا بما في أيديهما على الانتقام منه فامر بقتلهما فقتلا سنة ٧١٦ ميلادية الموافقة سنة ثمان وتسعين هجرية فمات والدهما حزنا

(المبحث الخامس)

﴿ في التقسيم السياسى لاسبانيا وعزها ومبادئ انحطاط العرب ﴾

قسمت اسبانيا أولا الى أربعة أقسام الاول الشامل لبلاد الاندلس ما بين البحر الابيض المتوسط ونهر الوادى الكبير ومن ممدنه قرطبة واشبيلية وملقا واستجة الثانى الشامل لجميع البلاد الوسطى من اسبانيا يحده من الشرق البحر الابيض

(١٣ خلاصة تاريخ العرب)

المتوسط ومن الغرب حدود لوزيتانيا المعروفة بالبرتغال ومن الشمال نهر دويرو ومن مدنه طليطلة وبلنسية وقرطاجنة ومرسية والبيضاء الثالث شامل لبلاد غاليسيا ولوزيتانيا ومن مدنه مريدة ايغورا وكوامبره وزمورة وسلمكية الرابع يمتد من نهر دويرو الى جبال پرينات على شاطئ نهر ابرة وينتهي في الغرب بحدود غاليسيا ومن مدنه سرقسطة وطرطوشة وطر كونة ثم الحق بهذه الاقسام اقليم خامس خلف جبال پرينات وهو عبارة عن بلاد سبتيمانية ومن مدنه ترويه وكر كاسون وماجلون ولور ينيا

وقد رتب عبد العزيز بن موسى بن نصير على كل قسم حاكما كبيرا يخبره بما تعزم عليه الوزير يغوط من الفتن ليتداركه ووضع عساكر دمشق في قرطبة وحص في مدينتي اشبيلية ونبله وعساكر قنسرين في جهن وفلسطين في صيدونية والجزيرة الخضراء وبلاد فارس في كزيريس واليمن في طليطلة والعراق في غرناطة ومصر في مرسية ولسبونيه وغير ذلك من الجنود المحافظين وعمل بمقتضى الشروط المنعقدة مع الوزير يغوط من تسليمهم الاسلحة والخييل للقاتحين وارتحال من اراد منهم بعد تخليته عن سائر امواله وأمتعته وبقاء من شاء مع حفظ مالهم من المنقولات والعقارات والكائس بشرط أن لا يبنوا غيرها وان يدفعوا خراجا لا يزيد عن عشر محصولهم

ولما للعرب من حسن المعرفة بالزراعة وتدير التجارة نشروا في بلاد اسبانيا من الفلاحة طرائق مبنية على التجربة والمشاهدة فزرعوا فلولاتها وعمرو امدانها وربطوا بينها علائق تجارية فظهرت بها الرفاهية وصفا العيش حتى كان بين العرب والبربر بغضاء أدت الى أن احدى قبائل البربر تقوم للدافعة عن واحد منها فاذا بعث الحاكم عساكر من المشرقين لاطاعة تلك القبيلة استعانت بسائر قبائل البربر للدافعة عنها فنسى المشرقيون ما بينهم من الشقاق وخيف ان تكون مقاتلة عامة بين الجنسين وانضم الى ذلك ان شاميين هاجروا الى اسبانيا وطلبوا للتوطن أمكنة لم يعطوها فلكوا بأسلحتهم مدينة وحارب قوم من هؤلاء الغرباء

في اسبانيا قبائل البربر العاصية بافريقية زمانا طويلا ثم نزلوا باسبانيا سنة ٧٤٣ ميلادية الموافقة سنة ١٢٥ هجرية وخرّبوا اقليم الاندلس وأمر الامير بصدّهم فنصروا عليه وملّوا بحيث جزيرة اسبانيا مفسدة انتهت بعد قدوم وال من دمشق سنة ٧٤٣ الى سنة ٧٤٦ ميلادية الموافقة سنة ١٢٥ الى سنة ١٢٩ هجرية بحويله همة هؤلاء الى الحرب في غير اسبانيا على العادة التي استعملها ولاة اسبانيا بعد عبد العزيز فكثت هادئة خمس عشرة سنة

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ في اغارة العرب اسبانيا على فرنسا من سنة ٧١٩ الى ٧٣٢ ﴾
﴿ ميلادية الموافقة سنة ١٠١ الى سنة ١١٤ هجرية ﴾

كان موسى بن نصير متأهبا للاغارة على الامم التي بين بلاد فرنسا الترونية وخليج القسطنطينية فعزله خليفة دمشق من حكم اسبانيا فلم تتقدم الفتوحات الاسلامية في غرب أوروبا وانحلت عزائم العرب وتجردوا عن الجاسة والحمية فانهز الفرنج الاسترازيون الفرصة بائتلاف بعضهم ببعض ومقابلتهم طوفان اغارة العرب بسد مانع لا يمكن اجتيازه

وكانت العرب أخذت جزأ من جنوب فرنسا تابعاً للمملكة ويزيغوط وأخذ الامير علقمة اقليم سبتمانية سنة احدى ومائة هجرية وأنزل في ترونة جمعاً من المسلمين واتخذها مركزاً لعملياته وتوجه العرب الى اقليم برغونية وبلغوا مدينة طلوقة تحت تلك البلاد سنة ثلاث ومائة فهزمهم أميرها (الدوق أودس Le duc Eudes) فعدلوا الى شواطئ نهري الرون والسون وأخذوا مدينة بونة وانقاد للجزية من في سنس وألبجوا ورويرغ وچفوا دن وقيلاي وأخذ عنبسة خليفة علقمة في الامارة مدينتي قرقةشونة ونيمة وسار حتى بلغ اقليم برغونية ونهب مافي مدينة أتون سنة سبع ومائة وأخذت مدينة أوينيون سنة اثنتي عشرة ومائة وعزم الامير عبد الرحمن علي فتح سائر فرنسا فسار الى اقليم طركونه وجبر

حاكمه على أن قتل نفسه حين حاصره في مدينة (بويسردا Puyserda) ثم
 أغار على إقليم (اكستانية Aquitaine) وأخذ مدينة بر دو عنوة بعد ان هزم
 الدوق أودس على شاطئ نهر غارون وعبر نهر در دونية فنصر وذكر له كثرة مافي
 دير ماري من الاموال فسار الى مدينة نوبرة للاستيلاء على هذا الدير
 وما زال الفرنج الى الآن ينسبون الى العرب جميع التخريب الذي يرون الآن
 آثاره في الاقاليم التي أغاروا عليها وهؤلاء العرب الذين هم أقل اغتيلالا وخشونة
 طباع من الاقوام الهونية أو النرتمانية قد هولت الفرنج في شأنهم مع أنهم كانوا
 في جميع الوقائع ذوى لطف عند الانصار وسبب ذلك ما ارتسخ في عقول الفرنج
 من الخوف والنفرة من العرب فانهم كانوا ذوى وجوه كالحة من حر الشمس
 وأعينهم مخيفة مع شدة عدو خيلهم وغرابة ملبسهم وتجربتهم سيوفهم
 وتكلمهم بلغة لا يعرفها أهل تلك البلاد لنشردن جديد عند هؤلاء النصارى
 المماوئة قلوبهم بتعليمات أساقفتهم الذين كانوا لا يتفوهون الا بالالفاظ الدالة على
 البغضاء والعداوة لهؤلاء العرب المنكرين ألوهية عيسى بن مريم على خلاف
 ما يعتقده هؤلاء النصارى من التثليث

﴿المبحث السابع﴾

﴿في انتصار كرلوس مرتيل ملك فرنسا على المسلمين في واقعة بواتيه﴾

﴿سنة ٧٣٢ ميلادية الموافقة سنة ١١٤ هجرية﴾

دعا هذا الملك اكبر أمنه لجل السلاح وجميع رعاياه لأن يكونوا جنودا وسار
 الى الامبر عبد الرحمن بعد أن ارتحل عن شاطئ نهر لوار ووقف بين مدينتي
 تور وبواتيه منتظرا لأعدائه فكان بين الجيشين سنة أربع عشرة ومائة هجرية
 مناوشات في ستة أيام كان النصر فيها للمسلمين وهجم كرلوس بمن معه في السابع
 فسفك كثيرا من الدماء وقتل الامير عبد الرحمن فلقب (مرتيل Martel) لنصرته
 وفشت بين قبائل المسلمين باليمن ودمشق وافريقية واسبانيا فتن حملتهم على قتل
 بعضهم

بعضهم ببعض فتشتت الباقي وبادروا بالرجوع ومنعوا من اجتياز الجبال فسلكوا طريق سبتيمايه وشارل مرتيل وأخوه (شيلد براند Childebrand) أخذوا من المسلمين مدينة أوينيون وغلباهم في واقعة بشاطئ نهر بيره ولم يقدر على أخذ مدينة نربونة فهدهما ما بشمال نهر اود من الحصون ليكون مقفرا فلا يسكنه العرب وشن قواد الامبر عبد الملك الغارات سنة سبع عشرة ومائة هجرية في اقليم بروونسية حتى أخذوه سنة عشرين ومائة من (مورنت Mauront) حاكم مرسلية فاتفق مرتيل (ولويتبراند Luitprand) ملك اللبردية الذي اغارت العرب على سواحل بلاده (الليغورية Ligurienne) فألزموا العرب القتل عن تلك البلاد والعود الى اسبانيا سنة ٧٣٩ ميلادية الموافقة سنة ١٢٢ هجرية فعدل المسلمون الى غزوة نصرروا فيها بجزيرة سيسيليا

✽ المبحث الثامن ✽

✽ في حروب بالمشرق وتجديد المسلمين حصار القسطنطينية ✽

✽ سنة ٧٠٧ ميلادية الموافقة سنة ٨٧ هجرية ✽

في عهد الملك ايسماركان بين العرب والروم من الاغتيال وسفك الدماء لم يسمع الدهر بمثله وعم أخوه هرقل بلاد الشام بالتخريب والقتل وذبح سكان أرمينية الصغرى من بها من المسلمين المحافظين فدهمهم من العرب المشرقين جيش ذبح من ظفر به في طريقه من سكان تلك البلاد وأحرق ساداتها أحياء وحاز عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين هجرية نصرات في وقعات عديدة بسيسيليا منها الواقعة التي بجزيرة ايلوزا المشؤمة على الروم لخيانة عساكرهم المستاجرين من (الاسكلادون Esclavon) ثم كانت سنة أربع وثمانين هجرية ميدان حروب أخرى وقد أسلفنا أن العرب حاصروا القسطنطينية سنة ثلاث وخمسين هجرية ولم ينجحوا ثم حاصروها في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فقاتلهم (ليون Léon) الثالث المعروف بالايورى وأحرق سفنهم فعادوا في البر ونزلوا في هضاب ابيدوس وأخذوا مدائن بسواحل بحر مرمر الى القسطنطينية فقاتلهم ليون وتسلط

عليهم القحط والطاعون و برد الشتاء قترسوا مافتحوا من تلك البلاد التي نزل
 اليها النصارى المردائية من جبلى لبنان وطور سيناء فقاتلوا ملكها السيئ
 التدبير بوسيتينان الثانى المعزول سنة ١٩٥ ميلادية الموافقة سنة ٧١ هجرية
 ثمولى السلطنة سنة ست وثمانين مريدا شفاء غليله بالانتقام من العرب والأمر
 مسلمة أخوال خليفة الوليد قد ظهر اذ ذاك صيته وانتشر فخاره بغاراته على
 آسيا الصغرى أخذ داتيان قاعدة اقليم قبادونة الثانية وبعث لاهراق جميع
 الاناضول جمعا بلغوا مدينة اسكودار المصاوبة للقسطنطينية وأوقدوا النار في
 السفن التي بالمينا وعادوا

وأغار مسلمة سنة ٧١١ ميلادية الموافقة سنة ٩٣ هجرية في عهد الملك (فليبىق
 Philèpique) على بلاد يونت وليكاوونية ومدينة انطاكية الايسيدية المسماة
 الآن آق شهر وحاز العرب جزءا عظيما من بلاد الارمن فخصنوا دروب جبل دربند
 لصدا الا تراك الحزر الممتدة غاراتهم في بعض الازمنة الى الموصل وحاصروا في بلاد
 بيتينيا مدينة آموريون ويرجام ونيسة ثم ساروا حتى بلغوا سواحل بحر ممر او بونغاز
 القسطنطينية فقابلتهم الروم بقوة ارجعتهم عن مقاصدهم لاستدعائها عظيم الاتحاد
 وكثير الجيوش وكان بذلك نغار للروم حيث دافعوا العرب عن القسطنطينية
 والمدائن التي في بحيث جزيرة الاناضول والجهة الشرقية من ممالك أوربا

﴿ المبحث التاسع ﴾

﴿ في فتح العرب ما وراء نهر جيحون والاقاليم الغربية من الهندستان ﴾

﴿ وما كان للعرب من تاخر قنوحاتهم بسوء تدبير الخليفة سليمان ﴾

﴿ ابن عبد الملك من سنة ٧٠٧ الى سنة ٧١٢ ميلادية ﴾

﴿ الموافقة سنة ٨٩ الى ٩٤ هجرية ﴾

خرج من عمان لفتح الهندستان اساطيل اسلامية سسنة ست عشرة هجرية
 فاخذت جزيرة طناح القرية من مدينة بمباي ومن جزيرة البحرين أساطيل
 أخرى دهمت في خليج كامبي مدينة يارود وخرجت أساطيل ثالثة الى مضاب
 نهر

نهر السند ثم أخذ عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين بلاد كرمان ومجستان ثم طرب والى اقليم مكران وملك السند المتعصين عليه فغلبهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك بسنين قليلة اقليم داور ومدينة بوست فكان مملكتا قبول والسند حدود الممالك العربية حتى غلب المهلب بن أبي صفرة ملك قبول وألزمه دفع الجزية وعاد منصور سنة أربع وستين في عهد معاوية بن أبي سفيان وخرب أراضى قصدا القريبة من مدينتي كلات وقنديل وبعث الجحاج سنة تسع وستين محمد بن قاسم بجيوش الى شاطئ نهر السند فهزمه الملك الظاهر وأخذ مدائن ديبيل وبيرون و... من آباد وألور واقترب من جبال هماليا وتاهب للاغارة على مملكة قنوج وبعث الجحاج أيضا الامير قتيبة بجيوش هزم بها الترك وأخذ بلاد خوارزم وما وراء النهر ومعظم مملكة التتار وأحرق أصنام مدينة فرغانة ونخشب وبيكند وبخارى وسمرقند سنة أربع وتسعين ومدينة كشفر واقصوا وخططان وبعث الى ملك الصين اثني عشر سفيرا هدوه بالاغارة فغمرهم بعطايا الذهب الوافرة اتقاء لشركهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق مجستان وأخذ منها الجزية ثم توجه باساطيله في نهر السند الى داخل البلاد فلحقه جيش في أرض مكران وانتشر في سهول مدينة كشمير ودافعه مدن على شواطئ السند فهزم هؤلاء

وانتشرت هناك اللغة العربية ودين الاسلام بالتدريج حتى زالت ديانة البوذية وقد ظهرت الجيوش الاسلامية على شواطئ نهر الكنج ولم تحفظها كغيرها من الاقاليم حيث لم يكن منها سوى المرور بها

والى هنا وقفت الفتوحات العربية لزوال الميل الى تكثير الدين من خلفاء بني أمية بل كانوا يخشون اتساع الاقاليم لانتاجه طمع قواد الجيوش ولذا فتك الخليفة سليمان بالامير موسى بن نصير كما سلف وبالامير قتيبة الذي ضم الى المملكة الاموية اقاليم كثيرة وبالامير محمد بن قاسم الذي أدخل جاهلية الهند تحت حكم الاموية بحسن تدبيره وسياسته وبفقد هؤلاء القواد ذهب قوة الدولة التي بها حفظ وحدتها وأخذت شوكة أولاد عبد الملك من ذلك الوقت في الانحطاط

﴿ المقالة الرابعة ﴾

﴿ في قوة شوكة العرب وانحطاطها بالشرق سنة ٣٤٧ الى ١٢٥٨ ﴾
 ﴿ ميلادية الموافقة سنة ٩٥٦ الى ٩٤٥ هجرية ﴾
 ﴿ وفيها أربعة أبواب ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ في حدود مملكة العرب سنة ٣٤٧ ميلادية الموافقة سنة ١٢٥٨ هجرية وفي قتال الاموية والعباسية وخلافتي المشرق والمغرب ﴾

﴿ وفيه أربعة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في شوكة بني أمية ﴾

كانت كلمة العرب نافذة في ثلاثة أقسام من الارض آسيا وافريقية وأوربا فقد ملكوا في آسيا من برارى جبل الطور الى قفاز ماوراءالنهر ومن وادى كشمير الى منجدر جبل طوروس على البحر الابيض وملكوا أطراف الاناضول كسبيليا وقبادوقه ونبطش وكذا سائر مملكة الاكسرة بل ملكوا ما عجزت عنه الاكسرة الساسانية بسرعة حين بعثوا قوادا فتحوا ماوراء نهرى جيحون والسند وبلاد بخارى وصغد وجعلوهما اقليما وانحذا ثم اقليم ماواء النهر وأطاعوا على بحر جرجان اقليم خوارزم وملكوا في أوروبا جميع بحيث جزيرة اسبانيا ما عدا بونغازات بجبل استورية وملكوا اقليم سبتيمانية وجزيرة قبرص وجزائر بلنار وجزيرى اقريطش ووردس وشمال افريقية وجميع البلاد الممتدة من بونغاز جبل الطارق الى برزخ السويس وقسموا سواحل البحر الابيض الى حكومتين احدهما بالمغرب تشمل على الاقاليم القديمة اليونانية وهى أقاليم بيزاسين وافريقية القنصلية ونوميديه والبربر الرومانية والسيثينية ومولاتيا نيا الطنجية والاخرى بالشرق وهى عمالة مصر وبرقة البحرية يأخذ صاحبها الجزية التي رتبها ابن العاص على من يبلاد

النوبة

النوبة وبيعت كل سنة الى بلاد السند سفراء يطلبون مع الشهم والأنفه الخراج السنوى وكان تحت هذه المملكة المساوية تقريبا مملكة قياصرة رومية المدائن فى ايطاليا مدينة دمشق التى بنى فيها الوليد الاول ذلك المسجد الذى عد من عجائب المصنوعات الدنيوية وهدمه تيمورلنك سنة سبع مائة هجرية

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى العلوية والعباسية﴾

أسلفنا ان للعبازيين والعراقيين مقالا فى اختصاص بنى أمية بالخلافة حتى تأهب سكان الجهة المشرقية من آسيا للتعصب مع أهل الكوفة والبصرة اللتين كانتا ميدانين لعصيان الاموية فسفلك فهما دماء كثيرة وكانت العلوية احزابا متفرقة الكلمة يدعو كل منها الى رئيس ويخطئ الحزب الآخر وما زالوا كذلك حتى ظهر عليهم بنو العباس مدعين أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية أوصى الهم بالخلافة قبل أن يموت مسموما بأذن سليمان بن عبد الملك فانضم الهم حينئذ من العلوية من يؤدون زوال بنى أمية واستعد العراق كله لحمل السلاح نصرة الى بنى العباس الذين بانى مقاصدهم منذ نازع زيد هشام بن عبد الملك فى الخلافة

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى سيرة متأخرى بنى أمية ونصرة العباسية على مروان الثانى﴾
ولى الوليد الثانى الخلافة بعهد من هشام فلم يعترف بحكمه الدمشقيون لسوء أخلاقه وولوا بدله يزيد الثانى سنة ٧٤٣ ميلادية فحاول الوايد دخول دمشق وقاتلهم حتى قتل فالتجأت احزابه الى حص وقاتلوا أهل فلسطين الذين عرضهم أحد أقارب يزيد ولم ينل كل منهما ظفرا ورآى مروان الثانى سوء تدبير يزيد الثانى فطمع الى الخلافة وشد أهل الجزيرة أزره وسار بهم الى دمشق فقاتله يزيد ومات موة عادية سنة ٧٤٤ ميلادية فاراد أحمد

اخوته ان يديم القتال ولم يجد نفعا فتولى مروان الخلافة والعباسيون اذذاك قد ضموا اليهم جميع الاحزاب التي كانت مخالفة لهم وبعثوا رجالا حذاقا جابوا بلاد خراسان ودعوها الى مبايعة محمد بن حفيد العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) فبايعوه حتى مات خلفه ابنه ابراهيم وبلغ ذلك مروان فقبض على ابراهيم ابن محمد وقتله فنهض أبو العباس عبد الله أخو ابراهيم الى خراسان فبايعه أهلها عمرو يدل أخيه ثم سار في موكب الى المسجد فقلع عليهم خطبة حافلة فقدم مروان الى خراسان بجيش هائل قاتل به أبا العباس على نهر الزاب ونزل حين القتال عن جواده ففرع الجواد وخاض وسط المقاتلين فظنوا ان مروان قتل فاختلف صفوف العساكر الشامية فهرب مروان واجتاز بسرعة جزيرة النهرين وفلسطين وسار الى الديار المصرية واعداءه يقتفون أثره حتى قتلوه في كنيسة قبطية وحلوا رأسه الى الكوفة فعرضت على من بها فعلوا انقراض العائلة الأموية وأصر أبو العباس على ان ينتقم من الأموية دفعة واحدة أخذا بثأر أخيه وراحة لعائلته مما كابدوه من المشاق فاغمد الخناجر في بطون آلاف من الأموية وخذع منهم بدمشق تسعين أميرا عمل لهم ضيافة الصلح وأمكن لهم عساكر طرّقوا رؤسهم على حين غفلة بدبايس فوضعت عليهم ألواح فرشت فوقها بسط جلس عليها أبو العباس الملقب من ذلك بالسفاح مع جميع أمراء جيشه يأكلون طعاما وتحتهم من يكابد خروج الروح من بني أمية الذين قصد السفاح استئصالهم ونجا منهم عبد الرحمن الأموي فحدد خلافة بالاندلس وكان المؤسس لدعوة العباسية أبا مسلم الخراساني الذي ولى إقليم خراسان فنصب على قصره بمدينة مرو علما أسود مخالفا للأُموية ذوى العلم الأبيض إشارة الى حزب العباسية فقامت الحروب الداخلية على ساق

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في خبر أبي العباس السفاح والمنصور وانشاء بغداد﴾
 لما قام الخراسانيون والعراقيون بنصرة العباسية لم يتوطنوا الشام بل توطنوا بابل

يابل المعروفة بالعراق واتخذ السفاح الانبار دار خلافته حتى مات سنة ٧٥٤ ميلادية خلفه أخوه المنصور وأراد الإقامة بالكوفة ثم أبي ليل أهلها الى ذرية فاطمة الزهراء فوضع أساس بغداد سنة ٧٦٢ ميلادية على شاطئ الدجلة بقرب سلجوقية العتيقة حول هضبة كان ينصب عليها العلم العباسي وحصنها بسور عليه مائة وثلاثة وستون برجاً واستحسن المشرقيون استبدال دمشق ببغداد لقربهم بخلاف المغريين كاهل اسبانيا والمغرب فلم يستحسنوا ذلك لبعدهم ولبشوا يدفعون الجزية منتظرين فرصة الاستقلال الذي لم يكن أضرمه على عظمة الاسلام ثم تحصلوا على ذلك بلا اراقة دماء لرضا المشرقيين بذلك على ما يظهر ثم انضم الاسبانيون الى عبدالرحمن الاموي سنة خمس وخمسين وسبعمائة ميلادية ورضى أهل المغرب فعل حاكمهم عبدالرحمن بن حبيب منفصلين عن خلافتي المنصور ببغداد وعبدالرحمن الاموي بقرطبة ومنقسمين الى قبائل على كل منها رئيس مخصوص وبذلك كان بين المملكة الاسلامية الشرقية والاقاليم الغربية انفصال ولذا وجب علينا ان نقسم تاريخ العرب الى قسمين باحدهما حوادث الخلافة المشرقية والايالة المصرية وبالاخر أخبار عرب آسيا وافريقية الحقيقية

الباب الثاني

﴿ في رفعة وانحطاط جاه العباسية واجتهادهم في جمع قوتهم عركز واحد ﴾

﴿ من سنة ٧٥٢ الى سنة ٨٤٦ الموافقة سنة سبع وثلاثين ومائة ﴾

﴿ الى سنة اثنين وثلاثين ومائتين هجرية ﴾

﴿ وفيه ثمانية مباحث ﴾

المبحث الاول

﴿ في عظمة العباسية وسيرة هرون وابنه المأمون ﴾

تولى السفاح أول العباسية الخلافة وخلفه أخوه أوجعفر الذي قاتل وهو

شاب مع أعيان عائلته فلقب بالمنصور ثم ولى الخلافة وحكام الاقاليم على عادتهم من تصرفهم كيف شاؤا في القوة العسكرية وخزينة المملكة فانهم كانوا يصرفون خزائن الخراج في لوازم الاقاليم ومصالحها ثم يرسلون مازاد عن ذلك الى الخليفة فابطل ذلك وجعل من أصول حكومته استبدال العمال بغيرهم حيناً بعد حين وعزل ذوى العشائر عن القيام بتدبير المصالح ولم يكثر بصدقة الناس بل أضاع كل من خشى طمعه في الخلافة ولو خدمه سابقاً كالامير عبد الله وأبي مسلم الخراساني المدمرين لبنى أمية فانقاد اليه الناس واحترموه كما شاء وحصل من الأموال نحو سبعمائة وخمسين مليون فرنك

خلفه الهادى والمهتدى اللذان بالغ المؤرخون في حسن سيرتهما وسيرهما وأعقبهما هرون فحاز ذكر محاسنهما بما جبل عليه من الشجاعة والكرم وعلو النفس واتباع الحق والرجوع اليه حيث أخطأ وتدبير مصالح الامة ومحبة الوقوف على أحوالهم وأمانيتهم لتوصيلها اليهم أضاع في زمنه نعر البرامكة الذين هم من الفرس وحرصوه على احياء الفنون والتجارات والصنائع ثم وشى بهم اليه فقتل أعظم وزرائه الفضل وجعفر البرمكى كسائر العائلة التى مكث نعرها ظاهراً وتخوفاً ومع اتصافه بشريف الخصال الذى أبقى له الذكر بالبلاد المشرقية خلفه ابنه الامين خالياً عن فضيله ما من فضائله فنفر الناس عنه ورأوا مالاخيه المأمون في حكمه بخراسان من العدل وحسن السياسة فاقبلوا عليه وتولى الخلافة سنة ٨١٣ ميلادية ورأى التعلم سبيل النجاة من المخاوف فلم يرتض ان يكون تقدم الفنون منوطاً بسخاء الخليفة بل قرر لها أموالاً ووقف عليها أوقافاً دائمة فتحت بها مدارس في جميع جهات المملكة وأجضر لديه كثيراً من علماء اليونان والفرس والقبط والكلدانيين وأباح لهم الاستخدام في الوظائف الاميرية ومحا بذلك ما اعتيد من ابعاد الاجانب كالمعتزلة عن مجالس المؤمنين ثم عاد الناس الى ذلك زمن المتوكل فاثار اذ ذاك علماء الاسلام يبعثون الغارات على ما نشأ بخراسان من مذهب الزنادقة المؤلف من عقائد مجوسية واسلامية وكان الهادى قتل

كثيراً

كثيرا من أهل هذا المذهب الذى اتهم به المأمون فآخذ يشدد العقوبة على المعتزلة لتسكن اعداؤه عنه

وبالجملة المأمون وان كان أقل شهرة من والده هرون الا انه أعلى منه رتبة بعارفه وعلو قدره يحتمه غير انه جازى طاهرا على حسن خدمته باعطائه خراسان وراثته خلفه ذريته وتعدوا منكرين فجة بنى العباس على أبيهم فكان ذلك أول عزيق لشمى الخلافة الشرقية فان ذلك بعث حكام الاقاليم الاخرى على ان يماثلوهم فى الاستقلال بكل حيلة ووسيلة

خلفه المعتصم سنة ٨٣٣ ميلادية فكان محسنا كريم النفس غير أنه اتخذ من غلمان الترك حرسا جددوا بعد فى الدواوين افراطات وخلفه الواثق سنة ٨٤٢ ميلادية وكان شجاعا محاميا عن الفنون يحرض الناس على الصنائع ويحب الخير لسائرهم اهتدى بعقله الى القول بازلية القرآن التى أقام أحمد بن نصر الجملة عليها ولم تتكرر خلافته الا بمشاجرات فى العقائد الدينية

وبالجملة قد استعمل صدر الخلفاء العباسية شوكتهم فى تذكية عقول العرب وتنمية معيشتهم فقد أحدثوا كثيرا من المكاتب والمدارس التعليمية والمحال الاحسانية وأنشؤا مدائن بجوار بغداد وطرقا وحنانات واسواقا وخيلجانا وفساقى مياه وحضوا على اكتساب التجارة وسائر الفنون حاقطين الامم المجاورة لممالكهم من الاضطرابات التى كانت زمن التعصب الاسلامى

حاصروا سنة احدى وسبعين وسبعائة ميلادية مدينة دوريلة باقليم فريجييا فهزمهم اليونان وطردوهم فى السنة التالية عما ملكوه باقليم سليسيا من المدن اليونانية فقابلهم المنصور بجيوش أخذوا مدينة مليتينة باقليم قبادوقة وخربوا جميع بلاد سليسيا وهزموا جيوش اليونان على نهر ميلاس فى اقليم بقليا ثم سقاهم المهدي مصائب وهزائم أخرى من سنة خمس وسبعين وسبعائة الى سنة خمس وثمانين وسبعائة ميلادية وبعث ابنه هرون بجنود ظهره أمام

القسطنطينية وبها الملكة ايرنة Irene وصية قسطنطين قبرونيم أيسست من نجاة المدينة فرضيت برجوع مدائن سليسيا الى الخلفاء ودفعها كل سنة ستين ألف دينار جزية ورجع الرشيد بغنائم عظيمة وأكثر من ستة آلاف أسير ثم ولى الخلافة وأرادت ايرنة قتاله سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ميلادية فارسل جيوشا الى أقاليم اناضول وبعث سفنا لتخريب جزائر اليونان التي في البحر الابيض المتوسط فاخذوا هذا البحر وخرّبوا أرخبيل جزائر اليونان وأقاليم فريجيه وبيتينية وليديه وأعدّموا السفن البحرية من خليج سطالية فرضيت الملكة بدفع الجزية وفادت أسراها بأسرى المسلمين على شاطئ نهر باقليم سليسيا ثم خلفها في المملكة (نيسيفور Nicéphore) فعزم على محاربة العرب وبعث الى هرون كتابا يدل على تكبره فاجابه بمأنصه بسم الله الرحمن الرحيم من هرون الرشيد أمير المؤمنين الى الملك نيسيفور كلب الروم قرأت كتابك يا ابن الكافر والجواب ما ترى لا ماتسمع فانقاد لدفع الجزية المقررة ونصر عليه هرون في عدة محاربات خرب فيها بلاد اليون وأحرق هرقله ونهب سواحل أقاليم بفيليه وميزية وليديه وأشرف على أخذ جزيرة رودس فدافعه سكان قاعدتها

ولما ولى المأمون الخلافة استدعى من القسطنطينية عالما يسمى (ليون Léon) فابي (توفيل Théophile) ملك القسطنطينية فكان بينهما سنة ٨٢٥ ميلادية حرب نصر فيها توفيل وطمع في إعادة ما أخذه المسلمون من بلاد القسطنطينية فصمم سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ميلادية على حرب العرب وحارب المعتصم زمنا طويلا وأخذ سنة ست وثلاثين وثمانمائة مدينة سوزوبترا مسقط رأس المعتصم فهدم مبانيها وذبح جميع رجالها واسترق نساءها وأطفالها خلف المعتصم لينتقم منه وسار بجيش هائل أخذ به مدينة عمورية سنة أربعين وثمانمائة ميلادية وفعل باهلها ما فعله توفيل بأهل سوزوبترا ومكث الى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ميلادية يحارب اليونان ويجول في دولتهم فيحكم على المدن بلاد الجزية

خلفه الواثق فكان لليونان معه من هذه السنة الى سنة ست وأربعين
وعمامة محاربات استنقذوا فيها ماأخذ هرون الرشيد من المدن في أقاليم
سليسيا وقد قفلت العرب بونازات جبل قوقاز سنة سبع وثمانين وثمانئة
لمنع الأتراك الخزر الذين أغاروا زمن هرون على بلاد أرمينية فأخذوا منها مائة
ألف أسير

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في اهتمام العباسية بنشر التمدن في الممالك الشرقية﴾

لم تهتم العباسية بممالكها المغربية وهى أفريقية وآسيا وتركوا من شمال
أفريقية يدبرون أحوالهم كما شاؤوا بل أطلقوا للعائلة الاغلبية التصرف في
أفريقية مكثفين بذكر أسمائهم في خطبة الجمعة وقبل ذلك ابراهيم بن الاغلب
من هرون الرشيد فاستولى جميع بلاد المغرب وكانهم لم يلتفتوا الى اسبانيا
مؤملين رجوعها اليهم لما فيها من الفتن ولذا ربط الرشيد علائق المودة مع
(شرلمانيه Charlmagne) ملك الفرنسيس وأخذ كل منهما يهادى الآخر ولم
يتنقم المامون من لصوص اندلسين أتوا بسفهم فتهبوا سواحل الالة المصرية سنة
عشرين وثمانئة ميلادية واحرقوا الاسكندرية وذبحوا كثيرا من أهلها وبالجملة لم
تلتفت العباسية الى خلفاء الاموية بقرطبة لاشتغالهم بتدبير النظام وانشاء
الحاكم الشرعية وربط العلائق التجارية بين الاقاليم المختلفة ونشر سائر العلوم
والصنائع حين رأوا ميلا الى ذلك من عرب الممالك الشرقية الذين أخذوا
يعرفون التمدن وفوائده

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في شكل الحكومة العباسية وابرادها﴾

كان للعباسية ديوانان ديوان وارد وصادر أموال المملكة وديوان النظر في مصالح
الرعية وأحكام الدولة بصدق على الاحكام الصادرة من الخلفاء ثم استبدلوا الاول
بأربعة دواوين لمرتبات العسكر والخراج وتولية أرباب الوظائف الصغار ومقابلة

الحساب وتعديله ثم اتخذوا حاجبا يدخل سفراء الملوك الى الخليفة ويحكم في القضايا المهمة عند رفعها الى الخلفاء ليربحهم من النظر فيها واتخذوا وزيرا ينظر في القضايا قبل تبليغهم الحكم فيها ثم جددوا خراجا على اراضي المسلمين وكذا اليهود والنصارى مع جزية مقدارها من الغنى ثمانية وأربعون درهما والمتوسط أربعة وعشرون والفقير اثنا عشر سوى ما يرد من عوائد الجمارك واستخراج المعادن واجارة اراضي وارث من لا وارث له وغير ذلك بلغ وارد المملكة سنة في زمن الرشيد أربعة ملايين وأربعمائة وعشرين ألف دينار ومائتين واثنين وسبعين مليوناً وثلثمائة وخمسة آلاف وثمانمائة درهم والدينار اذذاك يساوي مثقالاً أو اثني عشر فرنكاً الى ثلاثة عشر والدرهم يساوي ستة دنانق وكل ستة دراهم تساوي سبعة مثاقيل

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في الاعمال العامة والادارة زمن العباسية﴾

لما كانت عليه مالية العباسية من حسن الانتظام شرعوا في أعمال مهمة فرتبوا ببغداد ديوان ضبط يمنع عدوان بعض الناس على بعض ويحفظ الاملاك لأربابها ونظموا عسائين يطوفون ليلًا لمنع الشر ورأوا عرب البادية عادوا بعد انقطاع الحروب الى العيشة في البيداء مع النهب والسلب فرتبوا لقافلة الحج أميراً يحفظها

ورتبوا أوقافاً لأحياء المساجد والمدارس وبنى الهادي في الدرب الممتد من بغداد الى مكة خانات وصهاريج تلجأ اليها الحجاج والقوافل من الحر والعطش ورتب بين الحجاز واليمن من الخيل والجمال بريداً يوصل الاخبار اليها كما رتب معاوية بن أبي سفيان بين بنادر المملكة العربية سعاة لذلك وابسكر المهدي تولية محتسب يؤتمن على الضبط والربط البلدي يطوف بالاسواق حيناً بعد حين بجنود ينفذ بهم أوامر ديوان الضبطية ويحقق أوزان ومكاييل البائعين فان وجد مخالفاً أدبه فوراً أمام حاقنة وقد جمعت العباسية ما ببغداد

من الدفاتر المشتملة على أوامر أسلافهم ليرجعوا اليها و بالجملة قد أبدأوا أولاً الحمية في الحروب ثم عدلوا عنها الى تحقيق العز والرفاهية لمملكتهم حيث أخذوا يحرضون الناس على استعمال أذهانهم في الامور النافعة حتى وصلوا سريعا الى درجة عليا في التمدن وتقدموا على اليونان في التجارة والصنائع والفنون الادبية وغيرها التي ظن اليونان أن لامسابق لهم فيها

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في الفلاحة والصنائع زمن العباسية﴾

استخرجت العباسية معادن الحديد في خراسان والرصاص في كرمان ونسجوا الاقشة في مدائن العراق والشام لاسيما الموصل وحلب ودمشق واستخرجوا القار والنفط وطينة الاواني الصينية ورخام طوريس والملح الاندراى والكبريت وأظهر ذوو الفنون الميكانيكية تقدمات يشهد بها مابعثه الرشيد الى شرق ألمانيا ملك الفرنسيين من الساعة الكبيرة الدقاقة التي تعجب منها أهل ديوانه ولم يكن لهم معرفة كيفية تركيب عتتها ومع ذلك لم يكن في عصر العباسية أهم من صناعة الفلاحة التي بهارتهم فيها أظهروا مزاياء فواكه الفرس وأزهار اقليم مازندران

﴿المبحث السادس﴾

﴿في الفنون الادبية والصناعية زمن العباسية﴾

كان فنا النقش والحفر متقدمين لدى العرب الجاهلية الصانعين التصاوير الانسانية والتماثيل الالهية حتى جاء القرآن الكريم بمنعهما فوقفا عن التقدم حتى اشتغل بهما العباسية في غير تلك التصاوير فتقدموا فهمما كفى الموسيقى والعمارة فقد بنوا مباني فاخرة ببغداد والبصرة والموصل والرقه وسمرقند وشغفوا مع ذلك بالعلوم الادبية فاحضروا من القسطنطينية أحسن الكتب اليونانية وترجموها الى العربية وفتحوا ببغداد مدرسة ألسن لتربية المترجمين

تحت نظارة طبيب نسطورى ورتبوا خمسة عشر ألف دينار لمدرسة يتعلم بها
مجانا ستة آلاف تلميذ من الفقراء والاغنياء وأنشؤا كنجانات رخصوا الدخول
فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية في سائر جهات آسياحتى تكلموا بها بدلا
عن لغتهم واعتاد المأمون ومن اقتدى به بعده حضور الدروس العامة التى
يلقها المدرسون وأطلعوا شمس العلوم الرياضية وبنوا أرصادا بها آلات
عجيبة للاستكشاف الفلكى ومستشفيات يتخمن فيها من أراد أن يوظف عدة
امتحانات ومعامل كيمائية لاستكشاف النباتات الا أنهم وقعوا فى ضلالات
بتصديقهم بمظنونات التنجيم والمسائل النظرية المتعلقة بعلم كيمياء الفضة والذهب
المسماة بالصنعة الالهية وعلم جابر لكنها ساعدتهم على التقدم فى علوم مكتسبة
بالمشاهدة

ومكثت المدرسة البغدادية على رونقها الباهر نحو مائتى سنة تقريبا فكان
العباسيون فى ذلك أسعد خطا من سمرمانيه الذى أراد أن ينقذ مملكته من
الخشونة والجهالة بتنوير عقولهم باعلم من فى عصره من الفرنج فان ذلك عدم
بعد هلاكه

﴿المبحث السابع﴾

﴿فى نغامة العباسية﴾

لاستحواذ العباسيين على أموال كثيرة مع عدم جيوش دائمة ينفقون عليها
أبدوا من الزينة والزخرفة أعجب المناظر ومنحوا منها وافرة وعملوا أعمالا فاخرة
نثروا الذهب فى قصورهم وبساتينهم ومساجدهم وأنفق المهدى فى جهة سنة
ملايين من الدنانير وصرفت زبيدة زوجة الرشيد مليوناً وسبعمائة ألف دينار
على حفر مجرى يوصل الى مكة المياها من الجبال المجاورة لها وكان لباسها من الديباج
المبطن بالسمور أو الأقمشة المنسوجة بخيطان الفضة ونعالها مزركشة باللاتى
الثينة وفرق المأمون فى يوم أربعمائة ألف دينار ونصب فى مجلسه عند قدوم

سفير اليونان شجرة ذهب حاملة لؤلؤا على هيئة الثمار ورتب مقترعا به سهام أكثر من مائتي شخص يأخذ كل منهم سهمه فيجذب به أرضا جسيمة مع مايلزم لزراعتها من العبيد ويقال كان بقصره ثمانية وثلاثون ألف بساط منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة مزركشة بالذهب وبه أيضا سبعة آلاف خصي منها ثلاثة آلاف من الزنج وسبعمائة خفير وعساكر تحمي الحواشي الخارجة عنه ووضع المعتم من الأساس سامرا قرب بغداد على أرض أعلاها بمصاريف هائلة وبني بها اصطبلات تسع على مائيل مائة ألف جواد ولما بلغه العباسية من الفخامة وقوة الشوكة بعث شرمانيه الى هرون هدايا ليحمي النصارى الذاهبين الى بيت المقدس فاجابه الى ماطلب وبعث له أقمشة نفيسة وعطرا وخشباذكا وفيلا وخيمة عظيمة على هيئة خيام العرب ثم بعث الساعة الدقاقة السالفة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في مبادئ انحطاط العباسية﴾

المالم يكن قانون قاض بتوارث الخلافة هم عبد الله عم المنصور بتولى الخلافة عند موت السفاح وعهد المهدي بها الى ابنه الاكبر وهو الهادي ثم عهد بها للرشيد وحاول تقدمه على أخيه الاكبر الذي عهد اليه أولا فلم يمكنه ووليها الرشيد حتى مات فتنازعها ولداه الامين والمأمون مع تجديد العلوية دعوى الخلافة في عهد الهادي والرشيد حتى كان هذا التنارع الذي أراد المأمون قطعه بصرف الخلافة الى العلوية الذين لم يهتموا اذ ذاك شيئا من أنواع القشل والاختلاف فحزب من العلوية ثلاثة وثلاثون ألف رجل جبروه على العدول عن ذلك وقد مال الى المعتزلة وأراد العدول عن القرآن الى قوانين يرى منها سببا للاطوار والاحوال وتبعه في ذلك المعتمد والواثق وقام أهل السنة وانتصروا عليهم فاخذت الدولة في الانحطاط حتى تنقلت الممالك الترك في المناصب وتولوا المملكة مع عدم فطانتهم وغلط طباعهم فنظروا للرعايا بعين الاحتقار واشتغلوا بما يخصهم حتى بلغ عدم الحكم وسوء النظام الغاية القصوى

﴿الباب الثالث﴾

﴿من المقالة الرابعة﴾

﴿في طلب الامم الاستقلال عن العباسية وانحطاط حكمهم﴾
 ﴿وتأسيس الدولة الفاطمية من سنة ٢٤٧ الى سنة ١٠٥٥ ميلادية﴾

﴿الموافقة سنة ٢٣٢ الى سنة ٤٤٧ هجرية﴾

﴿وفيه تسعة مباحث﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿في الاضطرابات الداخلية وعجز المتوكل وخلفائه عن قمع مفاسد﴾

﴿العساكر التركية﴾

كان أهل الصين يغيرون من جهة الشرق على الترك فيبددون شملهم
 ثم يغيرون على حدود المملكة العربية كاقليم ما وراء النهر وخوارزم فيفتك
 بهم حكام تلك الاقاليم ويأسرون منهم رجالا من الترك فيبعثونهم الى بغداد
 فقر بهم المعتصم واتخذهم عسكرا وخفراء عليه تحت نظر ضباط منهم مریدا
 بذلك تعظيم شوكته فكان أول مفتوك به فانهم أخذوا يفسدون حتى ترك لهم
 بغداد وسكن ساهرا وازداد عددهم وفسادهم زمن الواثق الذي كانت المملكة
 من ابتداء خلافته فوضى لا رئيس لها حتى مات فاجلس هؤلاء في دست الخلافة
 المتوكل أكبر الطلبة من الخلفاء لشدة قسوته وتجاوزة الحد أساءه وزير فأجرقه
 حيا في وفاق نار مملوء قطع حديد وأطلق بقصره أنواع الحيوان المفترس على من أراد
 الفتك به وخشى أن يهزب عليه ضباط ديوانه فدعاهم الى طعام وأحضر لهم
 من ذبحوهم جميعا ففرغت منه القلوب وطلب الترك منه عطاء منعه فاعاقوا ولده
 المستنصر على قتله وولوه الخلافة وألزموه أن يعهد بالخلافة للمستعين وبحرم
 اخوته منها لئلا يغدروا بهم ثم مات في سنته ندما على قتل والده ففسدوا
 حفيدا المعتصم وهو المستعين بالله سنة ٢٤٨ هجرية على اخوته الاربعة الذين ولي منهم
 الخلافة بعد ذلك المعتز والمعتمد ثم انقسموا حزبين بين المستعين والمعتز الذي كان معه

حزب العرب الذين ولوه الخلافة سنة ٢٥٢ هجرية فاخروهم عن زمن الصرف المعتاد فالزموه فخلعها سنة خمس وخمسين ومائتين على المهتدي بن الواثق الذي أراد الضبط عليهم فقتلوه في قصره سنة ست وخمسين ومائتين التي تولى فيها المعتمد الخلافة الى سنة تسع وسبعين ومائتين والفضل في تلك السنين لاختيه الموفق حيث بذل روحه ولم يبق شيئاً من عزائم أهل الفتن وصرف عقول العساكر التركية عن اضرار نيران الفتن في القطر باستعمالهم في حروب بعيدة عن المملكة

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في استقلال عائلات ملوكية عن الخلفاء في الاقاليم الشرقية﴾

﴿من آسيا وهي الطاهرية والصفرية والسمانية وغيرها﴾

لما اضطرت الحكومة البغدادية أخذت حكام الاقاليم يضيعون احترامها ويتأسفون على ما يؤدونه من الخراج ويطمعون عند عزل خليفة في الاستقلال فلا يدخلون تحت طاعة المتولى الا بشروط يأخذونها عليه ولم يزالوا كذلك حتى قويت شوكتهم فكان لهم من الخلافة مسماها وللخلفاء اسمها

ثم ظهر بالاستقلال عن الحكومة البغدادية العائلات الطاهرية والعلوية والصفرية والسمانية وغيرها فيما بين سنة أربع عشرة وثمانمائة وسنة خمس وخمسين وألف ميلادية الذي ظهر فيه بالمملكة الفرنسية عائلات استقلت بالحكم في ايلات عظيمة

وأول الطاهرية ابراهيم بن الاغلب الذي ولاه الرشيد الاقاليم المغربية لثلاث تضييع من يده بالكلية وخلفه من بعده حتى تولاها الامير الرابع طاهر الذي قاد جيوش المأمون وبذل النصيح في خدمته فكافأه باعطائه اقليم خراسان وراثته سنة أربع عشرة وثمانمائة ميلادية مع ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة فساس طاهر الرعية حتى جنت اليه وأفردت اسمه بالذكر في الخطبة وخلفه الامير محمد سنة اثنتين وستين وثمانمائة ميلادية

وتلك من العلوية السيد حسن بن زياد الديلم وجرجان وطبرستان المجاورة لبحر

جرجان واستقل بالحكم سنة أربع وستين وثمانمائة ميلادية واشتغل من الصفرية يعقوب بن ليتس بصناعة الصفر وهو الخامس مدة ثم التحق بالعسكر ونجح في معرفة فن العسكرية ثم دخل سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ميلادية في خراسان بجيش هائل فتح اقليم سجستان وقطع دابر الطاهرية هذه السنة وسلب من العلوية اقليم طبرستان وأخذ يقيم تارة بمر و أخرى بنيسابور وأراد القتل ببغداد سنة أربع وسبعين وثمانمائة ميلادية فتقدم اليه الموفق بالله وهرزمه قرب مدينة واسط فرجع الى ممالكه وأخذ في السنة التالية يهدد الموفق باعدام الدولة ثم مات سنة تسع وسبعين وثمانمائة ميلادية خلفه أخوه عمر فبايع المعتمد هذه السنة على تملكه لما تحت حكمه

وولى المأمون سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ميلادية على سمرقند وفرغانة وبلخ وأولاد أسد الذي هو ابن جبال يسمى سمعان أو سمان منهم أحمد الذي خلفه في الشوكة ولده الأكبر ناصر الذي باستيلائه على بخارى تله ملك ما وراء النهر فاخذ يدافع عنه الاتراك والصفرية حتى استعان بأعدائه أخوه اسمعيل سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ميلادية وهجم عليه تأسره ثم أيقاه على مملكته مع التعظيم اللائق بمنصبه اظهرا لعظمة خلقه وطبعه حتى مات الناصر سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ميلادية فقام هو بالمملكة وطرده التركان خلف سيمون وأسس العائلة السمعانية أو السمانية وأظهر الاستقلال بالحكم على اقليم خوارزم وما وراء النهر

(المبحث الثالث)

﴿ في عصبان العباسية في الاقاليم الغربية والايلة المصرية ﴾

﴿ وذكر عائلتي الزنجيين والطولونيين ﴾

جمع رجل من أهل القارات زنجيين من زنجبار ملك بهم البصرة ومعظم العراق العربي وبعض اقليم اهواز وخوزستان وما زال يقاوم دهمات العرب زمن خلافة المعتز والمعتضد حتى استغلف المعتمد على الله فسار أخوه الموفق بجيوش أخذ بها من الزنجيين البصرة والعراق العربي والاقاليم الفارسية سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة ميلادية وتولى اذذاك الديار المصرية والشامية أحمد بن طولون

أحد الترك العتقى المرتبين بدواوين الخلفاء كان محبا للعلوم كريما بارا برعيته
وسع القسطنطينية وبنى مسجده الموجود الآن (سنة ثمان وثلاثمائة وألف) في
أواخر الصليبية وأظهر الاستقلال عن الحكومة العباسية بمنع الخراج سنة
سبع وسبعين وثمانمائة ميلادية

ولاشتغال الموفق بحرب الزنجيين أغرى أمراء الشام على عصيان ابن طولون
الذى نجا منه حتى مات سنة أربع وثمانين وثمانمائة ميلادية خلفه ابنه نجارويه
واعترف بسلطنته أهل دمشق فاتخذها دارا قامة ونصر على أعدائه المتحزبين
على عزله سنة تسع وثمانين وثمانمائة ميلادية بنى بالقسطنطينية حوشا واسعا به
جميع أصناف الحيوان العجيبة لكل منها مسكن وحوض ماء من رخام شغف بالخليل
والصيد وزخرفة القصور ووضع سريره بركة ملاءها زنبقا يهتز به اهتزازا لطيفا
لينام مات قتيلا فزال عز هذه العائلة

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في نصرات العباسية آخر القرن التاسع وأول العاشر﴾

لما نشأ بالشرق ممالك الصفيرية والسمانية والطولونية بقي للعباسيين بحيث
جزيرة العرب وبلاد جزيرة النهرين والعراق الجبى والعربى وأذربيجان وARMENIA
والاقاليم التى على بحرى جرجان والهند

وولى المعتضد الخلافة سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ميلادية فانقاد له نجارويه
ابن أحمد بن طولون على ان يوليه مصر والشام ويأخذ منه كل سنة مليوناً من
الدنانير ثم مات نجارويه فقامت الحرب بين ولديه جيش وهرون فالزم المعتضد
سنة تسع وتسعين وثمانمائة ميلادية من انتصر منهما أن يزيد فى المرتب أربعائة
وثمانين الف دينار وطرد من الجزيرة عربيا وكردا رحلوا عن صحارى الشام
مريدين الاستيلاء على الموصل وقع الامير همدان الذى أعلن فى هذه الجزيرة
بالاستقلال وخلفه المقتدى سنة اثنتين وتسعمائة فدهم هرون بن نجارويه برا وبحرا
بخيوش انقاد لهم جميع أمراء هرون بلا حرب سنة خمس وتسعمائة ميلادية وأوقد

بين الصفورية والسمانية حروبا نصر فيها السمانية وضموا الى ماوراء النهر أقاليم خراسان وطبرستان وسجستان وبعثوا الى بغداد آخر ملوك الصفورية وبالجملة لم يحصل في المملكة من سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ميلادية تمزيق حتى ولي المقتدر الخلافة سنة ثمان وتسعمائة ميلادية فتحزب عليه أحزاب قاموا عليه مرات فضعت شوكته في سائر نواحي المملكة التي أخذت من سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ميلادية في الاستقلال واستمر التمزيق فيها حتى زالت الحكومة البغدادية سنة خمس وأربعين وتسعمائة ميلادية زوالا كليا

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في اقتصار العباسية على الرياسة الدينية بعد ان كانت﴾

﴿لهم الرياستان وفي اختراع منصب أمير الامراء﴾

﴿وتأسيس شوكة البويهيين﴾

ما زال الخلفاء يبعثون أميرا يحكم مصر والشام حتى بعثوا مملوكا تركانيا يدعى أبا بكر شجدا الاخشيد علم أن سيف غضب عليه الخليفة ويعزله عن منصبه فألف أحزابا عصى بهم الخلافة لضعف شوكتها واستقل بالحكم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ميلادية وخلفه في الاستقلال بحكم مصر والشام أبو القاسم محمود ثم أبو الحسن علي فكافور فأبوالفوارس وقد نصب بالجزيرة رجل من ذرية الأمير همدان راية الاستقلال زمن المعتضد سنة ثلاثين وتسعمائة ميلادية وأخذ عدة مدن بهذه الجزيرة وجال برجله فيما جاوره حتى في الشمال الشرقي من بر الشام سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ميلادية وأخذ مدينة الموصل تحت مملكته التي خلفه فيها ناصر الدولة المتوسط في تسكين الفتن البغدادية وسيف الدولة المظهر في حربه مع اليونان الشجاعة والشهامة وأخذت هذه العائلة الهمدانية تنازع العائلة الاخشيدية في حكم الشام ودخلوا مرات دمشق وملكوا حلب واستقل بالحكم حزبا الراقية والباريدية وتنازعا سنة أربعين وتسعمائة ميلادية

في الاستيلاء على مدينتي البصرة وواسط و اقليم الاهواز وكذلك استقل
 ارمنستان و جرجستان و سارتا حكومتين وأشهر السلاح رئيس من أعيان اقليم
 جيلان يسمى مرداويج بن بويه فاخذ على بحر جرجان اقليم مازندران و جيلان
 و ثروان و جرجان و أخذ ايلة طبرستان من السمانية و معظم اقليم اذربيجان فكان مؤسسا
 للعائلة البويهية الا انه لم ينل فخارا حيث نازعه اخوته الثلاثة الذين كانوا في
 جيشه زاعمين انهم من نسل الاكاسرة بنى ساسان مع ان أباهم بويه كان صياد
 سمك فقيرا ضموا الى ممالك مرداويج اقليم كرمان و مكران و العراق
 العجمي و سورستان و خوزستان من سنة ثلاث و ثلاثين و تسعمائة الى سنة
 أربعين و تسعمائة ميلادية و أحيطت بغداد بالولايات المستقلة من ابتداء هذا
 الزمن الذي استمر فيه القتل في القواد و الوزراء و الملوك المستقلين بالحكم
 و كذا الخلفاء فقد قتل من التسعة و الخمسين خليفة ثمانية و ثلاثون و عذبوا
 بالجوع أو ادمان السجن أو الرمي في وعاء كبير مملوء ثلجا ولذا خرج القاهر من
 السجن مفقوء العينين عليه ثياب بالية يسأل الناس على أبواب المساجد
 و تغلب على الراضي ضابط العساكر التركانية و تصرفوا كما شاؤا في سائر فروع
 المملكة فاخترع منصب امارة الامراء و اعطاه ابن رائق فتولى قيادة الجيوش
 و خزينة المملكة و سائر أمور الرعية و قرن اسمه باسم الخليفة في الخطبة
 و بازال متصرفا بالمملكة حتى حنق منه چندی يسمى ياقم فاحصر بغداد و قبض
 على الراضي سنة أربعين و تسعمائة ميلادية و ألزمه أن يوليه امارة الامراء
 فولاه و حكم حتى مات في خلافة المتقي سنة ثلاث و أربعين و تسعمائة ميلادية
 فتنازعها بنو رائق و بنو بريدة أصحاب واسط و بنو همدان أصحاب الموصل
 و تردد المتقي فبين يوليه اياها و استحسن ان ينضم الى الاخشيديين ثم نصر رئيس
 التركانية على هؤلاء فامر بقتل المتقي لتردده في اعطاء الامارة وولى بدله
 المستكفي و حنق البغداديون من مفساد التركانية فاستغاثوا بالبويهيين المستقر

حكمهم اذذاك في اقاليم مملكة الفرس القديمة فأثوا للاغاثة بجيوش فتح لهم أهل بغداد الابواب سنة خمس وأربعين وتسعمائة ميلادية وتقلد معز الدولة اماره الامراء وعزل الخليفة يا آخر كان باذلا نفسه في نجاح مصلحة المعز أول الامراء البويهية المستمرين في ذلك المنصب أكثر من مائة سنة واقتصر الخلفاء داخل قصورهم يسألون أنفسهم بمجالسة العلماء ثم مات الراضى آخر من اتخذ أرباب المعارف أنخص جلسائه فأخذ البويهيون ينشرون العلوم ويوسعون علم الفلك والعلوم الرياضية وأحضروا من الاقاليم التي تحت حكمهم عساكر أسكنوا بها أحزابا تعصبوا عليهم واختصوا بالحكم وأما المطيع والطائع والقادر والقائم فجردوا عن الحكم ولم يكن عند كل منهم الا كاتب واحد ومع ذلك كان أغلب العائلات المحكمة في اقاليم آسيا يقلدون الحكومة من قبل هؤلاء الخلفاء لما عليه أهل السنة من أن العباسية أحق بالخلافة ولكن أهل الطمع تغلبوا على الحكم السياسى وتركوا لهم الحكم الدينى

﴿المبحث السادس﴾

﴿في فرق الزيدية والاسماعيلية والكرمانية وغيرها﴾

ظهر زمن الأموية عدّة فرق دينية تعبوا في ازالها كاخوارج والقدريّة والأزارقة والصفريّة وفي عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية الزاعمة ان الخلفاء يعبدون كعبادة الاله وتعتبر دورهم كعبه جديدة قاتلهم المنصور فقابلوه باعظم ما يكون من السجاعة والبأس ليعبدوه قهرا عنه وظهرت أيضا فرقة الزيدية القائلة بجرمة أكل لحوم الحيوان وتلك الانسان شيئا لخاصة نفسه

وأسس بابك في اقليم اذربيجان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ميلادية فرقة الاسماعيلية المعتقدة مذهب الدهرية وقاومت عساكر المعتصم أربع سنين وملاّت الكرمانية في القرن العاشر من الميلاذ بلاد العرب وأخذت من العباسيين

العباسيين الاقاليم الشرقية من بحيث جزيرة العرب ولم يبقوا لهم فيها حكما دينيا ولا دنيويا وكان كerman منكرًا للنبوّة ووجود الله تعالى وعظ بابطال العبودية فتبعه كثيرون نصرّوه واغتنوا بالنهب والسلب فعكفوا على أعظم المفساد ونهبوا الكوفة في خلافه المعتضد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وأغاروا في خلافة المكتفي على فلسطين والشام وهددوا دمشق بالهجوم عليها وتعرضوا لنهب القوافل الذاهبة الى مكة وأوقفوا في آن واحد تجارة العراق والجزار واتخذوا مستقر مذهبهم صحارى الشام وكلاّدة واليمامة والبحرين وهجم بهم رئيسهم أبو طاهر على مكة فاصروها قبل سنة ثلاثين وتسعمائة فاخذوها عنوة وذبحوا من أهلها أكثر من ألفين وهدموا الكعبة وأزالوا الجبال الاسود وردموا بئر زمزم ثم بعثوا الى مكة الجبل فأمر الخليفة بوضعه ثانيا وكسر منه قطعة وضعها على باب مسكنه فكان ذلك سببا في الجثي على الركب حين دخول بيوت الملوكة وفي قولهم الباب العالي للدلالة على مسكن الخليفة ثم أطلق على باب سلاطين القسطنطينية

وقد ظهرت شوكة هؤلاء الكرمانية حتى أخذوا الجزية من القاهر والراضى ثم هزمتهم الملوكة الهمدانية والاششيدية فذهبت شهرتهم شيئا فشيئا وظهر مع هؤلاء علماء مفتون وفلاسفة وصوفية أداموا توجه أرواحهم الى الله بواسطة اعدام جميع الشهوات انتشر مذهبهم خصوصا بين الفرس وانتصر في الهندستان على مذهب البرهمانية الا أن شقاق الشيعة والسنية اضربا بالتقدمات الدينية وعجز الخلفاء وأمراء الامراء أن يجمعوا الناس على عقيدة واحدة وفشت الاضطرابات الدينية وفرض بعض أهل البدع على نفسه سب معاوية كما ذكر اسمه ورتب احتفالات لتعظيم على بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

وتظاهر بعض آخر بالصدقة والتعصب لمذهب أهل السنة مريدا أن يتبع سائر الناس الاحاديث والمواظب بغاية الدقة ولخوف العباسية من تسلط العساوية انضموا الى أهل السنة واضطهدوا من لم يشاركهم في هذا الرأي

﴿المبحث السابع﴾

﴿في تجديد العلوية دعوى الخلافة وتأسيس الفاطمية﴾

﴿خلافتهم بالقاهرة وتحريضهم الناس على ممارسة﴾

﴿العلوم وسيرة الحاكم وأمة الدروز﴾

لما لم تنل العلوية الخلافة بدل العباسية وجهوا فكرتهم الى انشاء حكومة في الممالك المنفصلة عن المملكة العباسية فلك احدثهم طبرستان زمانيسيرا وجمعت العائلة الادريسية في اقليم موريتانيا اقواما على حب ابن ابي طالب وادعى الامامة ابو عبيد الله الفاطمي ونصره أهل المغرب على العائلة الاغلبية التي ازالها سنة ثمان وتسعمائة ميلادية ثم نفذت احكامه بجميع سواحل البحر الابيض المتوسط وأسس شوكة الفاطمية بقرى وان ومهدية وأخذ يهدد حكام الديار المصرية بالاستيلاء عليها فمات وخلفه ابنه القائم بأمر الله من سنة ثلاث عشرة وتسعمائة الى سنة ست وأربعين وتسعمائة ميلادية التي خلفه فيها المنصور. ضعفت قوتهم ما في محاربة الاخشيد فاتخذوا بالجهاز واليمن أحبة كثيرة يبذل العطايا الجزيلة ثم مات المنصور سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وخلفه المعز لدين الله ومات الاخشيد فكان في حكم الديار المصرية والشامية تنارع اغتتم به المعز الفرصة حيث جال في بلاد الاخشيد وانتقادت له الامراء فكان أول خليفة فاطمي بالديار المصرية سنة ثمان وستين وتسعمائة ميلادية ثم أخذت الفاطمية تنارع العباسية في أمور دينية وبنوا القاهرة سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وفتحوا الشام وجزأ من الجزيرة واعترف بخلافتهم في بحيث جزيرة العرب جزء عظيم أمل فهم الانجاد على من يظهر في بلادهم من الكرمانية واجتهدوا في تقديمات التجارة والصنائع والفلاحة والعلوم وبنوا المساجد الفاخرة ورصد خاتنة لابن يونس مثل ما كان للفلكيين في المملكة العباسية وحسنوا ادارة الخراج وكيفية تحصيله وسأوى وارد المملكة السنوى وارد المملكة

العباسية

العباسية زمن الرشيد وذكرت اسمائهم مع اسم علي بن أبي طالب في سائر خطب مملكتهم التي كانت هي ومملكا البويهيين والسمانيين جميع مملكة العرب الشرقية في غاية القرن العاشر من الميلاد

وذهب ملك البويهية فانتقل القمن الى القاهرة وفاقته مدارسها رونقا على المدارس البغدادية لاجتهاد الفاطمية في التقدّمات العلمية كغيرها الا أن الحاكم ظهر على سرير الخلافة سنة ست وتسعين وتسعمائة ميلادية ظهور ابلدس فأخذ يعاقب رعاياه بغاية الفطاعة ويمشى وراءه مماليك بأسلحة لذبح كل من يكذره ولو بأذن شئ ويرى من قصره ورقات في كل منها أمر بتقديعها الى أمير معين يذهب اليه من وقعت في يده فيعامله ذلك الأمير بما فيها من اعطائه دراهم كثيرة أو عقابه بأشنع الاساآت وأخذ يعذب اليهود والنصارى حتى يسلوا فيأذن لهم في العود الى ما كانوا عليه رتب أعيننا يخبرونه بكل حادثة ولو واهية فزعم بعض الناس انه يرى ويعلم كل شئ فعبدوه كعبادة الاله وأخذ يحضر أى مجلس على حين غفلة محتفيا فقويت دعواه الالهوية عند عباده حتى نادوا عند غيبته عنهم انه صعد حيا الى السماء وسيعود

أخبر حمزة الفارسي ابن عبد الهادي بن على التريزى ان الله تعالى ظهر بالصورة البشرية فيما مضى عدة مرات وظهر الا سن في صورة الحاكم بأمر الله فغضب عليه أهل القاهرة وطرده وفر الى الشام وأخذ ينشر مذهبه الذى سماه دين الوجدانية لدى الاقوام المسمون بالدروز وكان الحاكم مع ذلك يحترم العلماء ويشوقهم باحسانه الى احياء العلوم أهدي اليه ابن يونس أرياجا نسبت اليه وقد قتله أخته وولت بدله ابنه الظاهر وهو طفل سنة عشرين وألف ميلادية ثم خلفه سنة ست وثلاثين وألف المستنصر الذى اعترف بخلافته أهل أفريقيا الشمالية وبحيث جزيرة العرب وعمت خلافته البلاد الاسلامية واعتبره البغداديون امامهم فى الدين ساخطين على القائم بأمر الله لاستعانتة بطغر لبك التركانى السلجوقى الا أنه

فقد بعد ذلك أحسن الاقاليم الشامية وبقى في حكمه اقليم فلسطين بغاية المشقة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في الملوك البويهية والسمانية والغزنوية﴾

أخذ البويهيون مملكة الفرس سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ميلادية وطرّدوا الهمدانين من الجزيرة وكذا الموصل تحت مملكتهم وأعدّموا العساكر التركانية واختصّوا في بغداد بامارة الامراء فكان لهم في النصف الاخير من القرن العاشر الميلادي بالعراق العربي وبغداد وسائر قسم آسيا من السلطان الاعظم وجلالة الشأن ما لم ينافسهم فيه منافس

واقترى عضد الدولة بالمأمون فغمر العلماء والشعراء بالانعام وحرص الناس على اكتساب العلوم وأحيا مدرسة بغداد بعد دروسها وحفر قرب شيرازنهرها به حققت المزارع من الفيضان السنوي وسهل ربط العلائق التجارية ونهج شرف الدولة نهجه في احياء المدرسة البغدادية التي نبغ منها في عهدهما علماء

منهم ابن الأعلم وعبد الرحمن الصوفي وأبو الوفاء الفلكي وبني هؤلاء الملوك للرضي مستشفى بمهرجان عظيم بقيت ذكرته في الصحف التاريخية الشرقية لكنهم وضعوا قوانين في انتقال ممالكهم الى ذرائعهم وقسموها عليهم تقسيما غير سياسي به فتحت أبواب الحروب الداخلية وغرق ما أسسوه من الممالك

وحكم السمانية في المشرق سنة أربع وسبعين وثمانمائة حتى انقرض حكمهم سنة تسع وتسعين وتسعمائة ميلادية التي انحطت فيها دولة الامراء البويهية فان مملوكا تركانيا يسمى ألب تجين ترقى في عهد سيده عبد الملك الى منصب الوزارة حتى مات سيده وأرد أن يخلفه في الحكومة فلم ينلها وأخرج من بخارى فتوطن غزنة ست عشرة سنة قاوم فيها السمانية التي بذلت جهدها في ازالة

جاهه وامارته وخلفه سنة خمس وتسعين وتسعمائة ميلادية صهره سبكتكين
الذى كان قائد جنوده ومشيره فاستمال رعيته وأغار على الهند ونشر فيه
الاسلام وخرّب اقليم بنجاب وانشأ مدينتى بسط وقصدار وتعاهد مع نوح حفيد
عبد الملك فنع عن السمانية اغارة التركان الذين أغاروا على بلاد ماوراء النهر
ثم خلفه اسماعيل اصغر أولاده فنارعه أخوه محمود لكبره عنه وقتله ثم غلب
السمانية وأخذ اقليم خراسان سنة الف ميلادية واستقل بمملكته مستغنيا
بما حازه من الغنائم فبعث اليه الخليفة العباسى ثقليدا بحكومة خراسان
وأمره ان لا يتوجه الى بلاد الامراء البويهية فلم يصغ لقوله ودهم البويهيين فاخذ منهم
بلاد جرجان والعراق الفارسى ودخل مملكة هراة وبلوچستان تحت حكمه
السارى من منابع نهري السند والكنج الى بحر الخزر وهو أول من تلقب من
أصحاب الدول المشرقية بالسلطان اتخذ غزنة كرسى مملكته وأذاع فى سائر الجهات
الدين الاسلامى محاميا عن الامة العربية وأخذ الجزية مما فتحه فى الهند من
قنوج ولوهور ودلهى ومطرة وخرّب فى غرب الهندستان مملكة جوزارات
وفعل بالهند ما شتهر به من الغزوات التى انتهى فيها الى هيكل سومنات
الفائق ما عداه زخرفة وحسنا كانت قبته مغطاة بصفائح ذهب مرصعة باحجار
قدية ثمينة والصنم الموضوع فيه حجر طوله خمسون ذراعا وهو أكبر أصنام
الهندستان وبه ألفا خادم من البراهمة الذين عرضوا على هذا السلطان أكثر من
مائتى مليون فأبى وكسر ذلك الصنم فوجد من الاحجار واليواقيت أكثر مما
عرضوه عليه

وبالجملة كان هذا السلطان ذا غيرة وحجاسة دينية مقتديا بخلفاء النبى (صلى الله
عليه وسلم) ولذا بعث اليه الخليفة القادر بالله كتابا لقبه فيه بالمحمى عن
المؤمنين

﴿المبحث التاسع﴾

﴿في إزالة السلجوقية الدولة الغزنوية﴾

﴿وحكم اليونان في الشام﴾

نشر السلطان محمود الغزنوي عساكره في الهند وترك إقليم ما وراء النهر في قبضة قبائل تركستان المعروفة بمملكة التتار وأدخل الأتراك السلجوقية في خراسان حين أسلموا وسألوه أرضا يسكنون وينتفعون بها

خلفه ابنه مسعود سنة ثلاثين وألف ميلادية فاجتهد في أن يتخلص من مجاورة هؤلاء الأتراك فغلبوه فبقى محترسا منهم حتى لبس طغرل بك السلجوقي تاج الملك في مدينة نيسابور ثم نصر على الغزنوية وطردهم من بلادهم الى الهند ثم أغار على أقاليم خوارزم وجرجان والعراق العجى وحاصر البويهية أمراء بغداد المتسلطن بها اذ ذاك سوء الانتظام بمادهم خليفة القائم بأمر الله من وزرائه العصاة والخلفاء الفاطمية وأمراء الشام

ولطغرل بك السلجوقي اذ ذاك الشوكة على جميع الممالك الاسلامية التي بنى بكل مدينة منها مسجدا وأحضره القائم الى بغداد فولاه السلطنة على بلاد العرب وبلاد الفرس وألبسه تاجين ونجاد سيف فاخر وسبعة أقبية من ملابس الشرف وأهدى اليه سبع جوارحسان كل منها باحدى الممالك السبعة ثم زوجه أخته وقرن اسمه باسمه في الخطبة ثم رحل طغرل بك بالسلجوقية عن بغداد فعصى أهلها القائم بأمر الله ونادوا بخلافة المستنصر الفاطمي بدل القائم فعاد طغرل بك الى بغداد وأجلس القائم على سرير الخلافة التي أخذت في التقهقر فشرع اليونان في إعادة مأخذ الخلفاء منهم فقد ذهبوا دمياط سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ميلادية وجالوا بعد ذلك بقرن في الأناضول والشام حتى وصلوا الى مدينة حلب ونهبوا خزائن سيف الدولة الهمداني وانتشر بالفسرات والجزيرة جيوش القيصرين (نيسيفور فوقاس Nicéphore P hocas) و(حنا زيميسيس Jean Zimiscès)

الحاكمين

الحاكمين من سنة ثلاث وستين وتسعمائة الى سنة ست وسبعين وتسعمائة ميلادية
وأخذ الثاني بالجزيرة مدائن كثيرة وانطاكية وجميع ايلة سيسيليا وجزيرة قبرص
واجتمع قبائل التركانية تحت رياسة واحد من أمراء السلجوقية مستعدة للتغلب
على الاقاليم الغربية من قسم آسيا مع عجز الخلفاء العباسية عن مقاومتها ومقاومة
اليونان

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ من المقالة الرابعة ﴾

﴿ في دولة السلجوقية وانعدام الحكم الديني الذي كان للعباسية وغارة ﴾
﴿ المغول والترك المشرقية وزوال حكم العرب من قسم آسيا ﴾

﴿ وفيه عشرة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في طباع السلجوقية وفتوحاتهم ﴾

تبع طغرل بك أقوام من الأتراك مثل السرمانية الذين جالوا في غرب أوروبا واخترقوا
اسبانيا حتى وصلوا الى بونغاز جبل طارق ومثل الاقوام البلغارية والاوارية
والمجرية والحزارية والبتشيجية والقومانية والمغولية الذين خربوا مرات كثيرة
بلاد أوروبا والأقاليم الغربية من قسم آسيا سموها بالسلجوقية تبعاً لرؤسائهم
السلجوقية وكان عصر غارتهم الذي هو أبهى أعصرهم من سنة خمس وخمسين
وألف الى سنة اثنتين وتسعين وألف ميلادية وما زالوا معترفين بالطاعة لطرغل بك
المتقدم في فتوحاته الى داخل اقليم الجزيرة وأرمينية حتى مات سنة اثنتين
وستين وألف

نخلفه ابن أخيه المسمى ألب ارسلان فحذا حذوه في الفخار والظفر واستولى
على ايلة سيسيليا وأسر السلطان (ديوجين Diogène) الروماني وأخذ منه الاقاليم
التي اقتحها حناز عيسى فاحسن معاملته بتعظيمه اللائق به

(١٧ خلاصة تاريخ العرب)

فذكر بخطبة مكة اسمه مع اسم الخليفة العباسي بدل الخليفة الفاطمي وأخذ جرجستان وانقاد له معظم آسيا وبلغت عساكره مائتي ألف والروساء تحت يده ألفا ومائتين وهم بالانغارة على مملكة تركستان واذا رجل من خوارزم قتله بجنجر نخلفه ابنه جلال الدين ملك شاه

وكان التتار والمغول في أطراف آسيا حافطين لطباعهم الاصلية باقين على حالتهم الخشنة لا يعرفون ناصرا غير السيف المسلول والاقوام الاخر من التتار والمغول الذين يقتربون كثيرا من غربي آسيا والمعروفون في التاريخ من ابتداء القرن الخامس بعد الميلاد باسم الاتراك تغيرت اذذاك احوالهم لممارستهم التمدن ومخالطتهم للنسل العربي حتى ذهبت الاوصاف الثقيلة التي كان عليها السيتيون الاقدمون واشتغلوا بالفلاحة والتجارة ولكنهم كانوا متكبرين شديدي الحب للقوة الحاكمة ولذا أضاعوا كل شئ وارتضوا ان يكونوا أرقاء لاجل تحكمهم على عقل سيدهم بنوع من الحصر والقسر الجسماني الذي يخمل الفطنة العقلية

وقد أغار هؤلاء السلجوقية على مملكة الفرس فوجدوا في جميع جهاتها اخوانا لهم من جنسهم في صفوف العدو وأخذوا يسألون بني العباس ان يقلدوهم حكم ما فتحوه من البلاد وكانوا مائلين للحرب ذوى حمية وحجاسة حين ارادة العرب الاستراحة وممارسة الفنون التي يناسبها الهدوء والصلح ولذا كانوا متمكنين من الاستقلال بالسلطنة فانهم حين انتصروا على اليونان وآخذوا منهم آسبا الصغرى أوسعوا ممالكهم حتى كانت من نهر السند الى بونغار القسطنطينية ولكنهم لم يعرفوا تنظيم دولتهم فان غالب جهاتها كان خاليا من الحكام المدبرين مع ما انضم الى ذلك من تنازع الرؤساء المستقلين في تقسيم السلطة الملوكية وكان ذلك سببا في تمكن المغول منهم حين انقض جنكيزخان على الاقاليم الغربية من آسيا في ابتداء القرن الثالث عشر بعد الميلاد

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في سلطنة الملك شاه وتقسيم ممالكه بعده وانحطاط﴾

﴿دولة السلجوقية﴾

الى هذا السلطان ينسب التاريخ الجلالى وهورزنامه فارسية صحهاله عمر الفلكى فكانت أصح من الرزنامه الافرنجية المسماة بالرزنامه الغريغوارية تساطن سنة اثنتين وسبعين وألف ميلادية فاخذ يوسع مملكته وخطب باسمه فى مكة والمدينة وبيت المقدس وبغداد واصفهان والرى وسمرقند وبخارى وكشغار والجزيرة والشام وفلسطين أمر قريبه الامير سليمان بجال برجال فتح بهم أرمينية الكبرى وجرجستان والبحر الاسود والبحر الابيض وايلة البانية وايلة أرمينية الصغرى سنة ١٠٨١ ميلادية وسار حتى بلغ بوغاز القسطنطينية المسمى بسفور وفراليونان من بلاد آسيا التى افتتها الامير سليمان وجال الملكشاه فى أقاليم تركستان وبلغ قائد جيوشه أترىز الخوارزمى شواطئ نهر النيل وصدده المستنصر بالله فهجم على مدينة بيت المقدس ونهب مافها وامتدت مملكة هذا السلطان من بوغاز القسطنطينية الى نهر السند وأسر فى احدى غزواته مع رثانة هيئته التى أدرجته فى زمرة الاسرى فدبر خروجه وزيره نظام الملك الذى أنشأ فى أيامه ببغداد المدرسة الحنفية والمدرسة النظامية وعمل عدة مساجد وطرقا وخلصنا سهل بها الارتباط بين جميع أهل المملكة التى مازال هذا الوزير بها مدبرا ساعيا فى نشر العلوم وتقديمها حتى وشى فيه بعض أعدائه الى هذا السلطان فعزل هذا الرجل الجليل القدر الذى كان عامود المملكة ثم قتله الاسماعيلية وسنه ثلاثة وتسعون سنة

مات السلطان ملكشاه سنة اثنتين وتسعين وألف ميلادية فقسم أولاده الاربع محمود وبارقياروق وسنجان وحمد المملكة الى ممالك أربع بلاد الفرس وكرمان والشام والاناطول بعد أن كانت بينهم من سنة اثنتين وتسعين وألف الى ستة

أربع وخمسين ومائة وألف ميلادية حروب أفنت رجالهم بلا فائدة وعصمتهم
 حكام المدائن ثم توطن الامير أرطق سنة ست وتسعين وألف ميلادية مدينة
 بيت المقدس متأملاً فيما يوصله الى السلطنة ثم هياً سلطان الموصل الشوكة
 لابنه نور الدين ثم أخذ حاكم من خوارزم بيت الفتن في البلاد السلجوقية حتى
 استقل بحكمها سنة سبع وعشرين ومائة وألف ميلادية قهراً عن سنجان
 سلطان بلاد الفرس الذي كان آخر العائلة السلجوقية وفتح خلفاء هذا الحاكم
 أقاليم ما وراء النهر وخراسان والعراق الفارسي وكرمان فجددوا المملكة الغزنوية
 وبقي تحت أيديهم الاقاليم الملاصقة لشاطئ نهر السند حتى جعلت الغورية
 كرسى السلطنة المحمدية ببلاد الهند في مدينة لاهور من سنة ثلاث وثمانين ومائة
 وألف الى سنة خمس ومائتين وألف ميلادية ثم في مدينة دلهي ونهبوا مدينة
 بينارس وأخذوا اقليم بنغالة ووجد من عائلتهم ملوك الاقنان في اقليم يارو ياميزوس
 القديم

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في شوكة الامير محمد ابن الملك شاه سلطان خوارزم﴾

﴿وفي سلطنة العرب اذ ذاك واحياء الخلفاء العباسية﴾

﴿بعض ما كان لهم من الحكم﴾

أخذت الغورية بمملكة الغزنوية ولبثت تحت أيديهم خمساً وعشرين سنة فاغار
 عليهم السلطان محمد وسلبهم الاقاليم الغربية فعلا شأنه حتى أغار عليه المغول
 من سنة ثمان ومائتين وألف الى سنة ثمان عشرة ومائتين وألف وقويت
 شوكة السلجوقية في القرن الحادي عشر بعد الميلاد ففوز القائم الحكم لهم
 من سنة خمس وخمسين وألف الى سنة أربع وسبعين وألف وبقي في بغداد لا حكم
 له خارجها

وخلفه المقتدى الى سنة أربع وتسعين وألف ثم المستظهر الى سنة ثمان عشرة ومائة
 وألف

وألف فبعثنا الى ملوك أصفهان تيجانا وأطواقا وأساور وسلطات تشريف اشارة الى تقليدهم السلطنة على بلاد الفرس ثم ولى المسترشد الخلافة الى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف وضعفت شوكة السلجوقية اذ ذاك فصد المسترشد بجيوشه سلجوقيا أراد أن يتولى السلطنة قهرا وخلفه الراشد الى سنة ست وثلاثين ومائة وألف فاراد مسعود السلجوقى حفيد الملكشاه أن يتولى السلطنة فاخذ الراشد يدافعه حتى مات وخلفه المقتدى الثانى الى سنة ستين ومائة وألف ولم يدافع هذا السلجوقى خشية من سطوته القوية حتى مات فهزم هذا الخليفة السلجوقية عن بغداد وانقاده أهل العراق العربى فذكروا اسمه فى الخطبة مع السلطان السلجوقى الذى لىث هو ومن بعده يدبرون المملكة من سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف الى سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف وليس للخلفاء المستنجد والمستضى والناصر والظاهر والمستنصر المتولين من سنة ستين ومائة وألف الى سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف تدبير فى المملكة نعم كان لهم المحاماة عن التجارة والصنائع والعلوم بلا تعرض لهم وبنى الظاهر مساجد ومدارس ومارستانا ومستشفيات وبالجملة كان للسلجوقية الشوكة التامة فى أواخر القرن الحادى عشر وضعفت فى الثانى عشر ضعفا بينا بالاقاليم الشرقية من المملكة العربية وفى غرة القرن الثالث عشر كان ولاية اذربيجان ولارستان وفرسيستان مقسمين للسلطنة بينهم وبين سلاطين خوارزم وخلفاء بغداد

وأغارت العرب على الاتراك المعروفين بالتتار المتولين الحكم السياسى حتى انقادوا فتمسكوا بالاسلام وتكلموا بالعربية واحترموا العلماء وحاموا عن المعلومات لئلا تضيع واستمدوا أفكارهم

﴿المبحث الرابع﴾

﴿فى حال الاقاليم الغربية من آسيا فى غاية القرن الحادى عشر بعد الميلاد﴾
 ﴿وفى الحرب الصليبي المسمى لدى معاشر المسلمين بالجهاد الاول فى نصارى﴾
 ﴿أوروبا الصليبية الراسمين الصليب على لباسهم وبيارقهم﴾
 أدخل الملكشاه السلجوقى اقاليم الجزيرة والاناضول والشام تحت طاعته ثم مات

سنة اثنتين وتسعين وألف ميلادية فانقسمت مملكته الى ثلاثة ممالك لا ارتباط
لها ببلاد الفرس قواعدها حلب ودمشق وكذا قونية الممتدة سلطنتها الى
الاناضول ثم كان بين ملوك حلب ودمشق تنازع في أخذ مدن باقلمى الجزيرة
والشام مع عجز الفاطمية اذذاك عن اعادتها تحت حكمهم لانحطاط شوكتهم
فان السلجوقية أخذوا منهم الاقطار الحجازية

وأعرض المستعلى متولى الخلافة الفاطمية من سنة أربع وتسعين وألف الى
سنة احدى ومائة وألف ميلادية عن محاربة السلجوقية بل أخذ يلقي بين ملوكهم
لنيل المال دسائس دام بها القتال بينهم حتى أخذت بطارقة رومية المدائن
تقول لمن في أكاف بلادهم القاتوليكية ان الاتراك لو ثوا قبر المسيح معدن الديانة
الواجب حفظه مما لا يليق فاجابهم من النصارى آلاف كثيرة قدموا تحت قيادة
بطرس (وغوتيه Gautier) فهلك من الجيشين كثير ببلاد الجرج والبلغار وقتل
سائر من بقى بمملكة قونية فعاد السلجوقية الى حروبهم الداخلية حتى قدمت
كائب أخرى صليبية عبرت بوزار البوسفور وهزمت السلجوقية واجتازت جبال
ايالة سيمسيلييا وأخذوا انطاكية وتداولوا مع أمراء الشام وساروا الى اقليم
فلسطين فانضم العرب الى الاتراك وأظهروا الحاسة الدينية للذب عن بيت
المقدس وقتلوا مع الخليفة الفاطمى الذى أخذ المقدس من الاتراك الارطقية
سنة تسع وتسعين وألف ثم انهزموا وسكن الصليبيون بالمقدس وجوانبة فقل
تقدم فتوحاتهم وتقدم منهم الى جهة بغداد القائد (بودوين Baudouin) فاخذ
من الجزيرة مدينة ايدسه العتيقة المعروفة الآن بأرقة

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى سيرة أواخر الفاطمية من سنة أربع وتسعين وألف﴾

﴿الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف ميلادية وسيرة﴾

﴿زنكى ونور الدين وصلاح الدين﴾

مازالت الحروب الداخلية بين المسلمين الفاطمية والسلجوقية زمن المستعلى

متولى

متولى الخلافة سنة أربع وتسعين وألف ومن بعده من الخلفاء الفاطمية الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف بدون تفكير من هؤلاء الخلفاء ووزرائهم في اتحادهم بحكام البلاد الشامية لينصروا بهم على أهل الصليب بل أداموا قتال السجوقية الذين اشتهروا في دواوينهم بالموصل وحلب عماد الدين زنكي الذي لقب نفسه بالاتبك وانشأ له سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف مملكة مستقلة بين اقليم الجزيرة والعراق العربي وأخذ الموصل ثم دهم السجوقي صاحب حلب فأخذها منه سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم أحميا بين المسلمين بغضاء الفرنج وأخذ منهم مدينة أيدسة فاستنجد من في القدس وأتى اليهم من أوروبا الملكان لويز السابع الفرنسي (وقتراد Conrade) الثالث الانكليزي فبدلا وسعهما في أخذ دمشق ولم يفد ذلك شيأ وقدمات اذذاك عماد الدين زنكي وخلفه ولده سيف الدين وكذا نور الدين الذي تم مقاصد والده الحربية حيث أكثر من الاغارة على أهل الصليب ثم أعار على دمشق فأخذها من السجوقية لضعف من بها بالحرب السابقة ثم استنجد وزير الديار المصرية لمقاتلة الخليفة الفاطمي فأنجده على شروط لم يف بها فبعث قائده شيركوه بجنود تغلب بهم على الديار المصرية وتقلد الوزارة من قبل الخليفة الفاطمي جبلا ثم مات وخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الايوبي وهو كردي شجاع معروف بعزة النفس والذكاء والامانة والوفاء بالعهود والتقوى والعدل والرفق حال الانتصار وحيارة المعلومات العربية قرنت سلطنته بأعلى درجات التمدن العربي

عزل العاضد آخر الخلفاء الفاطمية سنة احدى وسبعين ومائة وألف ميلادية وازال من مصر مذهب الشيعة بمذهب أهل السنة ولم يأذن بالتدريس في المدارس الا للشافعية الا انه هم بعضيان نور الدين بن زنكي والاستقلال بحكم الديار المصرية ثم بلغه موت ابن زنكي فسار الى الشام وملك من سنة أربع وسبعين ومائة وألف الى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف دمشق وحلب فكان أول من له اليد على الديار المصرية والشامية والفرنج اذ ذاك متنازعون

في حكم المدائن والحصون الحصينة سار أحدهم مخالفا لرأى الآخرين الى مكة
والمدينة بعساكر نهب بهم قافلة مارة بالبيداء ومات أكثرهم بتجارى بلاد العرب
فكان لهم بذلك ضعفا تهزبه الفرصة صلاح الدين باخذ اقليم فلسطين ثم طبرية
ثم سار الى المقدس ففتح عن قرب فبدل جميع هياكلها النصرانية بمساجد
اسلامية وحاصر مدن الفرنج على البحر الابيض المتوسط الا أن المسلمين
انهزموا أمام مدينة صور فقوى عزم الفرنج وانتظروا مجيئ الملكين
(ريشارد Richard) الانكليزي (وفيلبس اغسطوس Ppilibpe Auguste)
الفرنساوي وحمل منهم في الغزوة الثالثة للامة المحمدية من سنة سبع وثمانين
ومائة وألف الى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف قوة جاش بعد اضطراب
وبذل ريشارد ملك الانكليز وسعه في تخليص المقدس من سلطان الديار المصرية
فلم يتيسر له ذلك فعاد الى أوروبا

﴿المبحث السادس﴾

﴿في وفاة صلاح الدين وبقاء السلطنة في خلفائه مع﴾

﴿علو الشأن حتى جاءت دولة المغول﴾

بعد سفر ريشارد مات صلاح الدين وأعداؤه يعجبون من علوهمته والمسلمون
يأسفون على فقدته ثم اقتسم أولاده الثلاثة مملكته فكان لأحدهم مصر والآخر
دمشق وبيت المقدس وهاد الشام ولثالث حلب وهضاب الشام ثم نهب عنهم
الملك العادل سيف الدين أبو بكر مصر ودمشق وتولاها من سنة مائتين وألف
وأخذ من الصليبية مدينة طرابلس وغزا الغزوة الخامسة حين أتوا الى
دمياط وخلفه ابنه الملك الكامل على مصر وابنه مولى الدين على دمشق

ثم أتى الملك (فريدريك Frédéric) الثاني رئيس الغزوة السادسة الى اقليم
فلسطين واهدى الى مولى الدين هدايا قبلها منه وترك له سنة ثمان وعشرين
ومائتين وألف بيت المقدس بعد أن سفكت فيه دماء كثيرة وبذل المسلمون عظيم
العزائم في الحمامة عنه وكانت هذه الغزوات من الفرنج مشتملة على الاهوال وسوء

المقابلة

المقاتلة ثم أخذت في التلطف ولذا لا يحكم على غزوات (مارى لويز Saint Louis) سلطان فرنسا بما خطر في بال أهل أوربا من موازاتها لتلك الحروب ورأت سلاطين الايوبية بعد مولى الدين أن الفرنج أكبر أعدائهم فطردوهم من جميع ممالك آسيا وأبقوا لهم على البحر الابيض المتوسط يافا وعكا وقيسارية وأرسوف وانطاكية وأخذوا بيت المقدس ثانيا فكان تارة تحت حكم سلطان مصر وأخرى تحت حكم سلطان دمشق وبالجملة كان لاحد ذرية نور الدين جزء من الجزيرة وكان للايوبية في ابتداء القرن الثالث عشر من الميلاد اليد على الشام ومصر وبعض اقليم فلسطين وبعض أقاليم بحيث جزيرة العرب كاليمن الذي فتحه أخو صلاح الدين سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ميلادية وخلفه فيه أولاده الى غارة المغول سنة ثمان وخسين ومائتين وألف والخطبة مع ذلك باسم الخلفاء العباسية وأما الفاطمية فلم يكونوا في عصر الايوبية الا فرقة ذات اعتقاد مخصوص لا اتحاد بينها

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ في حزب الباطنيين وشيخ الجبل ﴾

كان لابي عبد الله آخر رساء الكرمانية التصرف المطلق في المتعصبين لمذهبه فنهج نهجه رجل يسمى حسن الصباح سافر كثيرا وتجر في العلوم وعرف فرق الدين الحمدي وأخذ في غاية القرن الحادى عشر من الميلاد يعظ الناس ويحثهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن انه قريب من مذهب الكرمانية فقبه جموع ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصن الموت المشيد على هضبة قرب قزوین فلقب بشيخ الجبل وأعلن بالعداوة للنصارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الاله الثانى الذى شغله الاقتصاص من الظالمين للظالمين ونفذت أوامره فممن معه فكان اذا أمر بقتل أحد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق جبل على أسنة الرماح أو طعن بطنه بخنجر أو بقتل أحد من غيرهم بادروا بقتله ولو وزيرا أو سلطانا أو خليفة عباسيا أخبر قومه ان شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كالهائم بسبب السكر بالحشيش مستعدين لارتكاب أكبر

الكجائر ولذا سماهم المؤرخون بالحشاشين لا بالحساسين أى القتالين كما زعم الفرنج وأذن لهم فى النهب فنهبوا وجللوا بأسلحتهم فى الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا فى الشام أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التى تمر بأرضهم وقطعوا الطرق وملكوا فى غرة القرن الثالث عشر من الميلاذ كثيرا من المنازل فى العراق والشام وحصونا أجرى قرب دمشق وحلب وقوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة وألف ميلادية بالعراق الفارسى فبذل الملكشاه عزائه فى اعدامهم ولم يبالوا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذى كان الوزير الاعظم لهذا السلطان قتله أحدهم لشدة تعصبه وغيرته على مذهبه الدينى وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة مخاصمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى اغارة المغول واطهار الملك جلال الدين كبير العزم فى﴾

﴿مقاومتهم وانقضاء الخلافة العباسية﴾

كان السلطان محمد ملك خوارزم ذا جلالة وشوكة فزع منها الخليفة العباسى الناصر لدين الله فانغرى ملوك الغورية فاربوا السلطان محمدا الذى جمع بعد ذلك فى قصره أرباب الفتوى والعلماء فاخذ آراءهم وأعلمهم أن العباسية تعدوا فى الخلافة على بنى الحسن بن على بن أبى طالب وأشهر من ذرية على بن أبى طالب خليفة مقيما فى اقليم ماوراء النهر يسمى علاء الدين وجهز لغزو بغداد جيشا عظيما واذا قوم من العائلة السيتية محافظون فى بلادهم التتارية على ما كان عليه آبائهم من الدين والعوائد والعيشة البدوية والحكومة والانقسام الى قبائل والطاعة لمشايخهم وحب النهب والحرب استولى كبيرهم جنكيز خان على بلاد التتار والاقليم الشمالية من مملكة الصين ثم قصد الاستيلاء على الاقليم الغربية من آسيا وهدد اقليم ماوراء النهر بالتغلب عليه سنة تسع عشرة ومائتين وألف ميلادية فعزل السلطان محمد عن توجيه جنوده الى بغداد وبعثهم الى ماوراء النهر فهزمهم المغول

المغول ومرض قوهم كل ممزق فهرب السلطان محمد وعبر جيحون والتجأ الى بحيرة الخزر في بحر جرجان سنة مائتين وألف ميلادية وترك ابنه جلال الدين يدبر في مقاومة هؤلاء ثم جمع عمارآه من فرار قومه وانقضاض المغول على ما وراء النهر وبلاد خوارزم وخراسان وجيلان واذ ربيعان وملكهم في تلك البلاد ألفا وسبعائة فرسخ ورجع رئيسهم جنكزخان الى مدينة كرا كور وم تحت وطنه المبنية قرب صحراء شاموا وأقام فيها من سنة عشرين ومائتين وألف الى سنة سبع وعشرين ومائتين وألف فعاد جلال الدين الى بلاده بعد أن توجه الى الهندستان للاحتماه فيها ثم انضم اليه جموع لم ينقادوا للمغول وجدد من بقايا مملكة أبيه مملكة تمتد من

منبع نهر الكنج الى أبواب مدينة الموصل بالجزيرة

ثم ولي جنكزخان ابنه الامير أوقطاي الخاتمة العظمى على المغول فامر رجاله فاغاروا على مملكة جلال الدين فهرب ثانيا وقتل في ديار بكر وأخذ أقطاي يقاتل من سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف الى سنة احدى واربعين ومائتين وألف سلطان قونية والخليفة العباسي المستنصر بالله ولم يعد عليه من ذلك كبير ظفر وخلفه الخان جايوك سنة احدى واربعين ومائتين وألف ولم تتقدم فتوحاته واكتفى بطرد سفراء خليفة بغداد وشيخ الجبل والملوك السلجوقية من ديوانه وخلفه منجوتخان سنة احدى وخمسين ومائتين وألف فكلف اخويه كويلاي وهولاكو بتوسعة دائرة مملكته وبعث كويلاي فانخذ يفتح في الصين حتى أشرف على اعلمه واذا أخوه هولاكو متوجه من مدينة كرا كوروم بجيش عظيم الى غرب آسيا فاعدم في أقل من سنتين ما بقى من آثار حكم العرب في بلاد الفرس وصاحب بعض أهل بغداد وكاتبهم سرا ثم حاصرها وذن الخليفة المستعصم ان لا قدرة له على مقاومة هولاكو فاراد التداول معه فيما يرضيه فلم يصغ له وفتح بغداد سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف ميلادية الموافقة سنة ٦٥٦ هجرية ولبث المغول ينهبون في المدينة سبعة أيام وأحرقوا جانبها عظيما من أنفس الكتب المكتوبة بخط القلم ورموا في الدجلة من الكتب

ماسود ماءها على ما بالغ به بعض المؤرخين وتجبوا من أموالها الغزيرة مع انهم
نهبوا قبلها بخارى وسمرقند ومرو ونيسابور وغيرها وخنقوا المستعصم وجروه
بين أسواق بغداد واسوارها مضربا بالدماء فكان آخر الخلفاء العباسية

﴿المبحث التاسع﴾

﴿في عدم تغلب المغول على مصر والشام وعزل المماليك الملوك﴾

﴿الايوية ثم عزل العثمانية هؤلاء المماليك﴾

أدخل خلفاء صلاح الدين الأيوبي في قصورهم أرقاء جدد وبالقاهرة من المفاصد
والفتن ماجتده عساكر الاتراك غير المنتظمة وهؤلاء هم المماليك الذين منعوا
المغول بعد استيلائهم على بغداد من استيلائهم على مصر والشام

وقرت الخوارزمية من جنكزخان وأغاروا على الشام فاستنجد سلطان دمشق
بالصليبية فأنجدوه فأعطاهم طبرية والمقدس وعسقلان فانضم المماليك وسلطان

مصر الى الخوارزمية وقاتلوا سلطان دمشق زمنا أخذوا فيه المقدس مرات

ثم حاربت المماليك الخوارزمية من سنة أربعين ومائتين وألف الى سنة خمس

وأربعين ومائتين وألف ميلادية فزقوا شملهم كل ممزق وصدوا بعد ذلك بثلاث

سنين عدوان سنت لويز ملك فرنسا في واقعة المنصورة واسروه وعقد معه

سلطان مصر الكردي شروطا لم يرضوها فعصوا سلطانهم وولوا أحد رؤسائهم

ايك المعز لدين الله وجميع وسائل المملكة ووارداتها تحت تصرفهم فلم ينازعهم

أحد وأخذوا اقليم الجزيرة وكذا الشام بعد ان أخذه هؤلاء كوسنة ثمان

وخسين ومائتين وألف ميلادية ثم ذهب من الصليبية ما كان بأيديهم من البلاد

الاسلامية وذهب سنت لويز الى اقليم فلسطين فاخذ يتودد مع خان المغول وشيخ

الجبيل ليستعين على هؤلاء المماليك فلم يجد ذلك نفعا

وبعد أخذ المغول بغداد أتى الى القاهرة من الخلفاء العباسية عائلة لادخول

لها في الاحكام السياسية بل في الاحكام الدينية كتقرير حكم سلاطين مصر

ولبنوا كذلك من سنة ثمان وخسين ومائتين وألف الى سنة سبع عشرة وخسمائة

وألف ثم تغلبت العثمانية وقطعوا دابر المماليك وتفقدوا حكمهم على جميع
الايالات المعروفة في الخرائط الجغرافية بتركية آسيا

﴿المبحث العاشر﴾

﴿في أن تمدن العرب لم يذهب بذهب دولهم﴾

لاخفاء ان شوكة العرب أخذت تزول شيئاً فشيئاً حتى زالت خلافتهم وفقدوا
حكمهم السياسى في غير بحيث جزيرتهم وزال ذكرهم من تاريخ الامم الشرقية
زمن تقدم الاتراك والمغول الذين أغاروا من شمال آسيا على غربها وشرقها
نعم التمدن العربى لم يزل ظاهراً بعد الخلافة بل كانت التقلبات في بلاد آسيامعضدة
لتمدن العرب فقد أحضر السلطان محمود الغزنوى الى ديوانه العلامة البيرونى
الذى أحاط بكل فن واشتهر على أبناء عصره واستمد الملكشاه من مدرسة بغداد
الاصلاح الذى أحدثه في رزنامة الحساب والتقويم الفارسى وبنى هولاء كو
رصدخانه فلكية لنصير الدين الطوسى الشهير بالعلوم الرياضية ونقل أخوه كويلاي
العلوم والفنون من الاقاليم الغربية من آسيا الى الصين حين تسلطن عليه
ثم كان بعد قرنين عائلة تيمور لنك فكان ولده شاه رخ وحفيده أولوغ بيك
وارثين لما في المدرسة البغدادية العربية من العلوم والفنون ثم كان زمن الاولين
من السلاطين العثمانية علماء برعوا وألفوا كتباً باللغة العربية والفارسية
فكان لديهم آخر أشعة شمس العلوم التى ختم بها ذلك العصر المديد

﴿المقالة الخامسة﴾

﴿في عظمة سلطنة العرب ثم انحطاطها في الاقطار الغربية من ابتداء﴾

﴿محماربة الاموية العباسية الى استيلاء الدولة التركية على شمال﴾

﴿أفريقية وطردها النصارى المغاربة من اسبانيا﴾

﴿الباب الاول﴾

في سيرة الملوك الاغلبية والادريسية والفاطمية والزيدية الحاكيين في الاقاليم

الشمالية من آسيا ثم في سيرة الخلفاء الاموية حكام اسبانيا بعد انقراض
الاموية بالممالك المشرقية من سنة اثنتين وأربعين وسبعائة الى سنة تسع
وسمائة وألف ميلادية الموافقة سنة ١٢٥ الى سنة ٣٩٩ هجرية

وفيه خمسة عشر مجتاً

المبحث الاول

في حالة اسبانيا وسير عبد الرحمن الأموي إليها وتأسيسه

الخلافة الأموية بقرطبة

أصلنا أن نتيجة حرب الاموية والعباسية انقسام ممالك العرب المسلمين الى قسمين
أحدهما بالشرق وهو الممالك الإسلامية في آسيا والايالة المصرية وقد سبق
الكلام على تقلباته وثانيهما بالمغرب وهو مملكة اسبانيا والايالات الشمالية في
أفريقية وسنورد لك حوادث هذا القسم المقارنة للحوادث المشرقية بادئين بحالة
اسبانيا فنقول

كان ولاية اسبانيا وأصاغر مشايخها يكفون أهلها تأدية مطالب شاقة غير مباين
بخلفاء العباسية لبعدهم عن اسبانيا التي كان من بها من القبائل الحبرية
والعراقية والشامية يخاض بعضهم بعضا ويرون قبائل البربر في أفريقية بعين
الغيرة والحسد فعظم باسبانيا سوء الانتظام ولم يبال أهلها بما يلزمهم به حكامهم
من التكاليف الشاقة فكان كل ذلك باعثا لحزب جسيم على أحداث حكومة
جديدة

تم شاع لديهم نجاة الأمير عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الأموي من ذبح
السفاح والتجاؤه الى بعض أقاليم أفريقية لدى القبيلة المسماة بالزنانة أعظم
قبائل أفريقية لبلوغ كتيبته سبعمائة وخمسين فارسا فبعثوا اليه ثلاثة سفراء
ركب معهم في سفينة الى اسبانيا حتى بلغ مينا على فحو خمسة عشر فرسخا
من غرناطة فقابله الناس بالترحاب ثم دخل مدينة اشبيلية وقرطبة الرئيسان
من طرف العباسية يتنازعان قيادة العسكر والسيطرة ثم اتفقا على ذلك الأموي

حين رأيا ميل أهل قرطبة اليه فسلمها اليه ونصر عليهما في واقعة موزارة فاستقل بالحكم وانتصر على أعدائه مرة أخرى وظفر بهم ثم أطلقهم وأبقى اليهم أملاكهم وأموالهم ثم ادخل جميع المدن تحت حكمه وبايعه أهل اسبانيا سنة ست وخمسين وسبعائة ميلادية فانفصلت من ذلك الوقت الخلافة المغربية عن الخلافة المشرقية ببغداد

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في اضطرابات الايالات الشمالية من أفريقية بتقاصم العرب والبربر﴾
 ﴿وفي سلطنة الملوك التغلبيية﴾

كان بالايالات الشمالية من افريقية مغاربة مسلمون مسمون بالبربر يختصون بالحرية السياسية لعدم حاكم عليهم حتى ذهب اليهم من آسيا عرب اجروا عليهم حكم الخلفاء العباسية ثم أخذ عبد الرحمن بن حبيب يستميل العرب والبربر حتى اتخذ منها أحزابا زمن محاربة الاموية والعباسية من سنة ست واربعين وسبعائة الى سنة اثنين وخمسين وسبعائة ميلادية واستقل بالحل والعقد لاستغال العباسية ثم انتصروا فانقاد لهم سنة ثلاث وخمسين وسبعائة حتى كلفه الخليفة المنصور سنة خمس وخمسين وسبعائة بمطالب افضت به الى الاعلان بالاستقلال والخطبة باسمه في مسجد مدينة القيروان ثم طمع أخوه الياس وأوقع بين العرب والبربر فتنة اثارت حربا سفك فيها كثير من الدماء حتى انتهت سنة سبعين وسبعائة ميلادية بنصر العرب فاجتهد أميرهم أغاب وجبر الجميع على الانقياد للمنصور ثم عصت البربر المهدي والرشيذ عدة مرات خسر فيها العباسية خسارات عظيمة صمم بها الرشيد سنة ثمانمائة ميلادية على خلع حكم الايالات المغربية على ابراهيم بن الاغلب فاستقلت الاغلبية بالحكم من هذه السنة الى سنة احدى عشرة وتسجائة وخطوا دم البربر بدم العرب يالتصاهر فانحدوا أخلاقا ودينا وزال ما بينهما من التباغض وانقاد لحكم ابراهيم بن الاغلب ما بين ابتداء سواحل الاقيانوس الاطلنطيق وحدود ايلة مصر الغربية وخطب فيه باسمه مع اسم الخليفة العباسي

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في استيلاء الادريسين على تلمسان وانشائهم مدينة فاس ومساعدة﴾

﴿بنى الاغلب على التقدم في الفنون والصنائع﴾

بعد زوال الشكناة بين أهل الايالات الغربية من شمال أفريقيا ظهر من العلوية رجل جليل يسمى ادريس اتخذ من تلك الايالات حزبا قوى الشوكة واستولى على تلمسان وجميع المغرب الاقصى سنة ثلاث وثمانمائة ميلادية وأقام بمدينة واليلي وازال من تلك الايالات الحكم السياسي للتغلبية والديني للعباسية وأثبتهما للادريسية المنشئين مدينة فاس ومسجدها ومدارس وكتبخانات وبها ظهرت الحركة العلمية التي حث عليها العباسية في الممالك الشرقية ثم اتخذوا فاس مختا جديدا لمملكة المغرب ومركز تجارة بين عرب اسبانيا وعرب افريقية واجتهد كل من العباسية والاعلمية في ازالة حكم الادريسية عن المغرب الاقصى فلم يحصل نتيجة وأخذت الاعلمية تتحاي عن بلاد المغرب الوسطى وبلاد افريقية ونصرت في غزوات بالممالك النصرانية التي على سواحل البحر الابيض المتوسط وأدخلوا في الاقاليم الافريقية جميع مبادئ المدن الاسلامي التي كانت بالشام والعراق وأنشؤا مدينتي القصر القديم ورصادة وأخذوا يقيمون في تونس والقيروان وطرابلس فامتلات تلك المدن مباني ابدت للناظرين الاقواس الحادة والدعامة المزخرفة على حسب فن العمارة الروماني وبنوا قناطر على بحاري سيول امطار سريعة التيار واجتهدوا في احياء العلوم والصنائع والتجارة والفلاحة وأنشؤا مراكز تجارية سهلت مخالطة سكان الصحراء بسكان السواحل وجددوا طرقا ابدوا فيها الأمن وجعلوا نظارة محال البويسة في ايدي اعيان البلاد وربوا بتلك المحال ملاحظين لابقاء التواصل التام بواسطة السعاة والبريد الخيالي من ابتداء حدود المغرب الى حدود مملكة مصر وعروا سفنا بحرية حكموا بها على البحر الابيض المتوسط

المبحث الرابع

﴿ في الغزوات البحرية لبنى الاغلب واستيلائهم على جزيرة ﴾

﴿ سيسيليا وبلوغها شأ والتقدم زمن تحكمهم عليها ﴾

أخذ بنو الاغلب يغزون في سائر القرن الثامن من الميلاد سواحل البحر الابيض المتوسط ويبعثون في السفن رجالا يخربون سواحل مملكتي ايطاليا وفرنسا وجزائر قرسقة وسردينيا وسيسيليا وبالغ مؤرخو الفرنج في الحكايات المتعلقة بتلك الغارات واضطربت أقوالهم في أزمنة الغارات وقال مؤرخو الاسلام ان بنى الاغلب غزوا بعد جالوسهم على سرير السلطنة جزيرة قرسقة في سنى ٧١٠ و ٧١٣ و ٧٧٢ ميلادية وجزيرة سردينيا في سنى ٧٢٤ و ٧٣٩ و جزيرة سيسيليا في سنى ٧٢٠ و ٧٢٤ و ٧٤٣ و ٧٤٧ و ٧٧٣ ميلادية ثم غزوا جزائر لورنس ومالطة وغزوا سواحل اقليمى بوليا وقالبه وترك اليونان جزائر بليارة وقرسقة وسردينيا حين هجم عليها هؤلاء فطلب بطرك رومية المدائن من ملوك الفرنج ان يجعلوها تحت حمايتهم فجهز شلمانية ملك فرنسا سفنا حفظت تلك المدائن من صولة العرب حتى مات سنة ٨١٤ فعاد العرب الى غاراتهم زمن المقاتلات الداخلية في عهد ملك فرنسا (لويز Louis الهادى) فتعدى عرب اسبانيا على سواحل فرنسا وجزيرة قرسقة أكثر من غيرها وعرب مغرب افريقية على سواحل ايطاليا وجزيرتى سردينيا وسيسيليا التى شتم حاكمها ضابطا يونانيا يسمى (أوفيمبوس Euphēmios) فاخذها ذلك الضابط قهرا واعرمنه ضابط معه فاخدمته مدينتى بالرمه وسيراغوسه فذهب أوفيمبوس الى زيادة الله خليفة ابراهيم ابن الاغلب فأنجده بجيش تحت قيادة القاضى أسد مؤلف الاسدية سار بسفن من مينا سوس حتى بلغ مينا مزاراة سنة ٨٢٧ فخارب هو والضابط ونصرا على العدو بالبيداء وعجزا عن فتح المدن خصوصا بالرمه وسيراغوسه وقصريانى ومات القاضى اسد واراد جيشه العود الى بلادهم بإشارة الضابط

(١٩ خلاصة تاريخ العرب)

اليوناني قرأوا أمامهم سفنا يونانية تمنعهم المرور فأحرقوا سفنهم سنة ٨٢٨ وأقسموا ليأخذن سيسيليا ثم مات الضابط فأشرفوا على الهلاك حتى قدم محمد بن الأغلب وأتى سيسيليا بثلاثمائة سفينة أغاثتهم وأخذت مدينتي جرجنتي ومزارة ثم بالرمه سنة ٨٣١ فابقن الناس بفتح سائر الجزيرة التي أمدها امبراطور القسطنطينية اليوناني سنة ٨٣٦ بجيش هزمه العرب قرب قصر ياني التي قاومت العرب ولم تسلم لهم الا سنة ٨٥٩ وتبعها في المقاومة مدائن فوتو وطا رومينة وقطانه وسراقسطة ولم تسلم لهم الا في سنة ٨٧٨

وأخر انتصار العرب على جميع أهل هذه الجزيرة ما كان بها من الفشل الداخلي وتعدد الولاة عليها من سنة ٨٧١ الى سنة ٨٧٣ ميلادية فقد تولى في تلك المدة سبعة ولاة على تلك الجزيرة التي لم ينتشر بها المسلمون لقلتهم بل سكنوا مدينتها بعد ان استسلموا النصاري ونهبوا كثيرا من الكنائس والديور وقدروا الخراج فانتفت التغيرات والزيادات التي كان وزراء السلاطين اليونانية يتخذونها لانفسهم وقسموا تلك البلاد الى اقليمين السراغوسي والپانرميتاني

وتولى في مدائن مزارة وفوتو ومونه ثلاثة ولاة تحت يد كل وال حاكم فوق القائدين الموكين بادارة المصالح في الخطط التي دون تلك الولايات وبالجملة أجاد العرب في ترتيب وتقسيم تلك البلاد وقدموا فيها الفلاحة والصنائع نقلوا اليها شجرات القطن من الشام وقصب السكر من طرابلس الغرب ولسان العصفور والفسق واستخرجوا ما فيها من معادن الفضة والحديد والنحاس والكبريت والملح الاندراكي واستعملوا أنواع الرخام والفر فيري والصوان واليشم في المباني الموجود منها في ضواحي بالرمه عدة قلاع تؤذن بمهارتهم في فن العمارة وفشا نسج الحرير بجزيرة سيسيليا ومنها انتشر في أوربا في القرن الثاني عشر بعد الميلاد على ما قيل

﴿المبحث الخامس﴾

﴿ في جولان الاغلبين في ممالك ايطاليا وتأسيسهم عدة نزلات اسلامية ﴾
﴿ على سواحل البحر الابيض المتوسط ﴾

لما أخذت العرب جزيرة سيشيليا وخرجو جزيرتي بنزا وايشيا ونهبوا سواحل اقليم قالبة وأغاروا على مصب نهر التبر وأخذوا مدينة بالرمة سنة ٨٣٦ تقدموا الى ايطاليا فحاربوا ملك فرنسا بعد شرمانيه كما حاربوا اليونان باقليم ابوليا والامراء اللبردية أصحاب مدينة بنيوان وأخذوا مدينة برندس ثم مدينة باري سنة ٨٣٩ وأخذوا المينا التي بالبحر الادريا تيق فتمكنوا ان يخرّبوا سواحل دلماسيا وسواحل الاقاليم الشرقية من ايطاليا ويهددوا بلاد بيلو يونيسه والجزائر اليونانية بالتغلب عليها حيث تركها سلاطين القسطنطينيه بلا اغاثة وأخذوا مدينة ترنتة سنة ٨٤٤ زمن الفشل بايطاليا وأغاروا على دوقه بنيوان وخرّبوا الدير الكبير الكثير الاموال المسمى دير جبل قسين وأغاروا على مدينتي غايطة وأما في فقابلهم أهلها بعظيم البسالة ومدينتا سالرنة ونابلي اذ ذاك في خطر عظيم وبني العرب قلعة على مصب نهر غاريليانون ثم أرادوا السفر في نهر التبر الى داخل البلاد فامر البابا رومة ان يعاو الناس سور مدينة استيه فآغاروا على ضواحي مدينة رومة ونهبوا كنيسة ماري بولص وماري بطرس وعادوا بالغنائم سنة ٨٤٦ فهدموا الاسحكامات الحربية في سويطا ويكشيا ثم عادوا للاغارة على اقاليم ايطاليا سنة ٨٤٨ فوجدوا سلسلة حديد معترضة بنهر التبر وجميع البلاد شاهرة أسلحتها تحت قيادة البابا ليون الرابع فذهبوا الى جارجليانو

وقد حرك ما كان بمدينة رومة من الاخطار غيرة ملك ايطاليا لويز الثاني حيث تصدى للحاماة عن النصارى ونزل في اقليم بوليا وقاتل العرب سنة ٨٦٨ في نواحي مدينة لوسيرة سنة ٨٦٧ فغلبهم وقاومهم ثلاث سنين حتى أخذ مدينة

بارى سنة ٨٧١ ثم استعان باليونانية وغلب العرب بمدينة سالرمة سنة ٨٧٥ ولم يترك بايديهم من ايطاليا الا مدينة ترنتة ثم تعاهد العرب بعد خروجهم من ايطاليا مع أهل مدائن نابلى وأمالفى وسالرنة وتوجهوا الى ممالك الكنييسة الكبرى الرومانية وهددوا البابا حنا وتغلبوا على بلاده حتى على مدينتى رومة وراوينة فابعدهم عن بلاده بوعدهم جزية قدرها خمسة وعشرون ألف رطل فضة كل رطل ثمان اواق ثم ذهب سنة ٨٨٠ الى ملك فرنسا ثم ملك المانيا يستجدهما الا ان العرب انكفوا بعد مشارطته على هذه الجزية عن الغارة على ايطاليا وكان منهم مدينة قابو آخر غاراتهم حتى انتهى القرن التاسع من الميلاد وقد بدا في تلك الفترة الزمانية اختلال الاحكام والحوادث التى دبرها كل من (نيودورة وماروزيه Téodora Marozi) مع تفاشل العرب وتمزق الاقاليم الافريقية التى هى مركز شوكتهم بالمقاتلات الداخلية ولقد كانت المنشآت العربية بسواحل البحر الابيض المتوسط مهمة نظرا الى المقاصد السياسية وكذا التجارية حيث كان بجوار قلعتها مكتب تجارى بين العرب والمبردية وعقد جمهور أملى مع العرب شروطا أخذوا بها ناحية من نواحي مدينة بالرمة وقد كابد أهل مدينة البنادقة مشاق كثيرة من العرب واستغاثوا سنة ٨٧٠ باليونانية فغلبهم العرب وتمكنوا من اخذهم مدينة غرادو وتسلطوا في النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى على سواحل البحر الابيض المتوسط وملكوا غير جزيرة سيسيليا جزائر مالطة وغزو وكامينا و بنتلاربه وأخذوا بعد مدينة بالرمة جزيرة سردينيا وأخذوا أيضا بقرب مدينة سنت ترويز محطة مهمة تعرف بمحطة فركسينيت التى سهلت للعرب الطريق الى جبال الپه بلا منازع وذلك سوى ماأخذوه من جزيرة قرسقة والجزائر البليارية وبذلك يعلم ان محاربه العرب من الفتوحات بالبحر الابيض المتوسط تعلقو فتوحات عرب أفريقية وعرب اسبانيا

﴿المبحث السادس﴾

﴿في سلب الفاطمية السلطنة من الاغلبية وتداخل خلفاء قرطبة بينهما﴾
 قد حسن الاغليون سياستهم بحسن معاملتهم ورفقهم بالناس وصدوا الطولونية
 المغيرين عليهم حين استقلوا بأحكام الديار المصرية ثم تسلطن منهم أبو اسحاق من
 سنة ٨٧٧ الى سنة ٩٠٢ وفعل مظالم أبغضت بها الناس عائلته فاخذ العلوية
 يشيرون الناس عليه وبعثوا في البلاد رسلا يخبرون ان السلطنة ستنتقل الى مهدي
 ثان اخبر النبي بظهوره سنة ثلثمائة هجرية ووجوب المسارعة الى طاعته وما زالوا
 كذلك حتى بشوا هذه الدعوة لدى الرعايا وقام على أبي النصر زيادة الله
 الاغلي شقيقه وطرده من القيروان فصر الى مصر ثم الى العراق العربي ولقب
 عبيد الله الفاطمي نفسه بأمر المؤمنين بعد ان كان مكتفيا بلقب المهدي
 وأمر ببناء المهدي ليقبضها تحتها ويهجر القيروان وشرع حين أشرفت على التمام
 في فتوحات انقاد له فيها جزيرتا سيسيليا وسردينيا وسار برجال أخذ بهم محاربي
 برقة وأخذ الجزية سنة ٩٣١ عن استقلوا بالحكم كالملاك الادريسي سلطان
 المغرب الاقصى وعائلة مكاز في مكاسة والمدراية في سلجماسية والسطامية
 في طهرت وغيرها ثم بعث عن تلك البلاد فباد من بها الى الشقاق وأغار أمير
 مكاسة فطرد أمير فاس الادريسي الذي بذل عرب زينة نفوسهم له واستنجدوا
 الخليفة الاموي صاحب اسبانيا فبعث كائب مكنت بمدينة طنجة وسبته زمنا
 عملوا فيه استحکامات حربية ثم أغاروا على الفاطمية بفاس سنة ٩٣٣ فاخذوا
 فاس وتولى الادريسي على جميع المغرب الاقصى من طرف الخليفة الاموي
 ثم هجم في سنة ٩٥٤ قائد من قواد العساكر الاموية على تونس فضرب عليها
 غرامات لنهبهم منه قبل ذلك سفينة بها ارقاء لخليفة قرطبة الاموي فسار عبيد الله
 الفاطمي بجيش من كتامة وصنهاجة فزق بهم سنة ٩٦٠ شمل والى طهرت
 من قبل الخليفة الاموي ففتحت له مدينتا فاس وسلجماسية أبوابهما وتبعهما سائر

المدن الامدائن سبتة وطنجة وتلمسان لاشتمالها على بقايا جيش والى ظهرت ثم ترك المعز لدين الله تلك البلاد فعادت خطبتها الى الخليفة الاموى

﴿المبحث السابع﴾

﴿في ترك الفاطميين بلاد المغرب للزيرية وتوطن العائلة﴾

﴿الحادية في مدينة بجاية﴾

طمع عبيد الله الفاطمى فى اعدام الشوكة الدينية لبنى العباس فى المشرق فوجه الى الديار المصرية عدة جيوش آخرها جيش جوهر القائد الذى فتحها سنة ٩٦٩ ميلادية فأسس بالقاهرة الخلافة الثالثة للفاطمية الذين ذكروا من ذلك الوقت بالتوارىخ المشرقية واعرضوا عن الالتفات الى محالكم المغربية فعرضوا سنة ٩٧١ على يوسف بن بلقين بن زيرى شيخ قبيلة صنهاجة ان يخلفهم فى الحكم عليها مع الاعتراف بسلطنتهم فقبل وأسس عائلة حكمت أكثر من قرن ونصف تحت يد الاموية أصحاب اسبانيا لانفصال الايالة المصرية عن الاقاليم الغربية وهو اذ ذاك مجتهد فى الاستقلال بالحكم حتى يئس فانضم الى الادريسية وبنى زانة وأثارهم على الاموية الذين بطشوا بعد ذلك بالادريسية وأزالوا ملكهم من سنة ٩٧٦ الى سنة ٩٨٥ وبابن بلقين وابنه الامير منصور فنهكست الزيرية عن توسيع ملكها سنة ١٠٠٥ ولم يحتفظوا فتوحات الاغلبين فى البحر الابيض المتوسط وذلك ان ملوك الجرمانية ملكوا معظم ممالك ايطاليا فانضمت الزيرية الى اليونان وصدوا من ملوك ايطاليا (أوثون Othon) الاكبر سنة ٩٧٣ وأوثون الثانى فى واقعة بارتالوا سنة ٩٨٢ ثم هزم أوثون الثالث الزيرية واليونان ولم يبق لهم بايطاليا الا مدينة ترنتة وكان ولاية جزيرة سردينيا يفرعون من مدينتى جنويزة وبيزة لعواشأنهما وتقدم عماراتهما البحرية وهجموا على جنويزة سنة ٩٣٤ فأخذوها عنوة فاحترس أهلها من مثل ذلك وغاب عن بيزة شبانها فهجم عليها الزيرية سنة ١٠٠٥ وكادوا يأخذونها لولا امرأة شجعت الناس فنجت بها المدينة من الزيرية الذين لم يكن لهم فى داخل بلادهم شوكة وقصر

وقصر حكمهم على اقليم تونس والساحل ومدينة الجزائر ومدينة بجاية ونحوهما وابت كامة الانقياد لابن بلقين شيخ صنهاجة وساعدت الاموية على قبائل زناتة وكان من الزيرية أمير يسمى حمادا استقل في جنوب سهول بجاية بالحكم على مدينة أشيروأمراء آخرون بعضهم متوطن بمدائن مختلفة وبعض يحكم قبائل في البراري وبالجملة كانوا محصورين في تواعد بلادهم منهم مكنين في افناء أموالهم الوافرة في زخارف قصورهم وأوطارهم البهيمية وأحوالهم الفاسدة التي ظن بها الناس ان لا يبقى التمدن في عصر هؤلاء على ما كان عليه في افريقية أيام الاغلبية الا أن اتصال الایالة المصرية وما فيها من ارتفاع منار العلم منع ما تقتضيه تلك الاحوال الفاسدة

هذا ما كان عليه عرب افريقية في ابتداء القرن الحادى عشر بعد الميلاد من أخذهم في الانفصال واقتراهم من الانحطاط وكذلك كان عرب اسبانيا بعد ان مضى عليهم عصر طويل نالوا فيه عظيم الفخار والسلطان

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في عز اسبانيا وجلالاتها من الاموية وخلافة عبد الرحمن الاموى الاول﴾
لبت هذا الخليفة بجزيرة اسبانيا على حالة التمدن مفارقا للجهالة والخشونة التي كان عليها الأمم الغربية ثلثمائة سنة خضع فيها من في أوروبا من المسيحيين لسلطان القوة وعنيت فيها العرب بتحصيل العلوم والفنون اختيار الاجبرا كما فعل الفرنج امثالاً للملكهم شريمانية وشاركت الخلفاء الرعايا في الآراء العامة واشتياقهم الى تقدم المعارف والصنائع وظهرت في اسبانيا مبادئ التمدن العربى من سنة ٧١١ بسبب نظامات احدثتها الفتوحات الإسلامية ثم كان بها حروب أوقفت ادارتها السياسية حتى جلس عبد الرحمن الاول الاموى على سرير الخلافة سنة ٧٥٥ فازالها واتبع الشعائر الدينية فأثبت في عقول رعاياه احترام عائلته الاموية والشعائر الدينية فتمت في أسرع وقت جميع وسائل

السعادة العامة وذهب من اسبانيا ما كان بافريقيبة والممالك الشرقية من التعصب الديني الموجب اراقة كثير من الدماء لانعزال فرق العقائد عن السياسة وانحصارها في على الآداب الدينية والفلسفة ولم يخرج جدالها عن منهج الاعتدال ولبت عبدالرحمن الاول في الخلافة الى سنة ٧٨٧ حسن النظر السياسى لطيف الطبع شجاعا يؤثر ما تنتجه الفنون والصنائع من الاعمال الجليلة وما تبدعه العقول السليمة من الاشياء التى ترفع العقل وترفيه عن الزينة والتكلى بالجواهر الثمينة لقبته رعاياه بالعدل لما يرون من ان العدالة أول الفضائل

﴿المبحث التاسع﴾

﴿ فى اقتفاء خلفاء عبد الرحمن الاول آثاره وفى ﴾

﴿ نفاة عبد الرحمن الثالث ﴾

ولى الخلافة بعد عبد الرحمن الاول ولده هشام سنة ٧٨٧ غلب عليه الحلم والاحسان فاحبته رعاياه وانشأ عدة عمارات اكتسب فيها الفقراء والمساكين فضلا عما يفيضه عليهم من بحار زكاته وصدقاته نصح قبل وفاته ولده الحاكم بقوله يا بنى ان الممالك ملك لله وهو يؤتونها من يشاء وينزعها من يشاء كما يختار وحيثما انه قد اجلسنا على سرير سلطنة اسبانيا فلنشكره جزيل الشكر الابدى ولنصنع الخير بخلقه لنكون غاملين طبق أوامر المقدسة فانه تعالى لم يجعل فينا الشوكة العظمى الا لنفعل الخير بعباده فلتجعل عدلك مستقيما بين الغنى والفقير وغامل جنودك برفق وبر وأمرهم بالحماية عن البلاد وانهم عن الظلم والجور بين العباد وحام عن الفلاحين الذين نقات من نتائج أشغالهم واستلفت نظرك نحو مزارعهم ومحصولاتهم حتى تكون الرعية سعيدة الحال فى ظل سلطنتك ولتتمتع الرعية فى الامن بخيرات الحياة ونعيمها توفى سنة ٧٩٥ بخلقه ابنه الحاكم وكان متكبرا قاسيا غليظ الطبع معتزلا عن الناس فاضاع

بذلك

بذلك بهجة علمه وشجاعته اعتراه عند كبره خبل حمله على الانتقام حتى غلبت عليه الحسرات عند موته سنة ٨٢١

تخلفه ابنه عبد الرحمن الثاني المعاصر للأمون العباسي وكان بكهده هشام في الحلم والاحسان زائدا عليه بشدة رغبته في الفنون حف بالشعراء والبارعين في الموسيقى فأحدث في أخلاق عرب اسبانيا عظيم الرقة حتى اختص ذلك بعد بالطائفة الشوالية عاقب جارية فعلت غير مراده بسد باب مكانها بقطع من فضة وكفها هدم ذلك بيدها مات سنة ٨٥٢

تخلفه محمد الاول الى سنة ٨٨٦ والمنذر الى سنة ٨٨٨ وعبد الله الى سنة ٩١٣ سلكوا المسالك الحيدة في تدبير الممالك ولزموا العدل غير أنهم لم ينشؤا مبانى لمقاتلات داخلية

ولى بعدهم الخلافة عبد الرحمن الثالث سنة ٩١٣ فادخل في اسبانيا علوم بغداد واجتهد في تقديم العلوم والفنون وجعل قرطبة ومدائن الاندلس بالمبانى الفاخرة وبنى قرب قرطبة لجاريته زهرة قصرا وصفته التواريخ العربية بما لا يتصوره الذهن وكان عصره ازهر أعصر خلفاء الاموية في اسبانيا لذهاب الشقاق والمخاصمات التي أطفأ نارها قريبه الامير المظفر وانقاد له المغرب الاقصى في أفريقية وبالجملة كان حائزا للنصر الحربي والعلم الفائق والمال الوافر والزينة وجميع أسباب الاشتهار الدنيوى الا أنه كان سيئ البخت حيث قتل من أولاده واحدا كان يحزب الناس عليه ليتولى الخلافة بعده ثم كف نفسه عن جميع الملذات حتى مات سنة ٩٦١ فوجد في بعض أوراقه مانعه انه قد مضت خمسون سنة من منذ ما توليت الخلافة وتمتعت بعلاو الشأن وكثير من خزائن الاموال والملذات والحظوظ حتى أنفدت كل ما طفرت به منها وان الملوك المقارنين لى في عصرى يعتبرونى ويخشونى ويغبطونى وجميع ما تشتهيه الرجال فله أنعم به الله على من فضله وقد أحصيت في مدة خلافتى التى قضيتها فى العز والسعادة الظاهرة الايام التى ظننتنى فيها سعيدا فرأيتها أربعة عشر

يوماً فيأتيها الناس قدروا بعقولكم ما قيمة عظمة الملوك والدنيا والحياة

﴿المبحث العاشر﴾

﴿في محمد الحاكم الثاني وهشام الثاني وحكم المنصور﴾

تولى الحاكم الثاني الخلافة سنة ٩٠١ هـ فاعمل فكره فيما فيه سعادة الرعية وتكثيراً لأشغال العامة النفع وعدل عن الزخرفة فكثرت الأموال فنقص الخراج ثم مات بعد ١٥ سنة وابنه هشام الثاني طفل فتولى حكم إسبانيا المنصور الذي كان مقلداً بحجاية الخليفة حتى مات سنة إحدى وألف خلفه ابنه عبد الملك الملقب بلقب أبيه والجاري على نهجه حتى مات سنة ثمان وألف فتولى الخلافة هشام الثاني وعجز عن مقاومة الأعداء لسوء تدبيره فاخذت الدولة في الانحطاط

﴿المبحث الحادي عشر﴾

﴿في سياسة الأموية بإسبانيا واضطرابات تلك المملكة زمن خلافتهم﴾

تولى الأموية الخلافة بقرطبة ثلاثة قرون فعلوا فيها فوائد نفيسة منها أنهم لم يصرفوا إيراد إسبانيا في الغزوات البعيدة وأضمروا بغض بني العباس الذين قتلوا الأموية بدمشق وسلبوا الخلافة منهم وأراد الأمير يوسف أن يحكم إسبانيا نائباً عن خلفاء العراق العربي فصعدت الأموية غارة معاهده على بن مغيث والي قيروان من غدير أن يشهروا سلاجا واستمالهم اليونانية في سنة ٨٢٣ و ٨٤١ و ٨٤٩ إلى قتال عرب عمالك الاسلام المشرقية فقبلوا ذلك ووعدهم المساعدة ولكن لم يفعلوا من ذلك شيئاً وكان بالمغرب الأقصى قبائل الزناتة عاصين ففقدوه سنة ٩٣١ هـ بعد ذهاب كثير من الرجال والنقود ولم يحدثوا نزلات الا في افر بقيمة بل اقتصروا منها على المغرب الأقصى لسهولة بعث جيوشهم اليه وأوقفوا بفتحهم المغرب تقدمات الفاطمية العازمين اذ ذاك

على

على الاغارة على اسبانيا قبل الديار المصرية ولم تزل قرطبة مركز حكومتهم ثلثمائة سنة تخلفوا فيها مع انحصار القوة النافذة الحـكـم في رجل واحد منهم الا أن الفتن مازالت تشتعل بينهم ويطفؤنها ومنها ما كان في ابتداء القرن الثامن الميلادي فان عبد الرحمن الاول عهد بالخلافة لابنه الثالث هشام الاول فشق ذلك على ولديه الاول والثاني وهما سليمان وعبد الله اللذان حاربا أخاهما سنة ٧٨٩ يسلباه الخلافة أو يستقلا ولو في اقلبي مريدة وطليلة فهزمهما في واقعة بلش ثم انقادا له وعفا عنهما ثم مات سنة ٧٩٤ ميلادية وخلفه ابنه الحاكم فثار عليه عماء سليمان وعبد الله في كثير من ولاية البلاد طالبين قسمة اسبانيا اثلاثا فهزمهم الحاكم في واقعة لركة ثم في واقعة أخرى بسهولة مدينة مرسية سنة ٨٠٠ التي مات فيها سليمان وقد عفا عن عبد الله ثم مات سنة ٨١٢ خلفه ابنه عبد الرحمن الثاني وسارع بجيش الى مدينة والنسة التي وثب اليها عبد الله عم أبيه في كثيرا ستاجرهم من رجال افريقية نفيهم بين الحرب والانقياد اليه فاخترار الحرب ثم نكص عنها لامر رآه وألقى نفسه بين الخليفة عبد الرحمن سنة ٨٢١ فقابلته بالاحترام وأباح له التصرف في أمواله الخاصة ثم سعى أولاد الأمير عبد الله سنة ٨٩٥ والخليفة عبد الرحمن الثالث سنة ٩٤٩ في تقويم الرعية فاجدا نار تلك الفتنة بتدبيرهما ولم يكن بين الخلفاء الاموية غير هذه الحرب الى القرن الحادي عشر بعد الميلاد وأما ولاية الاقاليم الاسبانية فقد أبدوا للخلفاء معارضة ولم يمثلوا أوامرهم الا خوف ان يسلبوا مناصبهم بل طمعوا في الاستقلال حين رأوا أنفسهم ذوي قوة واستعدوا للاعلان بالاستقلال اذا رأوا خليفة حلت به مصيبة وأما لولاية الذين أوقعوا المسلمين في أكبر الورطات بعد تشتيت أحزاب الأمير يوسف فهم ولاية كارمونة وباينة المعينين لعلي بن مغيث على غزواته سنة ٧٤١ ووالي طرسوس المساعد للأمير سليمان وأخيه عبد الله على عصيانهما مرات ثم أضرم القتال في شمال اسبانيا مدة سنة ولاية سراقطة ومريدة وطليلة وحوسقه حين حثهم على ذلك رجلان لا يعرف أصلهما وهما عمر بن حسن

وابنه كالب وكان عمر لصا يقطع الطريق ثم سار بولده الى بلاد بين بلاد النصارى
والمسلمين منظرا أن يسكن بلادا حائدة عن الفريقين يعتبر فيها الدينين على
السواء ثم عضده كثير من الولاة والقواد وحكم من سنة ٨٦٣ الى سنة ٨٦٦
أكثر اقليم اراغون ثم غلبه الخليفة محمد فالتجأ الى جبال برينة بين اسبانيا
وفرنسا وألف جوفا قهوا بمساعدة ملك ايلة نواره اقليم اراغون ثانيا من جبال
برينة الى نهر ابرة ثم قتل في واقعة ايبير فاخذ ولده كالب بثأره وشدد عزمه
لمقاومة المنذر وأخذ طليطلة وكذا قونسة سنة ٨٨٦ بعد أن فقت له أبوابهما
ثم سار بجيوشه حتى قرب من الوادى اليانغ ومن الوادى الكبير وهو يثير
أعداء الخلفاء عليهم في سائر الجهات من سنة ٨٨٨ الى سنة ٨٨٩ ميلادية
وملك جميع البلاد من مدينة طالورة الى منبع نهر التاج وكذا ايلة اراغون
وجزء من ايلة قطالونية والسواحل من مدينة طرسوس الى مدينة مرسية
وارتاح من مناوشات المسلمين فاصر على الاغارة على النصارى فانهمزمو في
واقعة زامورة سنة ٨٩١ وتعصب عليه الخلفاء الاموية ومالوك مملكة ليون
فانتصر عليه الخليفة عبد الرحمن الثالث سنة ٩١٣ فانقاد له جميع الجهات
الشرقية من اسبانيا ورجع اليه بعد شهر مائتا مدينة فلم يبق بيد كالب الا
طليطلية ومدن قليلة من ايلة اراغون وبقي بعد ذلك عشر سنين مقاوما لاعدائه
المدعورين من بطشه الشائع ثم مات بعد سنة ٩٢٢ فتفرق حزبه الا طليطلية
فان سكانها يهود ونصارى كانت لهم الغلبة السياسية في اسبانيا ثم انقادوا للحكم
الاسلامى قهرا حتى انتهزوا فرصة عصيان الاموية فزالوا كذلك مرتقين ان
يعود اليهم مذهب حتى كابدوا بعد موت كالب أهوال المجاعة فانقادوا سنة
٩٢٧ وكانوا قبل حزب كالب مجبورين على الانقياد للحاكم سنة ٨٠٠ وعبد
الرحمن الثانى سنة ٨٢٨ الى سنة ٨٣٨ ومحمد الاول سنة ٨٥٣ الى سنة

وكان في هذه المدينة من أنواع العصيان الهائلة ما لم يوجد في عصيان مدينة

عريضة سنة ٨٢٧ وعصيان جبال الويرة سنة ٩٢٩ الناشئين عن التشديد في تحصيل الخراج وان ترتب عليهما مقاتلات في نواحي البسكزرا وشواطئ نهر التاج كما عصت قرطبة الحاكم ابن هشام سنة ٨١٧ ميلادية حين رتب لحفظه خفراء جعل لهم جارك المتاجر المجاورة من البلاد الاجنبية فكان بذلك في سائر الجهات ثورة أراد الخليفة العقاب عليها فانقض الناس على خفرائه وذبحوا منهم كثيرا فسار بماليكه وعبيده لقمع أهل قرطبة فهرب من وجد له مقرا ونهبت بيوتهم في ضواحي المدينة وارتحلوا بعائلاتهم من اسبانيا وتوجه بعض الى ناحية فاس فأكرمه أميرها ادريس بن ادريس وصار الباقي لصوفا بحرية نهبوا الاسكندرية وفتحوا سنة ٨٢٠ جزيرة كريد ثم أنشؤا فيها مدينة قندية سنة ٨٤٣

وكان الاوائل من خلفاء عبد الرحمن الاول يتخذون خفراءهم من مغاربة الزناتة ثم أحضر عبد الله من القسطنطينية سنة ٩٠٠ من الميلاد ومن بعده أرقاء من سلاوونية وعلوهم حركات السلاح واتخذوهم خدما انتفت بهم المشاجرات بين العرب وبربر افريقية من سنة ٧٥٥ الى سنة ١٠٠٨ ميلادية ولم يكن لهم دخول في السياسة لقوة الخلفاء حتى أخذت الدولة في الانحطاط في ابتداء القرن الحادى عشر فظهر تداخلهم في الامور السياسية

(المبحث الثانى عشر)

﴿ في حروب المسلمين مع النصارى باسبانيا ﴾

كان عرب اسبانيا متوطنين في أقاليم سبتيمانية خلف جبال برينة لنتهم مخاصمات واضطرابات مع احتياجهم الى مقاومة النصارى بأقاليم استورية وبلاد الغالة وجبال برينة وجبال مملكة أوقييد وكذا بحدود ايلة جاليسة فان الامير بيلاد الغوطى ألزم أمراء اسبانيا قبل غيبه الرحمن الاول ان يتركوا بهذه الحدود امارة صغيرة تاوى اليها النصارى

ثم ولى عبد الرحمن الاول الخلافة فوجد هذه الامارة ثابتة الاساس في شمال

نهر منهو وسكان جبال برينة يمنعون الجيوش الاسبانية من المرور باقليم قطالونية الى بلاد سبتيمانية حين حاصر مدينة نربونه الفرنساوية والملك (بيبين Pépin) القصير سنة ٧٥٤ ميلادية فضم هذا الخليفة اليه ملوك أوقييد وأوقع الرعب في قلوب هؤلاء النصارى حتى انقادوا لأن يؤدوا الجزية كل سنة عشرة آلاف أوقية ذهب وعشرة آلاف رطل فضة وعشرة آلاف فرس وعشرة آلاف بغل وألف ذراع من الزرد ومثلها من الرماح والسيوف ثم بلغه تسليم مدينة نربونة لمحاصريها وضياع جميع اقليم سبتيمانية من العرب سنة ٧٤٠ ميلادية وظن أن لا قدرة له على فتح الدرب لتمر جيوشه من جبال برينة ثم خطا شرلمانية ملك فرنسا الرومانيين بالجرمانية ثم أغاروا على اياالتى قطالونية واراغون وخربوا جميع ما مروا عليه من البلاد حتى بلغوا شواطئ نهر ابرة ثم غدر بهم حين رجوعهم من جبال برينة النواريون والوسقونيون المنضمون الى العرب وقتلوا (رولند Roland) ابن أخ شرلمانية وأخذوا غنائمهم وعاد لعبد الرحمن الاول اياالتا قطالونية واراغون الا مدينة جيرونية فدخلت سنة ٧٩٣ تحت طاعة ابنه هشام الذى بعث جيشا يفتح سبتيمانية ثانيا فاخذ نربونة فكاف شرلمانية ولده لويز ملك ايبالة اكيثانية ان يحارب العرب فكان بينهما بحدود جبال برينة من سنة ٧٩٤ الى سنة ٨١٢ ميلادية حرب أخذ فيها لويز بلاد نواره وما بين ابتداء السجور الى ساحل البحر من بلاد قطالونية وانضم الى الفرنساوية نصارى استورية في أكثر غزواتهم فامتنعوا من تادية الجزية وشهروا السلاح وعساكر المسلمين مفرقة اقساماً مع ضعف شوكتهم بعدم امتثال الولاة والقواد فاحتلوا من النصارى

وملك القس الثانى المتسلطن سنة ٧٩٣ الى سنة ٨٤٢ ما بين ابتداء نهر منهو وشواطئ نهر الدويرو وحصر مقاتلته العرب في حوالى مدينة زامورة ومات الملك شرلمانية فاستقل ولاة البلاد بالحكم وقاتلوا الجيوش الاسلامية عند مرورها باسبانيا وتلقب والى نواره سنة ٨٣٥ بالملك وأخذ يغير على بلاد

قسطيله واراغون فكان اذذاك بين النصارى والمسلمين حرب عمت دماؤنا الارض فان الخلفاء وملوك النصارى وان تهادنوا مرات على ترك الحرب الا أن سكان الحدود الفاصلة بين البلاد الاسلامية والنصرانية لم يكن بينهم مهادنة بل كانوا دائما يتواعدون الملاقاة في تلك الحدود ثم كان سنة ٨٧٢ واقعة على شواطئ نهر صهاجون الملتقى بنهر الدوير وقاتل فيها عساكر ملوك نواره وليون تحت لواء واحد وسفك فيها كثير من الدماء ولم يظهر أحد الفريقين على الآخر وسنة ٨٧٨ واقعة في سهول مدينة زامورة نصر فيها الملك الفنس الثالث المشهور بالكبر وملك في هذه الواقعة زامورة وتيسر له السبيل الى البلاد المروية بنهر التاج فاغار أهل غاليسه على مدن ويزو ولا ميغو وقومبرة وسالمنك حتى مدينة طالورة قظهر ككتات قسطيلة وانتهزوا الفرصة بعصيان عمر بن حسن وابنه كالب في توسيع دائرة شوكتهم

ولم تزل الاموية مشغولين بما بينهم من المشاجرات الداخلية عن محاربة النصارى الذين تقدموا في غزواتهم حتى كان بين ككتات قسطيله وملوك نواره وليون تنازع انتهز به الخليفة عبد الرحمن الثالث الفرصة في إعادة عصاة المؤمنين الى طاعته وقد حرض أولاد كالب راميير الثاني فجال في البلاد حتى بلغ طالورة ففتك بها ضربا بالسلاح واحرقا بالنار فبعث عبد الرحمن جيشا هائلا الى بلاد غاليسه وملكه ليون فهزموا ملك ليون على شواطئ نهر الدوير وسنة ٩٣٩ ثم سار النصارى سنة ٩٣٩ في بلاد لوزيتانيا حتى بلغوا مدينتي بداجوز واسبونيه ورجعوا خوفا من الجيوش الاسلامية

واستنفر الخليفة عبد الرحمن الناس للجهاد سنة ٩٣٨ ميلادية وحاصر زامورة محصنة بسبعة أسوار وخندقين مملوءين ماء وهجم عليه راميير الثاني بعساكره ثم انهزم فدخل جيش المسلمين زامورة بعد ان هدموا جانباً من سورها فرؤا خندقاً أرادوا اجتيازه ففتك بهم النصارى وقتلوا منهم كثيراً جعلهم من بقي من المسلمين كالقنطرة وعبروا عليهم الى الجانب الآخر من الخندق ثم دخلوا المدينة

ولبثوا بعد ذلك سنتين يحاربون النصارى وينصرون عليهم حتى طلب رامير
 الثانى سنة ٩٤١ الهدنة خمس سنين فامتدت حتى مات الحاكم سنة ٩٧٧
 ميلادية ومع ضعف النصارى عن تجديد حرب المسلمين لاضطرابات فى مملكة
 ليون أنارها ككتات قسطنطية وملك نواره ولم يدهمهم الخليفة عبد الرحمن مع
 استعداده لاستحسان تتمعه بفوائد الصلح ثم عقد مودة مع (شنس Sanche) ملك قسطنطية
 ثم ولى هشام الخلافة وله ١١ سنة تحت وصاية امرأة نفشى المسلمون من
 النصارى حتى ولى الصدارة محمد بن عبد الله بن على المشهور فى جميع الاندلس
 بشدة العزم وغزارة المعارف ففرحوا لهذا الوزير الذى استنفرهم للجهاد وأعانهم
 انه يريد فتح جميع اسبانيا وحلف ليؤيدن البغضاء للنصارى كما حلف فى الارمان
 السالفة القائد عنبال ليؤيدن البغضاء للاممة الرومانية وأخذ يقود كل سنة جيشا
 بجول به فى بلاد ليون وغاليسه وقسطنطية ونواره وقطالونية ثم يعود الى محطاته
 الاسلامية ليقسم الغنائم خرب سنة ٩٧٨ بلاد غاليسه فلقب بالمنصور الذى
 غلب عليه من ذلك الوقت وأخذ فيما بين هذه السنة وسنة ٩٨٣ مدينتى ليون
 واسترغة وتوجه سنة ٩٨٤ الى بلاد قطالونية فخارب (بوريل Borel) والى برساونة من
 طرف فرنسا وهزمه فوجب على سكان بلاد قطالونية ان يقتدوا أنفسهم وأموالهم
 ثم أغار الوزير المنصور من سنة ٩٨٧ الى سنة ٩٩٤ على بلاد غاليسه عدة مرات
 وصل فى احدهما الى مدينة قمپستله وأحرق فيها الكنيسة المشهورة للقديس
 يعقوب وأخذ نوافيسها فوضعها بمسجد قرطبة وهزم فى سنة ٩٩٥ ملك غرسية ثم توجه
 لقمع الزناة الافريقية فعاد النصارى الى المحاربة وعاد بوريل المطرود من
 برساونة الى ممالك بمساعدة فرنسا ثم عاد هذا الوزير بعد اطاعته الزناة الى
 اسبانيا فهزم النصارى فى واقعة سرورة سنة ألف ميلادية فاتفق شنس الاكبر
 وملك قسطنطية والفرنس الخامس ملك ليون وحاربوا هذا الوزير سنة ١٠٠١ فى
 نواحي قلعة النصور يوما لم يظهر فيه أحد الفريقين على الآخر ثم هجم
 المتدعون من الجيوش النصرانية واخترقوا الجنود الاسلامية طولا وعرضا
 وذبحوا

وذبحوا منهم كثيرا ثم قتر بهم هذا الوزير مصابا بجروح ولم تتبعه النصارى لجمود قوتهم ولبت مدة لا يداوى جروحه كراهة له في الحياة بعد هذه الهزيمة التي كانت أول هزيمة له ثم مات فأظهر المسلمون عظيم الأسف عليه وخلفه في الوزارة ابنه عبد الملك وأخذ يحارب النصارى في سهول قطالونية وليون من سنة ١٠٠١ الى سنة ١٠٥٨ وكان النصارى يفوقون عرب اسبانيا في معرفة الفنون الحربية وعلى شريفهم ووضعهم اتباع الملك في الغزوات بخلاف عرب اسبانيا فخيرون في السفر للجهاد الا اذا استنفروا فينفرون جميعا مدة محدودة ولذا كان للنصارى الفوقان عليهم في المعارك الحربية وأما نصرات الوزير المنصور فلحمية كان يثيرها في عساكره الذين كان اندفاعهم على الاعداء لا يقاوم نعم كان للعرب في المعارك البحرية قوة لاتعادل مع ما كان لهم في مينيات قادس والجزيرة والمنقار والمرية وطرطوس وطرغوث من السفن المصنوعة بالمدن الثلاثة الاخيرة ومدينتي قرطاجنة واشبيلة وكان من الرعية كثير يجهز سفنا تجارية ينقل فيها تجارات المشرق الى اسبانيا ومنهم من يصنع للسرقة سفنا يغير بها على سواحل اسبانيا وفرنسا وايطاليا وتعود عرب اسبانيا لبس الدروع والزرر وقضى رؤسائهم شببتهم في تعلم حركات المزاريق والسيوف التي استعملوها حين فتكهم بالنصارى الذين لم يعرفوا ذلك ان يقدموا تعلم الفنون الحربية على الفلاحة أو التمتع بالملاذ الذي استلزمه تقدمهم في التمدن

﴿المبحث الثالث عشر﴾

- ﴿في انشاء عرب اسبانيا نزلات ومحال اسلامية في جزائر البحر الابيض المتوسط﴾
- ﴿اقتداء بفعال الغلبيون وفي دهمهم اقليم برونسه وانشائهم نزلة في﴾
- ﴿مدينة افر كسينيت وفي غارات القوم النرغانية﴾
- توطن العرب سنة ٨٢٠ ميلادية في جزائر بلياره وأخذوا سنة ٨٤٠
- (٢١ خلاصة تاريخ العرب)

جزيرة قرسقة فبقيت مستقلة عن غيرها بالحكم الى سنة ٨٥٠ وخرّبوا
نواحي مدينتي مرسييليا وأرلس مرات ووجدوا في نواحي مدينة سنترين
بقعة يمكنهم ان ينقضوا منها على جميع اقليم برونسه فنزلوا في محطة افرسينيت
سنة ٨٨٩ ومكثوا فيها جميع القرن العاشر تزوج بعضهم نساء تلك الجهة
واشتغل بفلاحة أرضها واشتغل بعض بقطع مرور الناس من فرنسا الى ايطاليا
ثم جال سنة ٩٣٥ في اقليم تارنتيزو والس ثم في بلاد سويسة التي نهبا المجر قبل ذلك
وأزعموا سكان مدينتي فريجوس وطولون سنة ٩٤٣ بالمهاجرة منها وقد همت
مملكة سويج ونروج المسماة أيضا بالمملكة الاسكنديناوية بالغاثة على اسبانيا
حيث أخرجت سنة ٨٤٣ في أرض لوزيتانيا المسماة الآن بمملكة البرتغال في
غرب اسبانيا جيشا من النرمانية للاستيلاء على مدينة لسبونة التي استنجد
والها جيرانه لصدّهم فذهبوا الى مدينة سيدونة باقليم الغرب ودهموها وساروا
سنة ٨٤٤ في نهر الوادي الكبير حتى بلغوا اشبيلية فنهبوا نواحيها وأرادوا
التوطن بها فاجلتهم مشايخ القبائل العربية وأرسوا سفنهم قرب مدينتي ملاغة
وقرطاجنة فنهبوا المسجد الشهير بمدينة الجزيرة ثم ارتحلوا وأفرطوا في النهب
والتهريب فحافظت الخلفاء بالسفن في جميع جهات السواحل وبعثوا الطرد هؤلاء
النرمان سفنا حربية طردتهم وبعثت فقد شوهد منها سفينة في مصب نهر
لوار في غرب فرنسا على ما هو مدون في التواريخ القديمة باللغة الانكليزية

﴿المبحث الرابع عشر﴾

﴿في اتساع أفهام العرب الاسبانية وحسن اخلاقهم واستعدادهم العقلي﴾
فاق عرب اسبانيا الفرنج في العلوم والصنائع والاخلاق كبنل النفس
والكرم مع ما امتازوا به من معرفة قدرها وعزتها الناشئة عما اعتيد
عندهم من تلاقى الخصمين بالسلاح ولذا حلف بعض قواد العساكر أن
لا يعود الى مقابلة الخليفة عبد الله حين سخر من لحيته وقد أبر في يمينه
وأيقنت

وأيقنت الفرنج ملوك قسطنطينة ونواره بصداقة عرب اسبانيا وكرامتهم للضيوف فذهب عدة منهم الى قرطبة يستشيرون حكامها المشتهرين بالطب وكان هؤلاء العرب في سائر الجهات متقادين لأبي العائلة مبدلين للشيوخ ذوي خبرة شديدة على مراعاة العدل أفقرهم كما كبرهم في الاعتناء بحفظ العائلة من العار لا يمنع تحول أصل أحدهم من الوصول الى أرقى المناصب غير معولين في اعتبار الشخص على شرف حسبه ونسبه فقط بل مع اعتبار فضائله وأخلاقه لانهم لم يكونوا اذ ذاك باقين على ما كانوا عليه زمن فتح اسبانيا من الاضرار بالحرية البشرية لتغلب الدين على عقولهم بل كانوا متفنين في الفهم والعمل بالقرآن الدال على أهمية اكتساب الفضائل والاعمال الصالحة ولذا كان الخلفاء يشوقون الناس الى الشغل ووقاية الاملاك من العدو وان كان قضائهم يرون أنفسهم كالمحكمن بين الخصوم لا قضاة ولا يتجاوزون الرفق بالناس الا نادرا

والذي ساعد هؤلاء العرب على بلوغهم شأوا العظمة اتساع العلوم والفنون والفلاحة والصنائع ذاق جميعهم لذة المعارف وتنافسوا في ابتكار ما يتأرون به وكان اقتراحهم الشعر يرفع قدر نفوسهم ولا بد لقضائهم من حوز معلومات غويصة حتى يعتبرهم الناس زمن قيامهم بوظائفهم وكانوا يكتبون على جميع المباني الجليلة اسمى المهندس والآمر بالتشييد ويجزلون الثناء على كل ماهر في فن وقد بلغوا الدرجة العلية في فنون العمارة والموسيقى والغريض ولذا اختلفت الفرنج أثرهم في أساليب ابنيتهم وزخارفها وأتقن على بن زناج اجناس الاصوات وما في الصوت البشري من الوسائل والطرق النجمية أنشأ في قرطبة مدرسة وركب للعود وتراخما بعد أن كان باربعة ومارسوا ضروب الشعر خصوصا نظم الحكايات المشتملة على نكت مشوقة فبرع فيها كثير من الرجال وبعض النساء وتعلموا في المدارس علوم الفلك والجغرافيا والمنطق والطب والنحو والهندسة والجبر ومبادئ علم الطبيعة والكيمياء والطب والتاريخ الطبيعي وهو علم الموالي

الارنية الثلاثة ملئت كتبجاناتهم نسخا منقولة من كتب قدماء العلماء اليونانيين ومن كتب فلاسفة الاسكندرية واستمد جوبرت بابة رومية المدائن آخر القرن العاشر من اسبانيا معارف عجب منها أبناء عصره من النصارى فاتهموه بالسحر

﴿المبحث الخامس عشر﴾

﴿في صنائع عرب اسبانيا وتجارتهم وفلاحتهم ومبانيهم وأشغالهم العامة﴾
فاق عرب اسبانيا غيرهم في الصنائع عثروا على معارف الرومان والفنيين فاستخرجوا بها المعادن المطروقة وعلى معادن أخرى كالمعادن الزئبق وكذا معادن الياقوت التي وجدوها قرب مدينتي ملقا وبيجاديكاميريس واستخرجوا من البحر بقرب سواحل الاندلس المرجان وبقرب طراغونة اللؤلؤ وأتقنوا صناعة الدباغة ونسج القطن والكتان والتيل وبلغوا أقصى الغايات في صناعة الأقمشة الحرير والصوف ولم يتحدث الناس بالشرق وسواحل أفريقيا الا في حسن صناعة نصال السلاح بطليطلة والحرير بغرناطة والسروج والجلود السختيان بقرطبة ورغب جميع أهل أور وياكل الرغبة في الجوخ الازرق والآنخضر المصنوع بقونسية والبهارات والسكر والنسج وانجروا مع ذلك في نحو الزيت ودودة الصباغة والعنبر الخام والبلور المعديني وهو بلور النحور والكبريت والزعفران والزنجبيل ولا مانع ان يكونوا استعملوا أوراق الحوالة المسماة بين التجار بالكيميالة التي اعزى ابتكارها الى الامة المبردية أو استعملوا طريقة تماثلها

وكانوا يرسلون بضائع الى تجار بالممالك الشرقية فيرسلون اليهم بدلها نحو العود القاقلي والكافور وأكراك السمر الحراسانية والبسط الفارسية وبنلوا غاية عنايتهم في الفلاحة التي أدوها وبقيت آثارها في سهل هوسطة بالنسبة وسهل ويغات غرناطة الواصلين بالرى الى أقصى درجات الخصوبة وقد أبدعوا في طريقة رى سهل هوسطة الذي يقسمه الى نصفين نهر طونة الذي يصب في

البحر قرب والنسة فانهم أوقفوا ماء هذا النهر بجسر مانع على فرسخين من مصبه ثم قطعوا منه سبعة جداول ثلاثة في شاطئ وأربعة في آخر يفتح كل فرع منها في يوم من الاسبوع بحيث يرتفع الماء الى المستوى الضروري وقسموا كل جدول من تلك الى جداول ثانوية صغيرة يفتح كل منها في ساعة بعد حصول ذلك الارتفاع حتى يصل الماء الى أصغر مربع من الارض فكان كل جدول مع فروعه على هيئة مروحة ولعدم انحدار ذلك السهل انحدارا هندسيا تدريجيا رتبوا له مساقى صغيرة وقناطر عليها مجارى مياه موزعة على المسزارع وبالجملة فعلوا بذلك السهل ما استحق به ان يلقب بستان اسبانيا وصنعوا لما لا يمكن سقيه بهذه الكيفية ما يسمى لدى العامة بالسواقي وحفظوا مياهها في حياض أو جداول يصرف منها عند الاحتياج ونقلوا الى اسبانيا الزراعة بقواعدها العلمية من آسيا وكادة والشام وأخذوا يبدرون الحب في الارض بمجرد حصاد ما فيها ويأخذون منها كل سنة ثلاث حصائد وزرعوا بها الارز والقطن والتوت وقصب السكر والنخل والفسق والموز ودوحه الكا ملياء الحراء والبيضاء وأزهارا وبقولا نقلت بعد الى جميع البلاد الغربية من أوروبا وورد يابونيا

وكان في الجزء الذي يملكه المسلمون من اسبانيا ست نخوت وثمانون مدينة كبيرة وثلثمائة مدينة أقل مما قبلها وما لا يحصى من الضياع والقرى والكفور وفي قرطبة وحدها ٢٠٠٠٠ بيت و ١٠٠ مسجد و ٥٠ مستشفى للرضى و ٨٠ مدرسة كبرى عامة و ٩٠ حمام سوق وعدد ساكنيها مليون وبذلك يعلم أنها ليست الآن على حالتها القديمة وانه لا وجه لاستغراب ما كانت عليه من عظيم الثروة والزخرفة اللتين تنافس في اظهارهما عليها الخلفاء الذين وصلوا الى حيازة ما في المملكة من الاموال بترتيب العشور والخراج والجمارك وفردة التجار ويؤخذ من ذلك ان وارد هؤلاء الخلفاء كل سنة يبلغ ١٢ مليونا و ٤٥٠٠ دينار من الذهب سوى خمس غنائم الحرب و جزية اليهود والنصارى ومع ذلك كله لا يزال

العقل متعجبا من كثرة ما بذله عرب اسبانيا في مبانيهم فان مسجد قرطبة
 الباقي الآن ينشأ في الفخامة المسجد الاموي بدمشق طوله ١٥٥ قدم
 وعرضه ٢٥٠ قدما وفي عرضه الايمن ٣٨ صفحا واليسر ٢٩ صفحا وفيه
 ١٠٩٣ عمود رخام وفيه من جهة الجنوب ١٩ بابا مبطنه بصفايح من نحاس
 التويج (نحاس المدافع) وأوسطها مرصع بصفايح ذهب و بإعلاه ٣ أكر
 مذهبة فوقها رمانة من العنجد وقناديله ٧٠٠ ع أحدها في الحراب من
 الذهب الابريز ويصرف عليه كل سنة ٤٠٠٠ رطل زيتا و ١٢٠ رطلا من العنبر
 والعود القاقلي وكانت هذه المدينة تصبح مضيئة وحرارتها مطيبة بما يلقي فيها
 من الزهور مع استعمال الالحان المطربة في المنزهات والميادين العامة

وقد أسلفنا الكلام على مدينة زهرة وقصرها الذي بناه الخليفة عبد الرحمن
 الثالث على شواطئ نهر الوادي الكبير على فراسخ قليلة من قرطبة ولم يبق
 له أثر وحكى فيه مؤرخو الاسلام مانصه ان قباب القصر المذكور كانت على
 ٣٠٠ عمود من أنواع الرخام كلها منقوشة بالزينات على حدة سواء
 وكانت ارضه ومواطنه مرخجة بترابيع الرخام المختلف الالوان بأطراف وأجل
 تشكيل وكانت حيطانه مبطنه أيضا بتلك الكيفية وسقفه منقوشة
 باللازوردي والذهب وكان في مسالكه العظيمة فساق مياه عذبة تنصب
 وتغيب في أحواض من الرخام الابيض واليشم المتنوعة أشكاله وكان يشاهد
 في قاعة جلوس الخليفة فسقية يخرج من وسطها صورة مجمعة من ذهب
 معلقة فوق رأسها اللؤلؤة عظيمة وكانت تلك البجعة قد صنعت في مدينة القسطنطينية
 وأما اللؤلؤة فهي هدية أهدي بها السلطان ليون حضرة الخليفة وكانت قد
 انشئت حول القصر بساتين واسعة وبني في وسطها أيضا قصر منفرد لكي
 يستريح فيه الخليفة بعد رجوعه من القنص وكان هذا القصر المعد للاستراحة
 مبنيا على اعمدة من رخام ذوات تيجان مذهبة وكان ينبع في وسطه عين ماء
 صاف كالزئبق بيضا وتنصب من قم الفسقية على هيئة جرزة القمع في اناء

مستدير مصنوع من الفرفيري اهـ

ولم يصرف جميع أموال خلفاء اسبانيا في المباني الفاخرة لتزين المملكة فقط بل صرف بعضها في عمارات نافعة فقد بنى الخليفة الحاكم قناطر وفتح طرقا انشأ فيها محطات للسياحين وبنى في قرطبة مسجدا سماه باسمه وكان انشاؤه باهتمام المقلد في هذه المدينة بالضبط والربط وقيادة جيوش المملكة وبالتأمل فيما اسلفناه يعلم ان عرب اسبانيا اول الامم المتمدنة في القرن الحادى عشر بعد الميلاد بل كانوا يفوقون في ذلك العصر جميع أمم أوروبا الا أن ميلهم الى الشقاق أثار بينهم نار الحرب وجعل دمار سلطانهم في ذلك الزمان المحتاجين فيه الى نفوذ كلاتهم ليتمكنوا من مقاومة نصارى اسبانيا

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من المقالة الخامسة ﴾

﴿ فى توقيف حزبى المرابطين والموحدين تقدم نصرات النصارى على عرب ﴾

﴿ المغرب (مسلى اسبانيا) من سنة ١٠٠٨ الى سنة ١٢٣٢ ﴾

﴿ ميلادية الموافقة سنة ٣٩٩ الى سنة ٩٢٩ هجرية ﴾

﴿ وفيه اثنا عشر مجتبا ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى انحطاط الخلفاء الاموية فى اسبانيا وتمزيق خلافتهم المؤسسة بقرطبة ﴾

ولى هشام الثانى الخلافة وليس أهلا للقيام بتدبير المملكة فولى الصدارة المنصور وكانت له نصرات ودبها المسلمون ان تخلد الحكومة فى ايدى ذريته وخلفه ابنته عبد الملك الى سنة ١٠٠٨ ولم يكن لهشام الثانى أولاد فخضه حزب العريين على ان يعهد بالخلافة للامير عبد الرحمن أخى عبد الملك بن المنصور فأبى الاموية ذلك وكان بين الحزبين تنافس به اتقدت الحرب ست سنين نهب فيها ما بقى قرطبة مرات وعزل هشام فولى الخلافة محمد بن المهدي الاموى سنة ١٠٠٨ الى سنة ١٠١٠

ثم هشام الثاني من هذه السنة الى سنة ١٠١٢ تم الامير سليمان أمير العرب الافريقيين ولم يره المسلمون أهلا للخلافة فتجددت خصومات بعده سنتين وازداد هولها بظهور علي بن حامد في عائلة بني حامد المنتسبة الى علي بن أبي طالب من جهة فرع الادريسيين وكان رئيسها علي بن حامد حاكما على المغرب من طرف هشام الثاني فما زال كذلك حتى ولي الخلافة سليمان السالف فثبت نسبه وزعم أنه الاحق بان يخلف بني أمية في الخلافة فاخذ وارد اقليم المغرب وأحضر من داخل افريقية كثيرا من الزنج وجند منهم ومن العرب والبربر جنودا سار بهم الى اسبانيا فسهل له النزول فيها وفي مدينتي ملاحنة والجزيرة أخوه القاسم ثم عزل سليمان في أسرع وقت عن الخلافة ليكرهه الناس له وولي ابن حامد الخلافة مع بقاء الاندلس بيد بقية من الاموية لو اتحدت كلهم لا يمكن ان يظفروا به لكن عبدالرحمن الرابع والخامس ومحمد الثاني وهشام ابن محمد الممولين الخلافة من سنة ١٠١٧ الى سنة ١٠٢٩ ساء حظهم بحروب قتل فيها اخوتهم وعدم مالهم من بقايا الوسائل الحربية ثم مات علي بن حامد فاستقل كل من أخيه القاسم وابنه يحيى بجنود أوقفهم ازاء الاخرين سنة ١٠٢٩ وأصبحت بلاد اسبانيا الاسلامية فوضى لا رئيس لها وبالجملة ضعف هشام عن تدبير المملكة أفضى الى تداخل أرباب المطامع في تدبيرها فكان بينهم من الحروب الداخلية مالم يفض الى ابتكار قوة سلطانية بل الى انفصال الأقاليم المنقادة للعرب وصيرورة كل واحد منها مملكة مستقلة

وبالتأمل فيما سلكه ولاية الأقاليم مع الخلفاء الأموية يعلم ما كانوا يستفيدونه في قتال الاموية مع العلوية فانهم كانوا يعقدون كإشائون شروطا مع أحد المتسابقين الى الخلافة قاصدين بقاء حكومتهم بأيديهم زمن حياتهم أو بعدهم مما هم في عائلاتهم بل ألزموا العلوية والاموية ان ينزلوا لهم عما كان بأيديهم من الأقاليم التي كان بها التنارع في مقابلة تشكرهم تشكر عبودية أو حلفهم لهم على مصادقتهم وذلك سبب احداث الحكومة السيادية الولاية في اسبانيا

ولم

ولم يكونوا منفردين بحب الاستقلال بل مثلهم الوزراء والقواد الذين اشتغلوا بمصالحهم الخاصة معرضين عن المصالح العامة بلا تبصر في العواقب فحدث سنة ١٠٣٩ ميلادية بالانديلس سوى الامارات الصغيرة ست ممالك وهي مملكة قرطبة ومملكة اشبيلية ومملكة كرمونه وايسيجيه ومملكة ملقا ومملكة الجزيرة ومملكة غرناطة وأما طليطلة فصارت تحت مملكة مستقلة عن تلك الممالك وكذا اقليم الجرف ولو زيتانيا كان لهما ملك في مدينتي لسبونة وباداچوز

وحدث بالساحل الشرقى من اقليم المرية الى مدينة مروبيد وثلاث ممالك مملكة مرسية بين المرية ونهر سيجورة ومملكة دنيا من نهر سيجورة الى نهر اكسوكار ومملكة بالنسيا من نهر اكسوكار الى مروبيدو وأما الاقليم الشمالية من حيث جزيرة اسبانيا فتقسمت بين ملوك سراقسطة وطرطوس وهو سعه ولو بقي مع هؤلاء الولاة الحكومات الاربع على حدودها الاصلية وهى حكومات قرطبة وطلطلة ومريدة وسراغوسه لما كان انحطاطهم سريعا بتلك المثابة أو أنشؤا قبل عصيانهم الخلفاء معاهدة بينهم لبقى لكل ما بيده وأمكنهم مقاومة النصارى الذين احدثوا اذذاك بيادهم ممالك صغيرة الا أن كل واحد استقل بالحكم على جهة مدعى استحقاقه السلطنة على جميع اسبانيا فاغار كل على الآخر فغل بالامة العربية الدمار بذهاب شجعانها وجيوشها التى كانت تقاوم بها النصارى

(المبحث الثانى)

﴿ فى توسيع ملوك اشبيلية حكمهم حتى عم اسبانيا الاسلامية وعدم نجاحهم ﴾
 ﴿ فى ذلك وفى شقاق العرب الذى تقدمت به فتوحات النصارى فى اسبانيا ﴾
 لما تزقت مملكة الأموية باسبانيا اكتفى ملوك النصارى ذوو الشوكة والمجاورون لهم وهم ملوك سراغوسه وباداچوز بحكمهم ما جاوهم من العرب الى اياالتى اراغون والجرف واشتد حرص ملوك طليطلة على اعلاء شأن الخلافة وكذا ملوك اشبيلية المؤسس لهم الخلافة ابن عباد المسمى أيضا بابن عاضد فانه أشاع

بجميع اسبانيا ان هشاما الثانى ظهر واعترف له بين الناس انه الوارث للخلافة
 فى مدينة قرطبة ثم مات ابن عباد خلفه ملوك اشبيلية التى هى من أحسن
 المدن وضعاً وفيها من وسائل العظمة والغنى ما لم يكن فى غيرها ولبثوا غير
 متعرضين للولك الا صاعراً بالاندلس حتى ضعفت قوتهم بالحروب الداخلية
 فأضرم ملوك اشبيلية حينئذ نارا لوعى وأخذوا مدائن جبل طارق ونيبلة
 وهو لقعة وكر مونة ثم وجد ملك اشبيلية وهو المعتضد الاول المسمى ابن عباد
 الثانى ان ملك طليطلة هزم ملك قرطبة سنة ١٠٦٠ ميلادية فى واقعة الجوطور
 وحصره بقرطبة فسارع المعتضد الاول الى نجدة وطرده عنه الاعداء ثم قبض
 على هذا الملك وأخذ ممالكه ثم أراد التغلب على مدائن ملاغسه وغرناطة
 وايسيجيه فصده ملك ملاغسه المنتسب لعائلة بنى طامد بجيوش كثيرة
 ثم خلفه المعتضد الثانى المسمى ابن عباد الثالث فأخذ منه ملك طليطلة
 مدينتى قرطبة واشبيلية بمساعدة الفرس السادس ملك قسطنطينة ثم أخذها ثانيا
 لمحبة سكانهم له ووزع ممالك طليطلة التى اتسعت بانضمام مدينة قونسة وعدة
 خطط وهى خطط مرسية والنسة واليقنتة ثم دهم الملوك المتحكمين على الممالك
 بعد التمزيق فغلهم واحدا بعد آخر وأزال السلطنة من مدينة مرسية ثم أخذ
 مدينتى ملاغسه والجزيرة وانتقل منهما الملوك الادريسيون الى طنجة أو سبتة
 سنة ١٠٧٩ وبلغ ذلك ملوك سراجوسة وباداجوز فتعصبوا عليه فضم اليه
 سنة ثمانين وألف الفرس السادس ملك قسطنطينة على ان يعطيه من الفتوحات
 ثلاث مدائن باداجوز وغرناطة والمرية وأبى أعطاه طليطلة ثم حارباً فلم يفهما
 الا طليطلة سنة ١٠٨٥ فأخذها الفرس فقام جميع الاندلس على ابن عباد
 وألزموه رفض تلك السياسة الذميمة المؤدية الى أن يملك النصارى جميع اسبانيا
 ولم تكن عاقبة تلك الحروب الداخلية التى أخذ فيها النصارى طليطلة مجرد
 تعطل الاشغال والصنائع وخراب المزارع وذهاب عظمة مدينة قرطبة التى

لاتخلفها

لا تخلفها مدينة اشبيلية بل مع حيازة النصارى نصرات جبروا بها ما حصل لهم من الهزائم في الحقب الماضية وتقدموا شيئاً فشيئاً حتى بلغوا وسط بحيث الجزيرة

وقد تدخل كونت قسطنطينة وكونت برسلونة من سنة ١٠٠٨ الى سنة ١٠١٤ فيما كان بين محمد المهدي وسليمان من الحروب التي أخذ فيها هذان الكونتان ودنا جلييلة وحصونا في حدود بلاد العرب ثم أخذ الفنس الخامس مملكة ليون زمن تخاصم الاموية والعلوية وشرع في فتح الجزء الذي في جنوب نهر الدويرو ثم مات سنة ١٠٢٦ وهو محاصر لمدينة ويزو وخلفه ابنه برمود الثالث ونظف ان يعدو عليه ملك نواره حيث ضم الى مملكته كوتنة قسطنطينة فوجهه برمود عسكره اليه وكان بينهما حرب انقسم بها سنة ١٠٣٥ ممالك نصارى اسبانيا حيث اختص مملكتا اراغون وقسطنطينة بعقد الحرب مع المسلمين وصارت مملكة نواره تشبه جمعا من عساكر احتياطية وانضمت مملكة ليون سنة ١٠٣٧ الى مملكة قسطنطينة التي صارت اذ ذاك خفراء على بلاد النصارى باسبانيا واخذ الملك فرينند الاول من سنه ١٠٣٥ الى سنة ١٠٤٤ أقاليم استورية وغاليسية وبسقاية وليون وقسطنطينة وأخذ في ايلة البرتغال مدائن ويزو ولاميغو وقومبرة وقوى سلطانه حتى خشي المسلمون بأسه وضم ملك اراغون اليه كونت برسلونة وأغار على ملكى سراقسطه وهو سقه فانقادا ودفعوا الجزيرة اليه من سنة ١٠٩٣ الى سنة ١٠٩٦

وكان ماسلف نتيجة المشاجرات التي اتقدت بين عرب اسبانيا ثم كان بين النصارى ببلاد قسطنطينة سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٠٧٣ حروب داخلية خربت تلك البلاد ونجت بها المسلمون من استيلاء النصارى عليهم ومات فرينند قتنازع أولاده الثلاثة في تقسيم مملكته فطرد سنش وهو الاكبر أخويه غرسية والفس من بلاد غاليسية وليون فاستعان غرسية بملك اشبيلية المسمى بالمعتضد والفس بملك طليطلة المعروف في تواريخ الافرنج القديمة بالمأمون ثم مات سنش زمن حصاره

مدينة زامورة التي كانت تحت يد أخته الست أو راقه (براء مشددة بعد همزة مضمومة) فاحضرت رعيته أخاه الفنس من بلاد الاسلام سنة ١٠٧٣ فتولى جميع ما كان لوالده فرينند وبعث جيشا ساعد ملك طليطلة على أخذه مدينتي قرطبة واشبيلية من المعتضد الثاني مكافاة له على اكرامه له زمن ضيافته ولبث مسالما له حتى مات فعاد لمحاربة المسلمين برجال ذوى شجاعة واقدام منهم سيد (بسكون الباء) وكذا (ردريغ دوبيوار Le Cid Rodrigue be Bivar) الذي أخذ يخرب السهل الممتد من حدود قسطنطية القديمة الى شواطئ نهر التاج من سنة ١٠٨١ الى سنة ١٠٨٥ ميلادية وحاصر هذا الملك طليطلة فساعده المعتضد ومال اليه سكان هذه المدينة الذين أكثرهم يهود ونصارى فالتقوا اليه مفاتيحها بعد مبايعته على أن يحترم المساجد ويبقى حكم القضاة بين المسلمين على ما هو عليه وخرج ملكها المسلم بالاشراف فتوطنوا بمدينة والنسة وانقاد للفس بفتح هـ هذه المدينة جميع الحصون التي أمام نهر التاج وهى مقدة ومدريد وغواد الكسارة وقورية وأما بلاد الوادى الى انع فاخذها بالسيف

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في ترك المسلمين جزءا من أملاكهم في البحر الابيض المتوسط﴾

كما أخذ النصارى من المسلمين بلادا باسبانيا أخذوا منهم بلادا في جزائر البحر الابيض المتوسط فقد خرج أهل جنويزه وبيزة في جزيرة سردينيا وطردها منها الحاككم عليها من طرف الزيرية الذين أرادوا فيما بعد الاستيلاء على تلك الجزيرة ثانيا فبعثوا جيشا من افريقية فصددهم أهل بيزة وقتلوا سائرهم قرب مدينة كاليارى

وأخذ أهل جنويزه جزيرة قرسقه من لصوص الاندلس المتحكمين عليها حين تغلب المسلمون عنها وكان العرب اذ ذاك يغيرون على بلاد ايطاليا فوجدوا سنة ألف ميلادية في مدينة سالرنة أعداء مهاجرين من بلاد النرمندية عاهدوا اليونان وساعدوهم على أخذ مدينة ترنتة من المسلمين سنة ١٠٣٥

ثم دهم اليونان جزيرة سيسيليا سنة ١٠٤٣ لياخذوها من المسلمين فجزوا
لتنارع بينهم وبين النرمنديين اذ ذاك

ولم تقدر جماهير ايطاليا على أخذ الجزائر البليارية التي أخذها والى مدينة
دنيا من لصوص بحرية توطنوا فيها وجعلوها مركز أعمالهم وهو جندا لولة
الذين استقلوا بالحكم في اسبانيا

وشغل الزيرية عن منع تلك المصائب ما كان في بلادهم الافريقية من الفشل
والفتن التي لم تنج غير استبدال حاكم ظالم بآخر مع ما كان من بني حماد
المتوطنين في مدينتي أشيرو وبجاية من نهبهم الحدود المجاورة لهم وارسال
الفاطميين من القاهرة جيوشا تدهم طرابلس وامتناع قبائل البادية من تأدية
الخراج مع اتساع دائرة غاراتها باقترابها من سواحل البحر الابيض المتوسط

(المبحث الرابع)

﴿ فيما يتعلق بحزب المرابطين ﴾

لم يتم عرب الاقاليم الشرقية في آسيا بما حل بافريقية واسبانيا من عدوان
النصارى بل قام بذلك سكان براري المغرب وهم القبائل الافريقية المتوحشة
التي تأبى أن يحكمها أجنبي وينتسب منها الى بنى صناجة الكبرى قبيلتنا لمطونة
وغوادللة اللتان اغراهما عبد الله بن تشفين أحد فقهاء مدينة سوس وأخذ يشير
فهم الحمية الدينية حتى اتقادوا اليه وتلقبوا بالمرابطين وجعل قائدهم ابن أخته
أبا بكر ففتحوا مدينة سلجلمش ثم بلاد دهرة وانفذوا حكمهم على قبيلة
معمورة إحدى القبائل الخمس العظام النازلة في شمال افريقية ثم اجتازوا
سنة ١٠٦٨ جبل أطلس ليتوطنوا في نواحي مدينة أجة التي بين الجبال
والبحر الابيض المتوسط فنزل بهم قائدهم أبو بكر بالاجة أياما يسيرة ثم أسس
مدينة سماها مراكن ثم ولى الحكم خاله يوسف بن تشفين وكان تقيا
سياسيا ذا جلالة وقار وصفات قاهرة ألزمت الرعية بالطاعة ثم اختاره المرابطون
قائدهم فرتب خفراء كثيرة من عبيد اشتراهم من بلاد الأندلس وسواحل

بلاد غينة ثم سار بهم فآخذ مدينتي فاس ومكّاس من العرب والبربر (أى المغاربة) ثم اشتغل بعض عساكره بالفلاحة وبقي معه الاكثر فآخذوا على التوالى مدائن سبتة وطنجة وصالة التى التجأ اليها بنو حامد حين طردوا من مدينتي ملاءة وفاس فاعترف جميع المغرب بسلطنة يوسف بن تاشفين سنة ١٠٨٤ ميلادية

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى انتقال يوسف بن تاشفين الى اسبانيا﴾

لما اشتد الخطب بعرب اسبانيا هرع ملوك اشبيلية وباداجور وغرناطة الى يوسف بن تاشفين فاستجدوه على النصارى وأعطى له المعتضد ملك اشبيلية مدينة الجزيرة فارتحل وعبر البحر ونزل فى بحيت جزيرة اسبانيا سنة ١٠٨٦ بجيش جرار عمت بهم الحامسة والنشاط جميع بلاد الاندلس ونصروا فى عدة واقعات منها الواقعة المهمة التى عقدت فى جهة زلاقة

ورأى ابن تاشفين جبال السهول الاسبانية فتأقت نفسه لأخذها وأدرك منه الاندلسيون ذلك فانحلت بينه وبينهم عرى الاتفاق وأخذوا فى أسباب خيبة مقصده فانتز الفرصة الملكان الفدس السادس وستس صاحب ايلة اراغون حيث جمع ارجالا عاذا بها الى المحاربة فجال البطل سيد برجاله فى اقليم مرسية وأخذ سنة ١٠٨٧ مدينة اليد الحصينة وأخذ سنش مدينة هوسقة عنوة سنة ١٠٨٨ وأبقى الفدس حدود مملكته آمنة من العدوان عليها بل وجه من طليطلة عساكر خربت سنة ١٠٩٠ من البلاد الاسلامية الى شواطئ الوادى اليناع ولم يبق من سنة ١٠٩٠ الى سنة ١٠٩٤ فى جميع البلاد الاسلامية التى فى جنوب اسبانيا سلطنة غير سلطنة المرابطين الذين أخذوا مدن قرطبة وكرمونة وبينطة وممالك المرية وملاءة وغرناطة ونهبوا اشبيلية فسلم ملكها نفسه اليهم دفعوا لغوائل النهب ثم أخذوا مدن كزاطيورة ودنيا والنسة والجرف ولوزيتانيا ولم يبق على استقلاله الا مدينة مراغوسة سنة ١٠٩٤ وقد

ظهر أن السير الذي سلكه ابن تشفين لم يكن لتعصب ديني حيث أبقى
 سنة ١٠٩٥ القائد النصراني المسمى سيد يتوطن برجاله في مدينة والنسة
 ونفرغ من الحرب للتمتع بالملاذ فأخذ ينتقل من قرطبة الى مراکش ومن
 افريقية الى بجيت جزيرة اسبانيا غير مهتم بما حصل للدين الاسلامي من الخطوب
 وعرب اسبانيا مهتمون في اعدام تصرفه المطلق الذي انقذه عليهم فاتفق جمع
 من الولاة بنواحي مدينة والنسة وشيعة زوجة القائد سيد على المدافعة
 عن هذه المدينة التي افتتها زوجها هذا هو السبب في بقاء والنسة بأيدي
 النصارى سنة ١٠٩٩ لاجيش المرابطين فقد هددوا شيعة بالتغلب عليها
 ثم مات سنة ١١٠٧ رئيسهم يوسف بن تشفين الذي تحصل من الخليفة العباسي
 ببغداد على تقليده حكومة اسبانيا لينفي به عدوانه عليها حيث كان ياذن الامام
 خلفه ابنه علي في هذه السنة ونصر في واقعة او قلس على الفنس السادس لكنه
 دهم أهل الاندلس وملك سراغوسة الذي ضعف حاله بدهمات المرابطين وعساكر ملك
 اراغون ثم انضم كوالده الى النصارى الذين استولوا سنة ١١١٨ ميلادية على مدينتي
 قلعة اجود وداروكة وكان كرسى مملكته مدنة قرطبة التي عامل من معه من
 المرابطين أهلها معاملة أمية مغلوبة لامعاملة الاخوة الاسلامية فعصى أهلها
 سنة ١١٣١ ولم تكده عساكره تكفي في الزام أهل هذه المدينة الطاعة له
 الا بغاية الجهد ادخل في بجيت جزيرة اسبانيا قبائل جة من أهل افريقية
 واعطاها اسلاب واملاك القبائل العربية القديمة التي كانت في بجيت تلك
 الجزيرة فجدد ما كان سببا في تنازع قبائل العرب في آسيا وقبائل العبدارية
 من ضروب البغضاء التي نشأ عنها عود المسلمين باسبانيا الى الحروب الداخلية
 وانقسامهم الى عسكريين متعادين وخلفه ابنه تشفين سنة ١١٤٤ فسلك
 مسلكه في تزعزع الحكم واضطرابه

المبحث السادس

في تجديد ملوك النصارى الحرب مع المسلمين بإسبانيا

كان النصارى منذ غارة المرابطين لا يعدون على المسلمين بل يدافعون عن بلادهم حتى كان هذا التنازع بين المسلمين فعادوا إلى قتالهم واضطرب جميع أوروبا بعظيم حركة الحرب وهرع إلى إسبانيا من الشواليسة (الفداوية) جم غفير لمساعدة النصارى وأدى كل من (ريمند البرغوني Raymonde de Bourgoe) (وهنرى البرنسوفى Heuri de Besancon) خدما حربية شكريهما عليها الملك الفنس وزوج ريمند ابنته الاميرة أوراقه وهنرى ابنته الاميرة طيريزه وأعطى هنرى جميع ما فتحه من ايلة لوزيتانيا صداقا لطيريزه ولبت ريمند يؤمل ان تكون له السلطنة على بلاد قسطيلة وليون

وكان نصارى إسبانيا سنة ١١٢٠ ميلادية حاكين على البلاد الممتدة من طليطلة إلى نهر ابرة ثم أغار الفنس صاحب ايلة اراغون على مدينة والنسة وغلب المتعصبين عليه من الولاة الافريقية وفتح سهول الاندلس ودخل تحت ألوته العرب الذين كانوا في نواحي غرناطة وكانوا اثني عشر ألفا ثم أغار على مملكة مرسية سنة ١١٢٥ ونهب ما في خلوات غرناطة وأخذ معه من العرب كثيرا فوطنوا في مدينة سراغوسة وقد أمر ملك المرابطين عساكره ان يقبضوا على النصارى الذين في حدود البلاد الاسلامية ويستبوههم في داخلها ففعلوا أكثر من ذلك حيث ألزموا النصارى المتهمين براسلة العدو أن يبيعوا أملاكهم ثم نقلوهم إلى بلاد افريقية (المغرب) لكن الفنس ريمند ملك قسطيلة وليون لم يخف من ذلك بل أغار سنة ١١٣٣ بجيش عظيم على بلاد الاندلس فحرب ضواحي اشبيلية وقادس واستحق بغزواته وتوسطه بين ملكي نواره واراغون تلقيبه بالامبراطور (ملك الملوك) وكذلك الملك هنرى غزا جهة الجرف فجمع ولاية مدائن باداجوز وبجا واقورة والواز رجالا وقتلوه فهزمهم قرب هضاب أوريقه فتأيدت شوكته وتسلطن على تلك البلاد

* المبحث السابع *

﴿ في ضياع جزيرة صقلية من المسلمين وطردهم منها الى المغرب ﴾
سكن الشوالية النرمنديون ومنهم روبرت جسقارد وأخوه روجير في كتيه (امارة)
أورسة (بفتح الهمزة وكسر الواو) وامارة قابو وأنشؤا في جنوب ايطاليا مملكة
مستقلة مع معارضة كل يابا برومية المدائن واليونان والالمانيين ثم رأى جسقارد
وروجير تنازع الامراء الخمسة حكام مدائن بالرمة وبيرا فيزه ومسينة وتراباني وياتي
فعبرا بونغا جزيرة سيسيليا سنة ١٠٧٤ ميلادية فتدخل بين هؤلاء الامراء ووجير
ثم ترك صفوف المسلمين وجع لديه نصارى الجزيرة سنة ١٠٧٨ وحارب المسلمين
زمننا طويلا لم يدم فيه أخوه فاحتفى في مسينة وأخذ يدافع عن نفسه وكاد أن
تقتله العساكر التي بعثها الزيريون من افريقية ثم أتى أخوه جسقارد بالمدد
فغير صورة الاحوال التي كانت فانقاد له مدينتا قطانة وبالرمة وقهر جيش
المسلمين سنة ١٠٧١ فثبتت سلطنة النرمنديين على جزيرة سيسيليا وخافوا ان
يذهب ما فيها من العرب والمغاربة بالعلم الفلاحى والصناعى الذى حقق لهذه
الجزيرة العز والرفاهية فجادوا على من بقى فيها بامور كثيرة ثم أراد روجير أن
يسلب سلطنة العرب على البحر الابيض المتوسط فتبع أثرهم أولا على صخر
جزيرة مالطة التي خفق عليها علمه سنة ١٠٩٨ ثم هدد ولده روجير الثانى
بلاد افريقية واستولى من سنة ١١٢٥ الى سنة ١١٤٣ على الجزائر التي
يقرب سواحلها وظهر بجيشه سنة ١١٤٧ أمام مدينة طرابلس زمن اتقاد
المشاجرات بين الزيريين فأخذها ثم أخذ مدائن سفكس وسوس ومهدية وقبروان
وتونس سنة ١١٤٨ فترك الزيريون هذه المدن فى أيدي النصارى وفروا
الى داخل البلاد وبذلك يعلم ان الامة الاسلامية كانت وسط القرن الثانى
عشر فى حالة انحطاط كلى بالمالك الغربية وان حكمها على البحر الابيض
المتوسط وجزائره قد ضاع فرجعت الى اسبانيا التي كان تأخر زوال الدولة

(٣٣ خلاصة تاريخ العرب)

الاسلامية منها نتيجة سلطنة المرابطين بها الذين لم تخرج سلطنتهم عنها ولم يشرعوا في غزوة بحرية بالبحر الابيض المتوسط خلف جزائر بليارة التي انتهبوها سنة ١٠٩٦ من وال أندلسي ولم يأخذوا جزيرة قنيطرة ثانيا من أهل مدينة ونديق التي أخذوها من المسلمين وظهر بعد هؤلاء المرابطين حزب ظهر من براري المغرب فنهجوا نهجهم وأعادوا لدين الاسلام رونقه يسيرا من الزمن

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في ظهور الموحدين بدل المرابطين وتحكمهم في بلاد كثيرة بشمال﴾

﴿افريقية (بلاد المغرب)﴾

اعلم أن بعض الاقوام المنقادين لرجال قبيلتي لمطونة وجودة الملقبتين بالمرابطين كانوا يرونهم بعين الحسد وبشتون ان يحوزوا لانفسهم مثل ما حازوه من الاموال وقام بتنجيز ذلك رجل يسمى محمد بن عبد الله أحد أصاغر الخدم بمسجد قرطبة اطلع في صباه على مبادئ العلوم ثم سار الى بغداد فاخذ فيها العلم عن الامام الغزالي وفهم ما يمكن ان تناله العلماء من التصكم بالعقائد الدينية على حكومة الامم وجاء المغرب لنشر عقيدة أستاذ الامام الغزالي فنزل عراكش وشرع بمحض قوة فطنته في زوال سلطنة المرابطين فاخذ ينتقد كل ما رآه من رؤسائهم مغاير لما أمر في القرآن باتباعه وسب نساء علي بن تشفين لخروجهن سافرات الوجوه فطرد من مراكش فأعلن الأمة ان هذا أو ان احياء الآداب الدينية وأنه المهدي الجديد المعيد للفضائل والعدل واستصحب رجالا ذوي همة أخذوا ينصحون وينذرون فهرع جم غفير من مراكش وأجعة الى استماع نصيحهم وانذارهم مستحسنين قصدتهم تجديد دين الامة ثم رأى هذا الرجل كثرة حزبه وخوف ملوك تلك البلاد منه ووقوع أبصارهم عليه فرحل الى بلدة تمنال باقليم سوس وضم اليه رجالا لقبهم بالموحدين وأمرهم ان يبنوا بذلك المحل قلعة لا يمكن العدو الهجوم عليها وجعل أمور هذا

الحزب

الحزب شورى بين عشرة من أفطن تلامذته أجملهم رجـل يقال له عبد المؤمن
وبين سبعين رجلا ثم انضم اليه أعداء المرابطين ومنهم قبائل حنطوطه وهرجة
وجدموية ثم وجد حزبه كافيا في بلوغ مراده فبدأ سنة ١١١٣ في محاربة
المرابطين ونصر عليهم في ثلاث وقائع ثم حاصر سنة ١١٣٣ مراكنس التي
هى مركز شوكة عائلة المرابطين في الاقاليم الشمالية من افريقية فنصر في بعض
وقائع ثم غدر به وسفل دم كثير من عساكره سنة ١١٣٥ وبلغ به الخطب حد
اليأس حتى ترك دعوى العظمة فابتكر له تلميذه عبد المؤمن وسائل حربية جديدة
وأخذ يثير الحية في قلوب الرجال حتى جبر سنة ١١٣٥ جميع الخسارات فصح
رأيه على العود الى الحرب وعهد اليه شيخه بالخلافة ثم توفى بعد أربعة أيام فقام
بإعلاء الخلافة التى هو حقيقى بها فانه كان متعودا أكثر من شيخه على الحرب
وقيادة الجيوش مجبولا على عظيم المواظبة وأكد النية تام الجلالة والاعتبار
بختراع المقاصد التى تعد من قبيل المجاوفة فينفذها ففرح به الموحدون وتحقق
لديهم ما أملوه فيه بتحصيله فى زمن يسير مملكة تفوق مملكة المرابطين بكثير حيث
أدخل تحت حكمه جميع القبائل الممتدة من مدينة قنقال تحت بلاد المطيعة الى
مدينة صالة ثم أخذ بلاد فاس وبلاد طاسة سنة ١١٣٧ ثم سار الى تلمسان الباقية مع
مدينة عران وبعض أقاليم مجاورة لمراكش بيد تشفين بن على رئيس المرابطين
فصف عساكره بقرب تلمسان على هيئة شكل مربع مركب من أربعة صفوف
صف متسلح بالمزاريق الطوال التى تركز فى الأرض مائلة وهو أشجع الصفوف
وأولها وصف متترس بالتروس الحامية من نبال الأعداء وصفان رماة بالقسي
ورماة بالمقاليع وهما وراء الأولين وبين هذه الصفوف خيالة تشب على العدو
من منافذ ثم تدخل فى ذلك المربع فتلتهم المنافذ وأخذ يقاتل بهم على هذا
الوصف حتى هزم جيش المرابطين وهم أكثر من جيشه وفر رئيسهم تشفين الى
تلمسان ثم الى عران فصادفته نكبة مات بها سنة ١١٤٥ ميلادية ثم انقاد لعبد المؤمن
مدن وقاومته مدينة حصينة ير بها نهر فجعل له جسرا متينا حتى ارتفعت مياهه

تم أزال ذلك الجسر على حين غفلة فاسقطت المياه أسوار المدينة على ما قاله بعض مؤرخي الاسلام ولم يبق بيد المرابطين بعد هذه الحوادث الا مدينة مراکش سنة ١١٤٦ فآخذها عبد المؤمن عنوة

وقد أمره شيخه المهدي ان يضم المسلمين الذين في الجهات الغربية من الدنيا الى بعض تحت حكم رئيس واحد ويجعلهم ذوى افكار واحدة فادخل تحت حكمه من سنة ١١٤٦ الى سنة ١١٥٨ مدينة سبلمش وقبائل بين مدينتي عران وتلمسان وأزال من بقى من عائلة بنى حماد فانضموا الى الزيريين المنجازين الى الصحراء ورأى النصارى الترمنديين الممدوحين لديه بالشجاعة متوطنين بافريقية منضمين الى ملوك بجاية لتلايعد وعليهم فأمر بالسفر من مدينة صالة صباحا فضرب طبل عمقه خمسة عشر ذراعا يسمع صوته من نصف مرسالة وسار الى تونس وسط السهول التى بساحل افريقية الشمالى محفوفاً بقواد الرجال وأكابر المشايخ راكبين خيولا بسروج مرصعة ذهباً وفضة بأيديهم سمريات كعوبها من عاج ومجديدها رايات وأربطة ذوات ألوان ووراءهم المويسقيون بالآلات المطربة كالآلأواق والكاسات والجيش يسير الى الظهر ويستريح الباقي وهو أربعة أقسام لكل منها علم ومهمات ودواب مخصوصة يقف كل عند الوصول الى المعسكر فى أسرع وقت بموضعه على حسب رتبته معه زاده وما يلزمه ثم حارب بهذا الجيش الترمنديين فآخذ من ابتداء سنة ١١٤٨

على التوالى مدائن تونس وطرابلس وسفكس ومهدية وقابس وقبروان ومدنا أخرى ثم صد عدوان قبائل الصحراء الممتنعة من تأدية الخراج المضروب عليها وصد ملك جزيرة سيسيليا الذى كان يود الى سنة ١١٨٠ أن يعيد اليه ما آخذته المسلمون منه ولم يرجع عن مقصده الا بعد شروط عقدتها مع خليفة عبد المؤمن ثم طلع من جزائر بليارة رئيس من المرابطين رجال نزل بهم قريبا من بجاية سنة ١١٨٤ فلما بجاية وقابس وسفكس وذكر فى الخطبة اسم خليفة بغداد العباسى قصده هؤلاء الموحدون وأعادوا اليهم ما آخذوه من المدن واقتفوا أثره

في كل جهة حتى جزائر بليارة التي أدخلوها تحت حكمهم سنة ١١٢٥ ودهم صلاح الدين الايوبي هؤلاء الموحدين سنة ١١٧٣ قفطح طرابلس ولم يتقدروا على الانتقام من الايوبية لكونهم أعظم ملوك المشرق شوكة

﴿المبحث التاسع﴾

﴿في خروج المسلمين باسبانيا على الملوك المرابطين﴾

دهم الموحدون في أقاليم المغرب المرابطين الذين هجزوا عن بعث مدد الى والي مدينة باداجوز ووالي مدينة الواس فوثب أهل الاندلس على الرؤساء الذين نصبهم على بن يوسف ونصر الفنس هنريقة في واقعة أوريقه على المرابطين سنة ١١٤٣ وخرب الملك الفنس الثالث ملك قسطيلة وليون مدينتي اندوجار وبائظه خلف نهر الوادي البانع وجبال سيرا مورينة سنة ١١٤٦ ومدينة قاطراوة سنة ١١٤٧ وحاصر مدينة المرية في البحر ثلاثة أشهر ثم أخذها ولم يمكنه أخذ قرطبة وحاصر ملك البرتغال مدينة لسبونة وانفتح له بخذها طريق الى الجرف وأمكنه السفر في نهر التاج فسافر فيه بمساعدة سفن المقاتلين من الانكليز والفلنك التي ألقت مراسيها في مصب ذلك النهر سنة ١١٤٧ وخرب سنة ١١٥٢ نواحي قرطبة التي هجز الفنس الثالث عن أخذها

ولو جدد عرب اسبانيا وحدة لحكومتهم وجعلوا لوسانلهم الحربية مركزا كبيرا لا يمكنهم مقاومة النصاري الا انهم لم يتفكروا الا في عصيان ملوك المرابطين لافي اختيار ملك آخر فطمعت الى منصب السلطنة سنة ١١٤٤ أنظار أهل المدن المعبرة كرسية ووالنسة وغرناطة واشبيلية وقرطبة وغيرها فادعى كل هذا المنصب بلا حق وانفصل عن الآخر فذهب المرابطون من اسبانيا سنة ١١٤٦ فتوطنوا في افريقية وجزائر بليارة تاركين بالاندلس جيشا ضعيفا تحت قيادة عبد الله بن غانية الذي اتحد بالنصاري وبعث الى بلاد القصبة عساكر قليلة حققت له حكم غرناطة ثم أخذ مدينتي قرطبة واشبيلية حتى جاء

عبد المؤمن بالموحدين الى اسبانيا فقتل ابن غانية الذي لم يبق بعده للرابطين
أثر في بحيث جزيرة اسبانيا

﴿المبحث العاشر﴾

﴿في غارة الموحدين واستيلائهم على اسبانيا﴾

كان باقليم الجرف من اسبانيا وال متحزب للعقيدة الدينية التي نشرها الغزالي
وتلميذه محمد بن عبد الله دعا هذا الوالي الموحدين الى الغارة على اسبانيا فبعث
عبد المؤمن جيشا فتح جزءا عظيما من اقليم الجرف وأوقف سير ملك البرتغال
النصراني سنة ١١٤٧ ثم جيشا آخر حارب من سنة ١١٥٢ الى سنة ١١٥٦
مدينة المرية وأخذها من الفنس السابع وجيشا ثالثا فتح من سنة ١١٥٦
الى سنة ١١٦٠ غرناطة والبلاد الممتدة الى الوادي اليانغ وكذا مدينة
والنسة من ملكها المعاهد للنصارى والمستولى على جميع ساحل اسبانيا
الشرقى ثم قاوم أهل والنسة عبد المؤمن وأخرجوها من حكمه ثم مات
وخلفه ابنه يوسف فبدأ بقتالها قبل محاربتة نصارى اسبانيا وأخذها بعد
قتال شديد من عرب الاندلس الذين أبدوا في المدافعة عنها أعظم بسالتهم في
واقعة الغلاب وكذلك أخذ مدينة مرسية فانقاد له من سنة ١١٦٥ الى سنة
١١٧٣ ولاية دنيا واليقنطة ومدن أخر

﴿المبحث الحادى عشر﴾

﴿في محاربة الموحدين نصارى اسبانيا وفيما كان من الشوكة﴾

﴿للا ميرين يوسف ويعقوب﴾

مكث الموحدون مقتصرين على منع غارات النصارى على البلاد والمدن
الاسلامية حتى كانت الحوادث المذكورة أخيرا فارادوا محاربة النصارى
فوجدوا مملكتى اراغون وقطالونية متحدين ومملكتى قسطنطية وليون منفصلتين
بعد موت الملك الفنس وان ملك البرتغال أشد موالئ النصارى بأسا على
المسلمين

المسلمين حيث لم يزل يوسع مملكته غير مرید وضع السلاح فوجه الامير يوسف اليه جميع جيوش الموحدین فاخذ طراغون من أهل اراغون ثم سار بجيوشه الى مدينة سنترام المستولى عليها أهل البرتغال سنة ١١٨٤ وحاصرها فوثب عليه أهلها فقتلوه وهزموا جيشه خلفه ابنه يعقوب وهجم على تلك المدينة وملكها وأخذ بثأر والده وحاز لعظيم فضله كسالفه يوسف وعبد المؤمن مملكة رحبة ممتدة من طرابلس في شواطئ نهرى ابرة والتاج ثم أخذ من سنة ١١٨٤ الى سنة ١١٩٥ يحارب النصارى الاسبانيين وسار بجيش عرمرم دهم به الملك الفنس الثالث قرب مدينة العرقوص فهزمه وأسر منه عشرين ألف رجل أطلقهم سنة ١١٩٥ وأخذ بهذه النصر مدائن قلاتراوة وغواد القصاره واسقالونه ومدرید ثم اجتهد سنة ١١٩٧ فى أخذ طليطلة ولم يقدر فتسلى عنه بذبح سكان مدينة سلامنقه ومروره بمن ممالك قسطيلة وليون مع ائتلاف البرتغال كل ماقدروا عليه بالسلاح والنار

وقد جدد هؤلاء الموحدون لاسبانيا الرونق الذى كان لها زمن الأموية فقد جدد كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب حب التزين والاعیاد الفاخرة وحاموا عن العلوم والصنائع وعملوا بالشريعة الاسلامية وأسسوا مدارس عامة وأخرى للشبان وغمروا بعبادتهم علماء الاسلام واشتهر فى زمنهم بالطب والفلسفة وقرض الشعرا بن رشد وابن زهر وأنشأ الامير يوسف باشبيلية عمارات فاخرة ومسجدا وقنطرة من سفن على نهرها وأصلح اسوارها وأوصل إليها مياهها غزيرة فى مجار أنشأها مع رصيفين بنهر الوادى الكبير وأسس يعقوب لتخليد ذكر نصره فى واقعة العرقوص مسجدا ارتفاعه ٧٢١ قدما متوجا بكرة حديد مذهبة قيمتها مائة ألف دينار موضوعة على قائم زنته وحده عشرة قناطير ثم أزيلت تلك الكرة وبقي من هذا المسجد الى الآن برج زيد فى ارتفاعه ٨٦ قدما ونصب عليه تمثال جسيم بهيئة دالة على الايمان (فى علم الرموز الاصطلاحية) وأنشأ هذا الامير أيضا فى جميع جهات مملكته مارستانات للرضى وتكايا للفقراء

والجرحى في الحرب وحفر آبارا في الصحارى وخانات في الطرق للمسافرين وزاد
مرتبات القضاة والفقهاء للاستعانة بالقضاة على فتن الاغنياء وعصيانهم وانفراد
الفقهاء للاشتغال بالشريعة

﴿المبحث الثاني عشر﴾

﴿في مقاتلات بعد السالفه وفي واقعة طولوسه وزوال سلطنة
الموحدين من اسبانيا﴾

استفاد عرب اسبانيا من نصره الموحدين هذوا لم يقدروا على ايجاده وانقادوا
لهؤلاء الموحدين لاطهارهم بذل نفوسهم في مصلحة الدين باذلال ملوك النصرانية
الذى قام به الامير يعقوب حتى مات خلفه ابنه محمد الناصر في الجلاوس على
كرسي السلطنة سنة ١١٩٩ فغزا جزائر بليارة سنة ١٢٠٥ وهو يستعد
لمحاربة النصارى من منذ تسلطن حتى رحل سنة ١٢١٠ من حراكش دار
اقامته بجيش قال بعض المؤرخين انه ستمائة ألف رجل من خمسة أقسام برابرة
ومغاربة ومتطوعة من سائر الجهات وموحدون وعرب اسبانيا فحل بالنصارى
رعب أذكهم مصائب واقعة العرقوص والتخريبات التى أعقبتها فتعالت جميع
ملوكهم على التعاون على المسلمين وشهر البابا اينوسان الثالث الاستنفار الى
الغزو وأخذ روبريخ رئيس أساقفة طليطلة ير فى ايطاليا وفرنسا وينشئ
خطبا يحث فيها الفرنج على محاربة المسلمين وبعث الى الفرنج الساكنين بشرق
أوروبا يرجوهم المساعدة وحضر الى اسبانيا بعدد كثير واجتاز جبال البرينات
الى اسبانيا ٤٠٠٠٠ نصراني ثم اجتمع الفريقان فى سفح جبال سيرا مورينسة
بالسهول المسماة لاس نواس بقرب مدينة طولوسه فنشر الامير محمد
أمام صفوف عساكره علما أجر محاطا بسلسلة حديد موكلا بخفارتة نخبة
جنوده الذين وقف أمامهم باحدى يديه سيفه وبالاخرى القرآن الشريف
المشقل على آيات الثواب الايدى فأثار بهذا الوقوف أعظم الحماسة
والحمية

والجيسة في قلوب جنوده الذين فاقهم النصارى في الجيسة وحسن التدبير حيث وثب سنش ملك ثواره فقطع سلسلة الحديد وهزم الخفراء سنة ١٢١٢ وأخذت من المسلمين مدائن طولوسة وبليش وبائظة وعبيدة سنة ١٢١٣ ومدينة القنطرة سنة ١٢١٦ وبعض مدن في إقليم الجرف قال بعض المؤرخين استشهد في واقعة طولوسة المسماة يوم العقاب نحو مائتي ألف مجاهد ولكن لانجكم به بل بالنتائج التي يعرف منها قدر أهمية الواقعة من اضمحلال مملكة الموحدين وانقطاع محاربتهم بعد ذلك للنصارى الذين قوى سلطانهم في اسبانيا بهذه الواقعة التي عاد منها الأمير محمد الى مراکش نفع السلطنة على ولده أبي يعقوب وهو غير كفؤ لها فأبت طاعته حكام أقاليم اسبانيا وافريقية ثم توفي سنة ١٢٢٣ فانفقدت نار الشقاق الداخلي الذي كان سببا في زوال دولة الموحدين ولبت النصارى مشغولين عن المسلمين بشقاقهم الداخلي منذ واقعة طولوسة حتى انقطع هذه السنة بفلس فيها أحد الملوك جاك (يعقوب) الاول وفرينند الثالث على كرسى مملكة اراغون والاخر على كرسى مملكة قسطنطية وولاية والنسة وطليلة واشبيلية ومرسية معلنون بالاستقلال بالحكم وموقدون لنيران الحرب بينهم مع التنازع بين ذرية الملك عبد المؤمن في إقليم الاندلس

وكان أرباب المشورتين اللتين انشأهما المهدي سابقا متشوفين الى الاختصاص بالحكم فهددهم المأمون الذي شهر سلطنته سنة ١٢٢٧ حزب ذو قوة فعارضوه ونصبوا له قرينا وهو يحيى بن ناصر الذي مات في سهول صيدونية فقتل المأمون هؤلاء المشايخ وعلق رؤسهم على اسوار مراکش وألغى المشورتين ونسخ سياسة المهدي ومنع ذكره في الخطب وجعل من نجا من المشايخ نواب القضاة في الدعاوى الخصوصية وعامل أهل المغرب بقسوة أعدمتهم سنة ١٢٢٨ الميل الى العصيان وبالاندلس حينئذ من ذرية قديماء مالوك سراقطة محمد بن هود أثار لدى مغاربة اسبانيا بغضاء مغاربة افريقية وأخذ منهم جيشا جارا هزم به المأمون

قرب مدينة طاريفة سنة ١٢٢٩ وألزم المأمون الإقامة بمراكش وأخذ مدائن
 مرسية ودنيا وجزا طيورهم سنة ١٢٣٠ إلى سنة ١٢٣٢ وأخذ باسبانيا غرناطة
 وقرطبة واشبيلية ومريدة وأما والنسة فبيد جيل بن زياد قبل ذلك بكثير وما
 جاورها من البلاد بيد محمد بن الحمار واستقل إقليم الجرف بالحكم فلم يبق سنة
 ١٢٣٢ بيد الموحدين الا الجزائر البليارية وأخذ ملك البرتغال سنة ١٢٢٧
 مدينة الواس المجاورة للوادي البانع وهدم ملك ايلة ليون مدينة باذا جوز
 وتقدم فلان الى الوادي الكبير وبلغ الملك فريند الثالث وسط الاندلس وفتح
 قرب غرناطة مدينتي لوجه والجرء التي قرأ أهلها الى غرناطة فسكنوا منها
 خطة سموها باسم بلدهم الجرء وأخذت عساكر الموحدين تخرب في حدود ايلة
 قطالونيه فخارهم الملك جاك (يعقوب) الاول وهزمهم وأغار على جزائر بليارة
 فأخذ جزيرة مايورقة عنوة وانقاد له جزيرتا اويصة ومينوركة سنة ١٢٣٢ فعلم
 حكم الموحدين من اسبانيا هذه السنة وبقى حكمهم بعد ذلك في المغرب مدة
 اعترف فيها واليا تونس وتلسان بالاستقلال عن الموحدين

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ في انحطاط سلطنة العرب في الممالك الغربية وتحكم الدولة العلية على مدينتي ﴾
 ﴿ الجزائر وتونس وانشاء سلطنة الأشراف في مراكش من سنة ١٢٣٢ الى ﴾
 ﴿ سنة ١٤٠٩ ميلادية الموافقة سنة ٨٢٩ الى سنة ١٠١٨ هجرية ﴾

﴿ وفيه أربعة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في عصيان رعايا المغرب ملوك الموحدين وفي سلطنة عائلة أبي حفص ﴾
 ﴿ في تونس وسلطنة بني زيان في تلسان وبني مرين في مراكش ﴾
 كان بهزيمة محمد الناصر في واقعة طولوسة اضمحلال سلطنة الموحدين فقد
 عصت بها رجال اسبانيا وانحطت سلطنته بالمغرب الذي لم يدخل من ذلك
 الوقت

الوقت مع اسبانيا تحت حكم واحد لكن كان بينهما ارتباط به ساعد الاسبانيون قبائل المغرب اللاتي كافأهم على ذلك بالحكم الجورى فلم يقبلوا منها مساعدة الا مع الحذر نعم عبرت تلك القبائل بونغاز جبل طارق مرات من سنة ١٢٣٢ فعملت باسبانيا غزوات لم تنتج الا ظفر النصرى لشدة التثامهم وقد أبطل المأمون قوانين المهدي فأضر بملوك الموحدين وردفه خلفاؤه المجردون عن السياسة الاخذة بالباب الرعية فعصاهم والى تونس سنة ١٢٤٢ ميلادية واستقل بالحكم الذى استمر فى عائلته المعروفة بعائلة أبي حفص

وأسس بنوزيان سنة ١٢٤٨ فى مدينتى تلمسان والجزائر سلطنتهم الممتدة الى نواحي فاس ورفع أبو يوسف فى قبيلة بنى مرين ببلاد المغرب لواء العصيان وهدد الموحدين بالتغلب على مدائن فاس وطازة ومراكش وحاربهم من سنة ١٢٥٠ حتى نصر عليهم سنة ١٢٧٠ وانقاد له عرب المغرب وهم البرابرة القاطنون بغرب افريقية وقد بقى الحكم متوارثا للحفصية بتونس والزانية بتلمسان والمرينية بمراكش من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر بعد الميلاد

ولا يمكن الآن ان نبين حدود تلك الممالك الثلاثة بغاية الضبط اليقيني بل الظنى فنقول ملك الحفصية الى نهاية أرض بجاية والزانية أرض تلمسان والجزائر والمرينية جميع البلاد الممتدة من تلمسان الى الاقيانوس الاطلنطيقى وكان بين هؤلاء الملوك بحدود ممالكهم حروب توجب تغيرا كبيرا لكل مملكة هاجرت منها قبائل الى غيرها

ولضعف فائدة ذكر سلسلة هؤلاء الملوك وسنى توليتهم أعرضنا عنهما ملتفتين الى الوقائع التاريخية فنقول ان عيشة البدويين أقل الاشياء مواد لبسط القصص التاريخية ومع ذلك مارفعوه من المدن الى درجة عالية من العز والرفاهية باق على ما كان عليه من الاهمية والرونق وقد افتخر أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وفاس ومراكش لدى الملوك الحفصية والزانية والمرينية بذكر علمائها

والمستثمرين من أرباب صنائعها كما افتقروا بذلك زمن الملوك الزيرية والخلفاء الاموية وقد نظم ملوك الأغلبية الذين كانوا ذوي شوكة في البحر الأبيض المتوسط جيوش لصوص بحرية أتلّفوا بلاد النصارى وأخذوا يخرجون من سفنهم من ميناء الاقيانوس الاطنتيقي وينحدرون بها في طول سواحل افريقية ويقربون من جهات مدارى الجدى والسرطان والتجروا من ذلك الوقت في الزنج والتبر والصمغ والعنبر ووصف عرب المغرب بمشاركتهم لغيرهم في المقاتلات التي بين ملوك افريقية من القرن الثالث عشر الى السادس عشر

وقد غلب المرينية الحفصية والزايانية وأدخلوا مدينتي تلمسان وتونس تحت حكمهم مرتين احدهما سنة ١٣٤٧ والاخرى سنة ١٣٥٥ ثم رجعا الى ملوكهما فبقيت تحت أيدهم

وشوهد في أغلب الازمان بالمغرب ملكان يتنازعان السلطنة في مدينتي فاس ومراكش تختي مملكتيهما وطمع في سلطنة بني زيان بتلمسان امرأ ذو وقوة مستولون على مدينة الجزائر وتوابعها وأمام ملوك تونس فكانوا ذوي شوكة تامة لم ينازعوا في سلطنتهم بل أخذوا طرابلس من المماليك البحرية الذين خلفوا الأيوبية في السلطنة المصرية

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في استغاثة عرب افريقية بملوك الدولة العلية على ملك فرنسا وملك

اسبانيا والبرتغال المغيرين على بلادهم وفي الممالك البربرية﴾

كان العرب الذين ملكوا أفريقية وتوطنوا فيها لم يتفكروا بعد ذلك في نصرة الاسلام وما قيل من مدّهم أيدهم على عرب اسبانيا فما قصدوا به الا جمع قبائلهم لاتجديد مقاتلات لعودتهم بالتدريج الى ما كانوا عليه من المعيشة بالبيداء حاملين ولذا لم يبارزوا الملك ماري لويز حين قاتل المسلمين سنة ١٢٧٠ ولم ينتهزوا الفرصة بقطع دابر الفرنج المقاسين الامراض وشدائد القحط تحت اسوار تونس ولم يدهموا جيش الفرنج حين موت ملكهم الذي فترهتهم

بل

بل أمضوا مع كرلوس دنجو ملك الصقليين معاهدة التزموا فيها ان تدخل متاجر الطليانية والفرنساوية بلاد المغرب بلا جرك من غير أن تعافى من ذلك متاجرهم المذهبة الى بلاد الفرنج وان يبيعوا للنصارى العبادة الكاثوليكية بالبلاد الاسلامية

وقد فتح نصارى اسبانيا والبرتغال مدنا اسلامية مشرفة على بونغاز جبل طارق من جهة افريقية والبادئ بذلك البرتغال فانهم لما ملكوا اقليم النجوع والجرف المحصورين بين مملكة قسطنطينة أملاوا جوب الاقيانوسية والبحار لحوز الاموال والشوكة فأخذوا سنة ١٤١٥ مدينة سبتة وأخذت منهم في عهد ملكهم ادوارد ثاني ملك من عائلة ملوك براجنسة ثم أعادوها اليهم برهنهم ولدا قاصرا من العائلة الملوكية ثم أخذ الفنس الخامس من سنة ١٤٣٨ الى سنة ١٤٨١ مدينتي طنجة وارزيلة ولم يتفكر البرتغاليون في توسعة فتوحاتهم بتلك الجهة المغربية بل شرعوا في استكشافات بحرية طويلة وبعثوا سفنا بلغت جزيرة ماديرة وجزائر أصورة وجزائر الراس الاخضر وقربوا من رأس عشم الخير الذي في الجنوب الغربي من افريقية وقد حلوا في مدائن طنجة وسبتة وارزيلة ووضعوا أيديهم على بونغاز جبل طارق (الفصل بين المغرب ومملكتي اسبانيا والبرتغال) فتعوا المواصلات بين المغرب واسبانيا وأنزلوا المصائب عن في بحيث جزيرة اسبانيا من المسلمين الذين أراد نصرتهم أحد ملوك بني مرين في واقعة ريو (نهير) سلاو سنة ١٣٤٠ والملوك الكاثوليكية لم يفكروا اذذاك في حرب أهل افريقية ثم استولوا المينيات العظيمة التي على البحر الابيض المتوسط فأكثر من سفنهم البحرية وجالوا في بلاد المغرب بعد زوال مملكة غرناطة وسافر ديجو القرطبي من ميناء مدينة ملقاسنة ١٥٠٤ فاستولى على عدة مدن بين مدينتي سبتة وعران وعلى مدينة بنون وقيلتس ومدينة المرسى ومدينة والس وغيرها من المدن وغزا بلاد المغرب بعد سنة ١٥٠٩ النكردينال جزيمنيس وزير الملك فردينند صاحب مملكة اراغون ولم يدهم بني واطان وهم

الفرع الثاني من بني مرين ملوك مراکش بل سار بازاء ممالك بني زيان المؤلفة من مملكتي تلمسان والجزائر فأخذ مدينة مهران فأبقى فيها عساكر محافظين وبعث بطرس النفارى سنة ١٥١٠ من جزائر بليارة الى بجاية فالزم ملك تونس بتأدية الجزية ولم يظهر من العرب والمغاربة المسمى أوتيمى لصا شهيرا من التفات لصعد عدوان الفرنج فترجى ملك الجزائر لصوص البحر يدعى هروج المتلانى ان يساعده فاجابه وجع جيشا خمسة آلاف رجل ثم تمكن من مدينة الجزائر سنة ١٥١٦ فأخذها وقتل أوتيمى ثم طرد بني زيان من تلمسان وصعد عنها نصارى اسبانيا الذين وفد اليهم مدد سنة ١٥١٨ فقاتلوه حتى قتلوه وأخذوا تلمسان فاستولى على مدينة الجزائر خير الدين أخو هروج المشهور باسم بربروس وأسس حكمه في بلادها تأسيسا متينا ثم حصر نصارى اسبانيا المغيرين على عران ثم خاف من كثرة رجالهم ومن حركات العرب فرآى ان يدخل ممالكه تحت حماية الدولة العلية ويدخل عساكرها التركية غير المنتظمين في أقاليم افريقية حيث كان ذلك العصر أعظم أعصر سلاطين القسطنطينية التي كان بها اذذاك السلطان سليمان حاكم مصر وناضول واليونان والبلغار ومهدد مملكتي الفرس والمجر بالتغلب عليهما والمستعد لصعد الملك شريك كان كرلوس الخامس عن أقاليم افريقية ولذا الجأ اليه بربروس وتولى مملكة الجزائر نيابة عنه وأتى اليه من الدولة عساكر جاورا على العرب وجبروهم بالسيف على الطاعة ففقدت العرب الطباع الشريفة والهمم الكريمة واستبدلوا لباس العنقوان الطبيعى بلباس الذلة والمسكنة المضروبة عليهم الى أيامنا هذه

ودعا السلطان بربروس باشا لان يجعله قبطان باشا على السفن الحربية للدولة فأراد بربروس ابداء خدمة نافعة للدولة التي ميزته بهذه المرتبة فأخذ أميرا من الحفصية نازلا عنده بمدينة الجزائر معزولا عن ولاية تونس وساربه الى تونس مظهرا اعادة هذا الامير اليها مع اضمماره ان يؤسس فيها حكم الدولة العلية وعرف

وعرف السلطان باطنه فقلد محسوب بربروس حكم ايلة تونس ثم أمر باهلاكه
مرا واستولى بربروس على جوليطة وحصنها فعضته الاهاالى فاربهم حتى
انقادوا للدولة العلية

(المبحث الثالث)

﴿ في أواخر حروب نصارى اسبانيا والبرتغال مع المسلمين ﴾
اسف نصارى اسبانيا على صيرورة الممالك المغربية المسماة أيضا بالممالك
البربرية تحت يد سلطنة ذات شوكة متينة وعلم اللصوص البحرية الذين بالبحر
الايض المتوسط ان لهم بالمغرب محال يوزعون فيها البضائع والارقاء فلم يزالوا
على ما كانوا عليه أولا من توسيع دائرة صيالاتهم البحرية وارجاف أهل السواحل
الاسبانية والاطالية ولذا رأى شر لكان ملك اسبانيا وامبراطور المانية
ان يوقف تقدم فتوحات الدولة العلية فتعصب لعائلة أبي حفص واحضر
سنة ١٥٣٥ بمدينة كاليارى عساكر من اياتى نابلس وسيسيليا ومملكة بلجيقة ثم سار
بهم بحرا وخرج قريبا من قرطاجنة فاخذ حصن جوليطة من بربروس ثم أخذ تونس
فنهبت عساكره وأعاد المعزول عن السلطنة من الحفصية الى ما كان عليه بخمسة
شروط ان يكون نائباً فى حكمه عن سلطنة اسبانيا ويحمر رقاب الارقاء النصارى بلا
فداء ويبيع للنصارى ان يؤدوا أعمال دياتهم كما يشاؤون ويضع بحصن جوليطة
من نصارى اسبانيا عساكر محاطين يؤدى لهم اثنى عشر الف محبوب من الذهب
لمؤنتهم وتكون جميع مميزات مملكة تونس تحت يد شر لكان الذى أعطى اذ
ذاك طرابلس الى شوالية ما رى حنا القاطنين بيت المقدس الذين طردهم
العثمانية من جزيرة رودس ولم توقف تلك الغزوة سير ما كان بالبحر الايض
المتوسط من صيال أهل المغرب مع بقاء حكم الدولة على الجزائر التى ولها
حسن أغا خليفة بربروس واجتهدوا فى تقوية ذلك الصيال ومنع جميع التجارات
التى بين بلاد الجزائر وبلاد سواحل ذلك البحر وألزم أهل السواحل من ايطاليا

أوسيسيليا ان يضعوا عساكر بتلك السواحل لصد غارات سكان المغرب
بجهاز شر لكان سنة ١٥٤١ سفنا حربية لفتح الجزائر فكانت رياح كسرت
سفنهم الا قليلا فاعادت الدولة اليها تلك الأقاليم الغربية وبعثت سفنا أخرجت
شوالية القديس حنا من طرابلس سنة ١٥٥١ وولت عليها رجلا شهيرا يسمى
دراغوت الذي حاز سنة ١٥٦٠ نصرة أخرى على النصارى بالبحر الأبيض
المتوسط وحضر دون جوان النمساوى الى حصن جوليطة بعد واقعة لينته
فأخذ تونس بلا ممانع ونأى عنها سنة ١٥٧٢ فسارع اليها سنان باشا من طرابلس
وأعاد فيها حكم الدولة العلية التي ثبت لها من ذلك الوقت الحكم على مدينتي
تونس وطرابلس ثم همت النصارى بأخذهما من الدولة العلية في عهد الملك لويز
الرابع عشر فصد أهل مدينة الجزائر دوق دى بوفرت سنة ١٦٩٥ والمركي
دومر تل سنة ١٦٧٠ وأطلق القل على هذه المدينة القبطان دوقسن من سنة
١٦٨٢ الى سنة ١٦٨٩ وماريشال اسبانيا من سنة ١٦٨٨ الى سنة ١٦٨٩
ميلادية وحل بطرابلس من النصارى في عهد الملك لويز الخامس عشر سنة
١٧٢٨ ماحل بمدينة الجزائر من الانتقام

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في بقاء مملكة مراکش على حالها وفي تسلم عائلة من الاشراف عليها﴾
بقيت مملكة مراکش مستقلة عن الدولة العلية فتولاها في القرن الخامس عشر
بعد الميلاد من بتي مرين الفرع الثاني منهم وهم الملوك الأوطارية ثم خلفهم
سنة ١٥٥٩ عائلة الاشراف المتسلطين عليها الا أن ابتكر واعظمة شأن هذه
المملكة ورتبوا في قوانينهم ان الذى يخلف السلطان بعد وفاته أخوه لا ابنه ثم
توفي الشريف عبد الله فتنازع السلطنة ولداه مولاي محمد الذى نصر أولا ونال
السلطنة حتى هزمه أخوه مولاي ملوك في ثلاث وقائع فذهب الى سيديستيان
ملك البرتغال فاستغاث به على أخيه ووعدته أموالا وأخبره أن له انصارا بمدينة
ارزيلة التي أتى اليها هذا الملك فلم يجدها أحدا وقد أعطاه الملك فيليبس الثاني
الخوذة

الخودة والدروع التي لبسها الملك شراكان (كرلوس الخامس) عند دخوله منصوراً مدينة تونس فظن نصرته مصمماً على نصب صليب النصرانية على مساجد فاس ومراكش ثم تبع بعض كُأُوب السلطان ملوك ففرت أمامه حتى بغلت القصر الكبير فحملت عليه الجيوش العربية وهزموه وغرق أحد هذين المتنازعين في السلطنة بنهر موقازن وتوفي الآخر بحمص مطبقة وقت النعام الحرب وبلغ ذلك رجال البرتغال فلم يجدوا غارات على أفريقية وتفرغ الاشراف ملوك مراكش لحسم الفتن الداخلية هذا ما كان في مراكش في ابتداء القرن السابع عشر من أحوال العرب الذين حاقطوا على ضروب من علو الشأن في مملكة هذه المدينة وأما من في الجزائر وتونس وطرابلس فكانوا تحت قسر جمع قليل من الأتراك يؤدون لهم خراجاً ثقيلاً لا يتجاسرون على الشكاية من ثقله ويشهر بعضهم السلاح على بعض باغراء هؤلاء الأتراك وكان من العرب قبائل قليلة مستقلة عن الدولة العلية ومنقادة لمن تنتخبه من المشايخ

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ في انحطاط دولة العرب بإسبانيا وطردهم منها ﴾

﴿ وفيه خمسة مباحث ﴾

﴿ المبحث الأول ﴾

﴿ في وقوع عدة ممالك إسلامية (من إسبانيا) تحت حكم ملوك النصارى ﴾

نعود الآن إلى ماسلف من تاريخ عرب إسبانيا فنقول لما أغارت الأهلالي على عساكر الموحدين المحاقطين بإسبانيا أوقعوا بهم أول نكبة وأخطبها لكونهم أما طوا عنهم جوراً يلزمهم أن يستعدوا عقبه لصدا النصارى بتجديدهم للحكومة مركزاً عموماً تبنى عليه المصالح العامة لكونهم عدلوا عن ذلك وأخذ كل ينظر في مصالحه الخاصة ولذا انقسمت الحكومة الإسلامية إلى عدة دول صغيرة مستقلة عن بعضها لم يكن منها ذات شوكة في الجملة إلا مملكتا والنسة والجرو

(٢٥ خلاصة تاريخ العرب)

ومملكتا ابن هود ومحمد الحمار وكان ذلك التفرق مساعدا للفرنج على أخذهم عدة ممالك واحدة بعد أخرى فقد فتح چاك (يعقوب) الأول جزائر بليارة ثم شرع في فتح مملكة والنسة الذي اشتغل به سنة ١٢٣٤ عن تخليصه من تبيوط المنسوب الى مدينة شمپانية (بارض فرنسا) سلطنة بلاد فوارة التي يستحقها بطريق الوراثة وقد اتخذ ملك والنسة المسلم أعظم ما يكون من العزائم لحفظ مملكته التي أخذ ولائها بعد ذلك يبحثون عن استقلالهم وبيعون البلاد للنصارى ببعض اقطاعات فسلموا للاراغونيين من سنة ١٢٣٢ الى سنة ١٢٣٨ المدائن التي بضواحي والنسة التي حاصرها چاك الأول برا وبحرا حين لم يبق بها سوى الجنود وأخذ يشدد في حصارها حتى بايعوه سنة ١٢٣٨ على أن لا يضرب بأنفسهم ولا أموالهم ورخص لهم في الارتحال بالاموال وألزم من أقام ان يؤدوا له من الخراج مثل ما كان يأخذه ملك اراغون من رعاياه وهم بأخذ مدائن ويلنة ودنيا وكراتيوة ليأخذ بعد ذلك مملكة مرسية فسبقة الى تلك الجهات فريند الثالث ملك قسطيلة سنة ١٢٤١ وأقام بين الاراغونيين والمسلمين الذين بمملكة مرسية المنقسمة بين ولاية أقاليم مرسية واليقنطة وأوريجويلة وشذشلة والجامعة مع انتشار الغيرة والعداوة بين هؤلاء الولاة ولذا بادروا بالانقياد لهذا الملك مؤملين ان ينالوا منه أحسن ما يكون من المعاهدات نعم أبي الانقياد لهذا الملك والى لركة الحاكم على مدينتي موله وقرطاجنة ثم أخذ فريند هذه المدائن سنة ١٢٤٣ وضمها الى مملكة قسطيلة التي أوسعها سنة ١٢٣٣ بأخذه من حدود الوادى اليانغ الى الوادى الكبير بعد ان أبدى رئيس عسكره المسمى (الواريز Avar Brez) بشواطئ الوادى اليانغ البسالة التامة والهمة العالية ثم أخذ مدينتي عبدة واندوچار من ابن هود الذي كان يدهم بلاده محمد الحمار من ناحية وملك الجرو من أخرى مع انه كان محفوقا بجنود كثيرة من الموحدين الذين لم يقوهم على منع هاتين المدينتين من فريند بل لم يقدر على ضرب الحصار على قرطبة التي أغار عليها الاراغونيون زمن اغارتهم

على مدينة والنسة سنة ١٢٣٨ و قتل ابن هود وسط تجاهيزه الحربية فسلم المسلمون قرطبة معدن الفنون والزخارف الاسلامية الى فرينند الذى نصب الصليب على ما ذن مسجد ها الاعظم وبعث الى (Compostelle) نواقيس كنيسة مارى جاك التى افتتحها الحاجب المنصور وأخذ النصارى ينجسون محارب المساجد بلا ظهور حية اسلامية تصدهم عن ذلك ثم أخذ فرينند مدائن بايزه واستيه واسيجه والمودوقار وحاصر مدينة چان أو ياعان سنة ١٢٤٥ وهزم محمد الجمار أمام مدينة القالة أو القلعة فى واقعة أظهر فيها المسلمون أعظم الشجاعة

وسلك فرينند مسلك السياسة بتوليته محمد الجمار على جميع بلاده الرحبة الممتدة من حدود الجزيرة الى المرية بين جبل طارق وهو يسقه بشرط ان يؤدى له جزية كل سنة وجنودا زمن الحرب ويذهب الى المشورة التى تنعقد فى قسطنطية ثم حاصر فرينند ومعه محمد الجمار مدينة اشبيلية التى كانت كرسى سلطنة المرابطة والموحدين فقاومه أهلها زمنا طويلا لورود مدد اليهم من الوادى الكبير وعبورهم قنطرة من سفن على هذا النهر الى مدينة تريانة المشتملة على لوازمهم فجهاز فرينند فى جون بسقاية ومينيات اقليم جاليسه سفنا صغيرة استولى بها على مصب نهر الوادى الكبير ثم ألقى سفنا كبيرة كسرت تلك القنطرة بشراعتها فكان لاهل اشبيلية مجاعة سلموا بها المدينة الى فرينند سنة ١٢٤٨ بشروط توافقهم وأخذوا منه لبيع أملاكهم ميعادا أطول من ميعاد أهل والنسة وقد تيسر لهم بأخذ مدينة اشبيلية سرعة انقياد جميع البلاد التى على ميمنة نهر الوادى الكبير وجالوا حين استيلاء البرتغال على مدينتى لولة وأيامنته سنة ١٢٤٩ بسواحل البحر التى بين نهر الوادى الكبير والوادى اليانع جولة منتصر مؤيد فأخذوا مدنا بعضها للمسلمين

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى مقاومة محمد الجمار أنغر مقاومة وفى عظمة شان غرناطة﴾
ظن النصارى قرب زوال مملكة العرب من اسبانيا واذا محمد الجمار أبدى من

الفضائل مثل ما كان للوزير المنصور بتأسيسه مملكة أعدم ولايتها الاستبداد وأفهم رعاياها ضرورة الاتحاد ورد إليها من الغنى والثروة ما يشه العرب في بحيث جزيرة اسبانيا بحسن ادارة الفلاحة والصنائع التي سلك فيها الملك لويز الرابع عشر والملا قلبرت حيث أخذ يشير الغيرة والتنافس بين أهل الصناعات وبشوقهم الى اختراع لطائف بدفع مكافآت لمن أتى بشى من ذلك مع ترك تكاليف واجبة له عليهم فنجحوا في تلك الصناعات وبرعوا في نسج أقشة الحرير وغيره وكذا في البنيان براعة أهل قرطبة وكفى بقصر السباع المعروف بالجرء شاهدا على ما كان لاهل غرناطة من الغنى والمهارة في فن البناء مع ما لهم من الاجتهاد التام بعالم الفلك والطب والكيمياء والرياضة والنحو والمنطق

وأخذ هذا الملك يعمل بغرناطة أعيادا لتمثيل الوقائع الحربية وأعيادا لمناضلة الفرسان ومواسم لمقاتلة الأتوار وأخرى للتسابق ولعب أخذ الخاتم ويدعو أعيان الرعية الى الاعياد والولائم العظيمة ولم يكن ذلك نتيجة جوره بل رفاهية المعيشة في سائر الرعية ولذا كانت مدينة غرناطة كرسى مملكته مأوى المسلمين المتشتتين لكثرة خيراتها الجاذبة لجميع من لم يرد الإقامة تحت حكم نصارى اسبانيا وكثرت المهاجرة إليها حين أخذ الملك جاك يطرد المسلمين من مدينة والنسة سنة ١٢٤٩

ولم يزل ملوك غرناطة متواين الحكم بها من سنة ١٢٣٨ الى سنة ١٤٥٢ ميلادية محسنين ترقيةهم السياسى فقد رتبوا في كل بلدة خفراء منها وأعطوا جميع سكانها سلاطا يستعملونه حالة هجوم العدو فرفعوه مرات على ملوكهم الممتنعين من أداء واجباتهم الملوكية أو الذين لا يعيئون بمشاورة الامة وجعلوا للعساكر المحافظين بالشغور اقطاعات من الارض تكفيهم وعائلاتهم لتبعثهم على الوقاية من الأعداء وألزموا أنفسهم مثل ملوك الاقاليم المغربية بالقيام بما يلزم طوائف الفقراء من نصح المأكول والمشرب واكثروا في الاسواق المبيع الضرورى ورتبوا

في غرناطة التي دائرها أكثر من ثلاثة فراسخ ضبطية وفي كل ثمن منها ضابطا ورتبوا عساكر تدور ليلًا في الأديان التي لم يكثر طروقها وعملوا قوانين لزمّن إغلاق المحال العامة كالأسواق وخصصوا كل حرفة بطائفة وعاقب كثير منهم من أفرط في شرب الخمر وأمروا اليهود أن يتميزوا بعلامة من غير أساءة معاملتهم ومنعوا الربا في النقود وابتكروا في كتابة الحجج والصكوك طرائق واضحة تمنع المنازعة وشغلوا العلماء بتأليف رسائل في الصنائع العملية واتقادات الأئمة والفقهاء لقوانينهم النظامية بعد أن كانوا إلى زمن هذه السلطنة مطلق التصرف يفعلون ما شاؤوا وأحدثوا لتأدية العبادة قوانين تنهى عن كمال إيمانهم وعملوا أفسكارهم وشرف التأديب والتهذيب الديني منها انعزال النساء عن الرجال في المساجد وخروجهن قبل الرجال واكثار الطاعة في رمضان وتوزيع الزكاة والصدقات على الفقراء وأهلها أو إبقاؤها لتنفق في عمارات عامة النفع ومنع اجتماع الناس ليلا وإبطال النذب على الأموات عند دفنهم بقراءة أدعية على قبورهم ودفن الموتى عارين عن التمام وباقات الأزهار المعتادة قبل هؤلاء الملوك وكان المستعمل في قوانين العقوبات على الجحج والجنائيات الضرب بالسوط والنفي عن الأوطان وأشهار المذنب بوضعه على خشبة فاستبدل هؤلاء الملوك ذلك بحبس المذنبين في مكان يشتغلون فيه وأبطلوا رجم المذنبين وأمروا بدفن من يقتص منه بالقتل مثل دفن سائر المسلمين

وبما سلف يعلم أن مملكة غرناطة نظرا لما كانت عليه من الأمور الجليلة تستحق أن تعتبر في التاريخ من الممالك الشريفة لكن ساء حظها حيث لم يكن ثوارث سلطنتها مقررا على قواعد متينة فتمولاها بعد الملوك الجديرين بتعجب الأجيال المستقبلية من عدلهم وحسن سياستهم ملوك جبابرة ليسوا بكفو للسلطنة التي عجّلوا زوالها من بحيث جزيرة إسبانيا

ولنذكر سلسلة هؤلاء الملوك مع الانحاز فنقول تولى محمد الأول المعروف بالجار

من سنة ١٢٣٨ الى سنة ١٢٧٣ التي تولى فيها محمد الثاني الى سنة ١٣٠٣ التي تولى فيها محمد الثالث الى سنة ١٣٠٩ منع الاولان بحسن تديرهما مطلق التجار و على ما يخل بالنظام العام مع سعد جدهما بخلاف الثالث فكان دونهما في ذلك حيث أثار عليه أخوه نصار أبو الجيوش ساكني غرناطة وتولى بدله من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣١٣ فجبره اسماعيل بن عمه فرج من ذرية السلطان محمد الحمار على القلي عن السلطنة وتولاها من سنة ١٣١٣ الى سنة ١٣٢٥ وخلفه ولداه محمد الرابع الى سنة ١٣٣٣ ويوسف الاول الى سنة ١٣٥٤

وكان السلطان يوسف هو المحدث لترتيب المملكة وقوانينها القديمة فكان أجل الملوك الغرناطية مع انهزامه في حرب نصارى اسبانيا بواقعة ريوصالادو وخلفه ابنه محمد الخامس الملقب بجاديس فعزله أخوه اسماعيل ورجل من أقاربه يقال له أبو سعيد واستعان كل من أبي سعيد ومحمد الخامس بملك قسطنطية فقتل أباسعيد ليأخذ ماله وأنجد محمدا فعاد الى السلطنة سنة ١٣٦٣ الى سنة ١٣٩٠ خلفه يوسف الثاني الى سنة ١٣٩٤ المتولى فيها محمد السادس الذي حكم على يوسف أخيه الا كبر بالحبس المؤبد ثم أحس هو بقرب وفاته فامر بقتل أخيه المحبوس ووجه له جلادا يقتله فوافاه وهو يلعب بالشطرنج فاستهله حتى يتم لعبه فامهله واذ رجال من الديوان يبشرون المحبوس بموت أخيه وتولية السلطنة بدله فتولى يوسف الثالث سنة ١٤٠٩ الى أثناء سنة ١٤٣٣ ثم بدت الفتن الداخلية منذ تسلط هذه السنة الى سنة ١٤٢٨ محمد السابع الملقب بالميسر حيث سلك برعيته مسلك الجور فولوا بدله محمدا الصغير من أقاربه وعزل بعد سنة بمحمد السابع المعزول فألبس ملك قسطنطية الذي أثار على غرناطة يوسف الرابع الملقب بالحمار تاج السلطنة الغرناطية وأعزى سنة ١٤٣٣ جمعاً شهروا يوسف الرابع الملقب بالحمار سلطاناً ثم عاد محمد المعزول الى السلطنة في هذه السنة حتى طمع في السلطنة سنة ١٤٤٥ من أقاربه محمد التاسع الملقب بعثمان

أوليسمين واسماعيل الثالث فعزلاه وتنازعا في السلطنة فنصر محمد وتولاها سنة ١٤٥٤ ثم غلبه اسماعيل الثالث فتولاها حتى مات فانتقلت لولده حسن سنة

١٤٦٥

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في اضطرابات قسطنطينية وغارة بني مرين وواقعة ريوصالادو﴾

نعود الآن الى تكملة ما أسلفناه قبل المبحث السابق فنقول ان ملوك غرناطة كانوا لا يخشون الا بأس أهل قسطنطينية منذ فتح ملكها فرينند الثالث مدينتي حرسية وشبيلية فكانوا يستميلون وزراء وجلساء هذا الملك بخو العطاء وقبول كلامهم في دعاوى الخاصة بديوان غرناطة الا أن اختلاف أهل هاتين المدينتين جنسا ودينا أحوال اتحادهم ولذا كان هذا الملك متشوقا للغارة على غرناطة فلم يتمكن أهل قسطنطينية من ذلك لوقوعهم في فتن داخلية منها أن الفنس ولد فرينند الثالث الناشئ أرياحه ومعلومات عرب اسبانيا في أوروبا صرف نصف عمره في تطلبه امبراطورية ممالك المانيا ثم صرف النصف الآخر في قتال ولده الثاني المسمى سنش حيث اختارته الدول ملكا على قسطنطينية مع حياة والده فطلب سلطنة قسطنطينية أولاد الاميرة بلنشة بنت الملك ماري لويزا الفرنسية وأرادوا اقامة حقوقهم الوراثية بمساعدة فرنسا وانسكته فأوقدوا لذلك نيران حروب أشرفت على الانتهاء واذا جور بطرس أثار من سنة ١٣٥٤ الى سنة ١٣٧٠ حزب ترنسطامار وأوقع اسبانيا في بلايا العبدوان عليها من عصابات دوجكلان والأمير فوار تم كان بقسطنطينية في القرن الخامس عشر حنا الثاني قبل بلوغه وهنرى الرابع سخييف الرأي الملقب بالعاجز القوة فاقتضى قصور الاول وسخافة تدبير الثاني أن لا تحارب مملكة قسطنطينية في هذا القرن مملكة أخرى

وكان محمد الثاني ملك غرناطة زمن اضطراب قسطنطينية مشغولا بالهجوم على مدينة جبل طارق ومدائن الجزيرة وطارقة من جهة وعلى مدائن هويسقه

وبائظة وقادس والمرية من جهة أخرى معرضا عن انتهاز الفرصة بالغارة على اسبانيا حين اضطراب مملكة قسطنطينة ثم هزم مع أبي يوسف ملك بني مرين في أواخر القرن الثالث عشر بالغارة على اسبانيا وأخذوا منها مدينتي طاريفة والجزيرة وأعد ماسفن قسطنطينة قرب مدينة الجزيرة وأغاروا على بلاد الجرو فلم يجبن سنش عن صدهما بإعدامهما السفن السابقة بل أغار على داخل بلادهما سنة ١٢٨٠ ونصروا ولت الدول الفنس العاشر السلطنة سنة ١٢٨٣ ميلادية مكافأة له على شهامته ثم قام عليه أحد أولاده فاستعان بابي يوسف المريني على قمع هذا الولد فقبل ثم عكس أمره حيث أحرقت سفنه الحربية وأخذ منه أهل قسطنطينة مدينة طاريفة وأخذ منه محمد الثاني مدينة الجزيرة سنة ١٢٩٩ وجعل فيها محاقطين

واشتهر النصف الاول من القرن الرابع عشر بحروب فان أهل قسطنطينة أخذوا سنة ١٣٠٩ مدينة جبل طارق وحاصروا مدينة الجزيرة فأعطاهم المسلمون عدة مدن أقل أهمية منها لإبعادهم عن البلاد الاسلامية وأسس اسماعيل بن فرج بين أولاد ملوك نصارى اسبانيا البالغين عداوة ينتهز بها الفرصة زمن قصور الفنس الحادى عشر عن البلوغ فتبقيظ منهم اثنان لذلك وأزالا ما بينهما من المنافسة في السلطنة وحاربا غرناطة بلا تدبير ففرق المسلمون عساكرهما وقتلوهما ١٣١٩ بالموضع المعروف بسياراد ولوص أنقذه فقوى عزيم المسلمين وأخذوا سنة ١٣٢٩ مدائن بائظة ومرطوس وعبدية حتى مدينة جبل طارق وأمكن الملك محمد الخامس ان يأخذ من النصارى سوى ذلك لو ساعده أهل افريقية الذين لم ينتظموا معه وأخذوا منه الجزيرة ومربلة ووندية ولم ينتظم المسلمون تحت لواء واحد الا في عهد الملك يوسف الثاني فان الملك أبا الحسن المريني نزل باسبانيا وأخذت سفنه الحربية تطرد من بوغاز جبل طارق سفن أهل البرتغال وقسطنطينة فلحقه الملك يوسف وحاصروا جيوش البرتغال وقسطنطينة في مدينة طاريفة زمنا طويلا هم فيه تلك الجيوش بالخروج من المدينة

المدينة ثم كان بين الفريقين بشواطئ نهر ريوصالاد و واقعة هي الثانية من واقعتي طولوزة انهزم فيها أبو الحسن المريني فعاد الى فاس سنة ١٣٤٠ وترك لادل غرناطة جميع ما يملكه في اسبانيا ليستر عار هزيمته ثم أعدمت سفنه الحربية سفن جنويزة والبرتغال واراغون المجتمعة لتحقيق السلطنة على البحر الملح للنصارى الذين أخذوا مدينة الجزائر سنة ١٣٤٢ فجددت لهم ميناء حسنة لملاحظتهم جميع السواحل الافريقية واستقلوا من ذلك الوقت بجيوشهم بلا احتياج الى مساعدة وأخذوا يتفكرون فيما ينسى الامم فتوحاتهم ومفاخرهم العظيمة واشتغل القسطليليون بفتحهم الداخلية عن أخذ مدينتي جبل طارق والمرية ثم ساعدتهم البرتغال الفاتحون عدة مدن من افريقية ومنعوا مخالطة مسلمي اسبانيا بمسلمي افريقية

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في اعدام النصارى سلطنة غرناطة من بحيت جزيرة اسبانيا﴾
تنازع السلطنة يوسف الرابع الحمار ومحمد السابع فاستمد أحدهما دولة قسطيلية الاسلامية فامدته بجنود نصرروا على خصمه في بحارى غرناطة سنة ١٤٣٢ فكان ذلك الانتقاد الثانى للحروب بين مسلمي اسبانيا ومراكش وأما ما كان من سادات أهل قسطيلية ومشايخ العرب الذين يودون اظهار الباس والشهامة الحربية من الغارات على بلاد الاعداء فكانت منازلهم لم تستدع حربا عامة بين هاتين الامتين

وتولى سلطنة غرناطة سنة ١٤٦٥ السلطان حسن المعروف بالشجاعه وحب الوطن لكن رماه أهل غرناطة بالتكبر والقسوة وتغلب حب جارية نصرانية على عقله مع اختياره ولدها ان يكون خليفته دون ولده أبى عبد الله ابن السلطنة زوريا فكان بينهما عداوة ازداد به ضعف هذه المملكة سنة ١٤٧٦ يخلاف مملكة قسطيلية فان عظماءها وان أوصلوا هنرى الرابع الى أقصى درجات

(٢٦ خلاصة تاريخ العرب)

الخطبة والمذلة لملكهم انقادوا بعد وفاته سنة ١٤٧٤ لا بنته ايزابله المتزوجة
فردينند ملك مملكة نواره والوارث لملك مملكة اراغون ثم كان لهذين الزوجين
سنة ١٤٧٩ التصرف في الممالك الثلاث كيف شاآ طلبا من السلطان حسن
الجزية التي كان والده يؤديها فأبى قائلا للسفراء اذهبوا فقولوا لاسيادكم ان
غرناطة ليس لديها ذهب ولكن حديد لاعدائها ثم دهم مدينة زهرة وأخذها
سنة ١٤٨٠ فآخذ أهل قسطنطينة المدينة الحما المعصدة لغرناطة التي سار عقب
ذلك لآخذها فالتهمت نيران الحرب الداخلية

وعزل أصحاب الاميرأبي عبيد الله أباه حسنا عن السلطنة ولوا ابنه فآظهر
للناس نصرته على نصارى قسطنطينة في واقعة لقصة المقتضية انه أولى بالسلطنة
من ولده ولم يجد ذلك نفعا فآقام بريف غرناطة ثم عاد الى السلطنة يسيرا ووقع
ابنه عبيد الله الجبان في أيدي نصارى قسطنطينة وهم يحاربون مع فتورهمهم
وأطلقوه سنة ١٤٨٤ لعلمهم ان عزله أباه يساعدهم على بلوغ ما ربههم أكثر
من النصر على أبيه الذي ألزم بخلع السلطنة على عمه المعروف بالرجال واحتقر
ابناء الوطن أبا عبيد الله فسترجى فردينند أن ينصره فأجابه وأغار حالا على
مملكة غرناطة فآخذ مدائن الويجا وهزم الرجال أمام مدينة لورقة فتنازل
عبيد الله عن غرناطة سنة ١٤٨٩ لفردينند الذي رخص لابي عبيد الله
أن يدهم جميع مملكة الرجال فآصر أبو عبد الله ملاغة وأخذها ثم وجه عساكره
الى مدائن المرية وبازره وورا فبذل الرجال وسعه في القتال حتى يتس فامر
الناس أن يسلوا الى نصارى اسبانيا وسلم هو مملكته الى فردينند الذي أعطاه
بذل ذلك اقطاعات واسعة بسائر مملكته سنة ١٤٩٠ وألحق أهل غرناطة برعاياه
في الاعتبار وسعفظ الحرية والاموال والاعلان بشعائر الدين والحراج الذي كان
يؤخذ منهم سابقا ورأوا من سلوكه دلائل الهدوء الدائم فآنقاد لحكمه من خلفوا
أن يدافعوا عن أنفسهم حتى تنفذ وسائلهم الحربية ليكن بعض المسلمين
حرض على الغدر بالنصارى وشهروا السلاح وحصنوا غرناطة مصرين ان يموتوا

تحت

تحت أطلالها فهرب الملك الزجال الى افريقية فتمثل فرينند في تاسع مايو سنة ١٤٩١ بثمانين ألفا أمام أسوارها ووكّل عبد الله رؤساء رجاله في المدافعة عن تلك المدينة التي قاسى الأهوال في حصارها نساءها واطفالها وشيوخها وتنافس جميع أهلها في صد العدو وبنت الملكة ايزابلا هناك مدينة سنة ثانية اعلانا بانها لا ترحل قبل فتح غرناطة وقطع فرينند اختلاط أهل غرناطة بغيرهم حتى ضاق بهم الأمر فخرجوا على النصارى مخاطرين بأنفسهم فهزّمهم النصارى بجوار أسوار المدينة وطلب فرينند من أبي عبد الله ان يسلمه المدينة بعد شهرين ان لم يات اليها مدد في بر أو بحر ووضع امضاه على شروط بذلك فاستنجد أهلها سلاطين أفريقية والقسطنطينية فبعث ملوك القسطنطينية دون غيرهم سنة ١٤٨٦ سفنا اقتصرت على تخريب سواحل بحيث جزيرة اسبانيا تخاف أبو عبد الله من قيام أهلها عليه وسلمها قبل الميعاد الى فرينند الذى رتب له اقطاعات كافية فى أرض البوقسارة ثم أقام أبو عبد الله فى صحارى افريقية لما ركبته من العار والذلة ونصب النصارى على ذروة قلعتى الجراء والبايسين اعلام سلطنة قسطنطية واعلام سنجاق (مارى يعقوب) وزينوا مسجدتها الاعظم بحلية العبادة النصرانية القاتوليكية وأمر القائد (كزيمينيس Ximénès) بأحراق الكتب العربية المحفوظة منذ قرون ووضع فرينند يده بلاممانع على الحملات المهمة فى الجبال وعلى مملكة غرناطة فانقضى من اسبانيا حكم العرب المعتمد من سنة ٧١٠ الى سنة ١٤٩٢ ميلادية

وكان زوال سلطنة غرناطة اعلام موتهم فانهم لم يسألوا بعد أخذها عن شروط التسليم المشقولة على تمتعهم بالحرية والمال والسلاح والدين والمساجد والعوائد وبقاء ترتيب القائدين للجنود والقضاة المكلفين بالحكم فى الدعاوى على مقتضى الشريعة الاسلامية وعدم الجبر على تأدية شئ سوى الخراج والتكاليف التى كانوا يؤدونها للموكلهم المسلمين

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في السياسة التي سلكها ملوك اسبانيا مع المسلمين المطرودين﴾

﴿عنها سنة ١٠٩٠ ميلادية﴾

لم يقصد فرينند بشرط تسلمه غرناطة الا الحصول عليها لاجراء تلك الشروط التي منها التمتع بالدين فانه رأى ان المسلمين بكثرتهم وغناهم وحبهم للاستقلال ربما كانوا مانعين نفوذ حكمهم فحسم رأيه على أن يسلبهم العبادة الاسلامية والاخلاق العربية شيئاً فشيئاً ولم يبدل ذلك أول وهلة خشية أن لا ينجح مقصده فاتخذ متجسسين على التدين بدواً بمدح أهل قسطنطينة وماهم عليه من الصلاح والاستقامة ليأمنهم المسلمون وينسوا ما كانوا عليه من سوء المعاملة وأوهموهم انه يجب عليهم العمل بشروط التسليم بغاية الدقة وانهم لا يؤذون الا اليهود والمالكيين لحصة عظيمة من أموال البلاد أو الذين رحلوا من وطنهم (غرناطة) أو تركوا دين آبائهم ودخلوا في دين النصرانية وأوقعوا سنة ١٤٩٣ بهؤلاء من العذاب أنواعاً أفرغت المسلمين والمتجسسون اذ ذاك يدعون الى النصرانية المسلمين الخائفين ان يحل بهم ما حل باليهود من سوء العذاب ثم أعلنت النصرانية بمنع التدين بالاسلام واغدقوا بالذهب على من استنصر ثم حكم فرينند سنة ١٤٩٩ بطرد من لم يستنصر من جميع اسبانيا فانقاد ظاهراً للذهاب الى الكنائس لعبادة المسيح المسلمون بسائر المدن الا سكان جبال البوقسارة فلم يمتثلوا وشهروا السلاح فهزمهم هذا الملك وأتلف من اروعهم وأخذ أموالهم وطردهم من البلاد نعم تحمل النصراني ان يتدين بدين الاسلام أهل والنسبة التي صناعتها أحد الينابيع الاصلية لرفاهية اسبانيا حتى ولى السلطنة شريكان كرلوس الخامس سنة ١٥٢٤ فالزم أعيان النصراني المسلمين بالتنصير فاشتكوا ذلك الى شريكان فلم يصغ لهم وأحالهم على محكمة تحقيق الدين وعقوبة المعتزلة عن طريقة القانوليقية فحكم أرباب المحكمة باكره المسلمين على التنصير وسعى رئيس أساقفة شبليية لدى هذا الملك حتى حكم سنة ١٥٥٢ بمنع

مسلمى غرناطة في يوم واحد من عوائدهم القديعة ولباسهم والتكلم بلغتهم ورتب لتحقيق دعاوى المخالفين لذلك الأمر محكمة مخصوصة ودفع المسلمون سنة ١٥٩٢ الى الملك فيليبس الثاني ثمانمائة ألف دوقية (دينار) ليخفف عنهم ذلك فسكفت عنهم أرباب الحكومة إلا أن الرعية مازالوا يتمادون في عدم التحمل للتدين بالاسلام شاهرين السيف باليمن والصليب باليسار مقتفين أثر المسلمين في كل جهة حتى الجبال

وبالجملة أخذ رئيس أساقفة غرناطة أمرا من الملك فيليبس الثاني بمنع اغتسال المسلمين من الحداث والرقص المغربي واستعمال اللسان العربي وخروج النساء مبرقات فأبى المسلمون وشهروا السلاح وعقدوا مودة مع مغاربة افريقية فتبعهم المراكيز (منديار Mondejar) القائد النصراني فالتجؤا الى جبال تابعين قائدهم محمد بن أمية المدعى أنه من نسل بنى أمية خلفاء قرطبة الاول واستمرت الحرب بينهما سنين حتى بدا الشقاق بين المسلمين وذبح محمد بن أمية خلفه عبد الله فاخذ منه (دون حناوتريش Don Juan' dAutriche) سنة ١٥٧٠ معظم عساكره الذين انقاد بعضهم للنصارى وبعض ذهب الى افريقية ووزع النصارى السالكين بجبال البوقسارة على استورية وغاليسية وقسطيلة تحت الملاحظة الشديدة وأمر الملك فيليبس الثالث سنة ١٦٠٩ بطرد مسلمى والنسبة ومرسية فنقلتهم سفن الى سواحل افريقية واجتاز منهم كثيرون جبال يرينة فقبل نزولهم في فرنسا ملكها هنرى الرابع وجاد على بعضهم بالمسكن والمزرعة وعلى بعض آخربوسائل السفر في البحر الى ميناء غينة وميناء ليجدوق

ووجد بعض المؤرخين المسلمين المطرودين من اسبانيا منذ فتح النصارى غرناطة الى سنة ١٦٠٩ ثلاثة ملايين كانوا نخبة المسلمين واعظمهم صناعة فدرست معالم عز اسبانيا وكذا فرنسا بطردهم من مدينة نانتس سنة ١٦٨٩ المعتزلين مذهب القائلين بليقية ذوى الصنائع العظيمة

﴿ المقالة السادسة ﴾

﴿ في وصف التمدن العربي في الزمان الاول وفيها ثلاثة أبواب ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ في أن مدرسة بغداد خلفت مدرسة الاسكندرية وفيه مقدمة ﴾

﴿ واحد وعشرون مبحثا ﴾

﴿ المقدمة ﴾

بذل الصحابة الجهد في الفتوحات ونشر الدين واشتغل من بعدهم بذلك أكثر من اشتغالهم بالمعارف الادبية حتى حدثت بينهم فتن داخلية ألهمتهم عن ذلك ثم رزقوا غزوات قاصية ونصرات باهرة خصوصا في سنة ٧٥٠ بعد زوال الدولة الاموية وخربوا الشام والفرس الى نهر السند والى بحر قزوين وجميع شمال افريقية ومعظم بحيث جزيرة اسبانيا وهددوا فرنسا بالغارة عليها ففرق ملكها كارلوس مرتيل جيوش عبد الرحمن الاموي في سهول اقليم لوارة ثم ذهب الاضطراب الحربى وخلفه التنافس في المعارف اقتداء بالخلفاء الذين بحمايتهم المشتغلين بها زال الجهل والفظاعة وشوهت مؤلفات كثيرة فشت بها اللغة العربية لدى الامم المشرقية وسائر الممالك الاسلامية ويتكئون من معظمها الموجود الآن علم أدبى من أوسع العلوم الادبية المعروفة في الدنيا

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ في اكتساب العرب العلوم من ابتداء خلافة المنصور العباسى ﴾

اختص المنصور بانه أول من حث العرب على الاشتغال دون من تقدمه من الخلفاء بدليل أنه لا يوجد في تاريخ قدماء العرب الا بعض فوائد في العمليات الفلكية بواسطة منظر السماء الجاذب اذهانهم كما جذب اذهان سائر الأمم الى رصد الكواكب والنجوم الطغى بلادها وصحة هوائها وكان هؤلاء العرب عارفين

بمنازل

منازل القمر وأحكام النجوم الفلكية وأسماء الكواكب السيارة وبعض النجوم الزاهرة التي يعبدونها من دون الله معولن في حسابهم على السنة القمرية لكن لم يؤثر عنهم فكر في تحديد الحركات السماوية ولا في اعتبار مبدأ تاريخ متبع بين سائرهم ولذا استحال ترتيب سلسلة أخبار العرب التاريخية السنوية المستطيلة الى الوقت الذي فيه زوال عباداتهم المتنوعة واجتماعهم على الدين الاسلامي وكانوا مستعدين استعداد طبيعيا لان يكونوا وسائط بلاغ بين الأمم ويديشوا ما عندهم الى الأمم المنحصرة بين نهري الفرات والوادي الكبير والى سكان الجزء الجنوبي من وسط افريقية مع كثرة أشغالهم التي لم يعاينهم فيها من سبقهم وكانوا مع عدم احتمالهم التدين بغير دينهم مخالفين لبنى اسرائيل يعيّلهم الى الاختلاط بالتناسل بين الأمم التي غلبوها من غير ان يتركوا طبعهم العربي والروايات المذكورة بوطنهم الاصلى بدون التفات الى تنقلهم الدائم من مملكة الى أخرى ولم تبدئ الامم الجرمانية في التمدن الا بعد مهاجرتهم من بلادهم بزمان طويل بخلاف هؤلاء العرب فانهم لم ينقلوا الاسلام وحده الى ما تغلبوا عليه من البلاد بل مع لغتهم الكاملة واطائف أشعارهم التي اشتغل بها شعراء الربابة من افرنج اقليم برونسه والفرنج المغنون على آلات أشعار العشق والحلاعه

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في أن النسطوريين كانوا أساتذة العرب الاول وفي انشانهم مدرسة ايدسة﴾

﴿والمذاهب الهندية التي كانوا يتبعونها﴾

من تأمل كيفية غارة العرب على الشام وفلسطين ثم على الديار المصرية وجدهم مائلين الى كسب العلوم وتقدماتها باشتغالهم بها بواسطة استعدادهم الطبيعي واتلافهم بما جاور سواحل جزيرتهم من الامم التي وصلت الى درجة عليية من التمدن كما نشأ عن اتلافهم بطائفة النسطورية النصرانية تنور عقولهم

بالمعارف التي اكتسبوها قبل دخولهم الإسكندرية من هؤلاء النسطورية الذين لم ينفش حينئذ مذهبهم بالممالك المشرقية من آسيا وأفادوا أهل الشام معارف وهرابوا حين تتبعهم أخصامهم لتباين بينهم في العقائد الدينية ثم أطلع الشاميون العرب على ما أخذوه عن هؤلاء النسطورية من الادبيات وأنشأ النسطوريون في مدرسة ايدسة ببلاد العراق العربي مدرسة تعلم بها من الاطباء جمع كانوا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبها كان بدء علم العرب المواد والعقائد المستفادة من المعدنيات والنباتيات ثم عدم التعلم بهذه المدرسة زمن الملك اليوناني (زينون الايزورياني Zènon l'Isaurien) لتعصب ديني بين النسطوريين الذين نشر وافي نصف القرن السابع بعد الميلاد معلوماتهم وعقائدهم الدينية في الهندستان والصين وانتشروا في بلاد الفرس فكان لهم بعد قليل تحكم عظيم سياسي فانشؤا في جنديسابور باقليم خورستان مدرسة هرع للتعلم بها كثيرون وكان في ائينة تحت بلاد اليونان مدرسة أفلاطونية نفي منها الى بلاد الفرس جمع من الفلاسفة في عهد الملك بوستينان فاجتني العرب مدة غاراتهم ببلاد آسيا أصول التمدن الفاشية في بلاد الفرس بواسطة هؤلاء العلماء ومع ذلك لا يعلم أستاذ المنصور في علم الفلك واستظهار أنه عالم هندي يبعده عدم اعتبار العرب للذهاب الهندية منذ استحصلوا على الكتب اليونانية

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في مدرسة بغداد وترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية﴾

﴿ومؤلفات العرب في الفلك زمن المأمون بن هارون الرشيد﴾

اقتدى بالمنصور من بعده في نشر العلوم وتوسعة دائرتها زمن اهمالها بجميع بلاد أوروبا بجلبهم من الاقاليم التي افتهوها علماء لترجمة أعظم كتب اليونان وانشانهم كتبانات ومدارس يتعلم بها الخاص والعام نحو كتب ارسطائيس وسقراط وجالينوس ودسقموريدس واقليدس وارشميدس وبطليموس واپولونيوس مع تعاليم متن القرآن وتدريس تفاسيره وانشاء جمعيات العلماء لتجادلوا في

مشكلات

مشكلات المسائل فقد أعاد المهدى والرشد على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد
آسيا فترجوا الكتب اليونانية والفارسية الى السريانية والعربية واشتهر في عصرهما
من العلماء ما شاء الله الفلكي المؤلف في الأسطرلاب ودائرته النحاسية وأحمد
ابن محمد النهاوندى وهما أقدم علماء الارصاد من العرب وجزارى بن يوسف
أول من ترجم كتاب اقليدس الى العربية وكفى بالساعة الدقاقة المتحركة بالماء
التي بعثها هرون الى شيرلمانية ملك فرنسا شاهدا على رفعة درجة الفنون لدى العرب
اذ ذاك تم جاء المأمون المعتبر في العرب ك أغسطس في الرومان فنف بأعظم العلماء
وربط علائق المودة بينه وبين اليونانيين ملوك القسطنطينية فأكمل السعى في تحصيل
تلك الفنون بصرف مبالغ من النقود على ترجمة كتب علماء الاسكندرية ومصر
وسائر اليونانيين بجميع بلادهم حتى مدينة اثينة وألف يحيى بن أبى منصور
ريحا فلكيا مع سند بن على الذى ألف في سنة ٨٣٢ وسنة ٨٣٣ ميلادية
ارصادا أخرى مع خالد بن عبد الملك المروزي وقاس سند وخالد بن الرقة
وتدبر خط نصف النهار مع على بن عيسى وعلى بن الجبترى وألف أحمد بن عبد الله
ابن حبش ثلاثة أزياج في حركات الكواكب وحسبوا الحسوف والكسوف
والنجوم ذوات الاذنان وغيرها والسوادات التي بقرص الشمس ورصدوا الاعتدال
الريبي والخريف وقدروا ميل منطقة فلك البروج واصلحوا بأمر المأمون
غلطات كتاب المجسطى تأليف بطليموس بعد أن شغل يحيى بن خالد البرمكى
مترجمين في ترجمته زمن الرشيد وسبقهم في الاجتهاد بتلك العلوم من العرب محمد
ابن ابراهيم الفزارى فقد ضاهى علم النلك الهندى باليونانى ورصد أحمد بن
محمد النهاوندى السماويات في مدينة جند يسابور وألف سنة ٨٠٣
ميلادية ازياجا جديدة سماها المستعمل هؤلاء هم الذين اشتهروا زمن المأمون
بالعلوم الفلكية وأما محمد بن موسى الخوارزمى ملخص الازياج الفلكية الهندية
للمأمون ومعاصره الكندى المتبحر في اللغة اليونانية المستمد من كتب مدارس

اثينة والاسكندرية المؤلف أكثر من مائتي كتاب في الحساب والهندسة والحكمة والتنجيم والحوادث الجوية والطب وغير ذلك فلا يعتد ان من الفلكيين بل من الرياضيين وأما أبو معشر تلميذ الكندي قال ألف أرصادا نافعة حسب عليها الزيج المعروف بزيج أبي معشر وان لم يشتهر عند الفرنج الا برسالات ألفها في التنجيم

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في أرصاد العرب الفلكية الجديدة وتكملتهم واصلاحهم﴾

﴿ازياج مترجمة من اليونانية﴾

ما زالت العرب مشغولة بعد المأمون بالعلوم خصوصا الفلك فان محمدا وأحمد وحسنا أولاد موسى بن شاكر بذلوا همهم فيه وكدوا الزيج الصحيح وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية وحددوا ميل وسط منطقة البروج المسماة بالاكليتيك في رصد خاناتهم المبنية على قنطرة بغداد المتصلة بالباب المسمى بالطاق وعرفوا فيها فروق حساب العرض الاكبر من عروض القمر وعول ابن يونس في أرصاده الفلكية على أرصادهم وعمل أكبرهم محمد لموضع الكواكب السيارة تقويمات استجلت زمنه وبعده وترجم تلميذه في الفلك ثابت بن قرة المتوفى سنة تسعمائة ميلادية كتاب المجسطي لبطليموس ثانيا بعد ترجمته زمن الرشيد وبين تصحيحات المتقدمين لغلطات بطليموس وزاد من عنده ملحوظات مفيدة وألف أرصادا فلكية بعد أولاد بني موسى محمد بن عيسى الملقب بالمهاني وكذلك أبو العباس فضل بن حاتم النيريزي الذي التفت الي تصحيح غلطات الفلكيين في أرصادهم المتداولة الى زمن المأمون بلا تدبر فيها رصد السماويات وألف شرحا على كتاب المجسطي وازياج بين فيها الخسوف والكسوف وهماق الكواكب السيارة وغير ذلك من الحوادث السماوية التي حصلت في سنة ٨٥٤ الى سنة ٨٦٨ ميلادية واتبعت هذه الازياج بعده مائة سنة ولكنه غفل في كثير منها عن غلطات لام عليه فيها ابن يونس صاحب

الزيج

الزيج الحاكمي وان شهد له في مواضع كثيرة بما يدل على جلالته لكن الزوزني في كتابه كتبخانة الفلاسفة عدّ التيريزي من الرياضيين وأما المهاني ففلكي وكان العرب في هذا القرن التاسع متبعين ما بقى بأيدي المتأخرين زمنا طويلا من القواعد التي علمها أساتذة المدرسة البغدادية تلامذتهم وهي أن ينتقلوا من المعلوم الى المجهول ويتحققوا كل التحقق من الحوادث الفلكية ثم ينتقلوا من النظر في المسببات الى النظر في الأسباب غير قابلين الا ما انضمت صحتة ولذا عول من بعدهم على مؤلفاتهم واعترف ثابت بن قرة ان ما في يده من الارصاد المؤلفة زمن المأمون كافية في تقدمات علم الفلك وتأسف على عدم استكمال الناس على أكثر مما بأيديهم من كتب السلف

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في ماثر البتاني الفلكي وابني اماجور﴾

ظهر البتاني بعد المهاني فكان رئيس علماء العرب في القرن التاسع ألف أربعة ارصاد في الشمس والقمر ورسالة في الفلك ورصد السماء بالرقعة سنة ٨٨٠ وجمع كليات المعارف المكتسبة في عصره وقالت الفرنج انه بين المسلمين كبطليموس بين اليونان توفي سنة ٩٢٩ ومن اشتهر في الفلك ذلك العصر سهل بن بشار ومحمد بن محمد بن يوسف السمرقندي وأبو الحسن علي بن اسماعيل الجوهري وأبو جعفر بن أحمد بن عبد الله بن حبش وشمسة بن لوقا البعلبكي قرين الكندي ومحمد بن الحسين بن حامد بن العظامي وعلي بن اماجور وأخوه الراصدان السماء من سنة ٨٨٥ الى سنة ٩٣٣ ميلادية ودونا زيجا عجيبا وبيدنا طريقا جديدة لاستكشافات فلكية وكذا فروقا بينة في حساب حركات القمر كما حسبها قبلهم اليونان والعرب وان حدود أكبر عروض القمر ليست دائما واحدة

﴿المبحث السادس﴾

﴿في احياء الملوك البويهية ما ابتدأه المأمون من التعليم والتمدن﴾

بعد وفاة المأمون سنة ٨٣٣ ميلادية ولى الخلافة اثنا عشر تظاهروا كل منهم

بحب احياء العلوم والفنون الأدبية علما بنفعها وتنافسوا في توظيف الرجال
 العالمين بها واذا عصاة خرجوا عليهم وصاحوا على أبواب قصورهم فاسرع التمزيق
 الى المملكة بسائر الجهات كما أسلفناه فحكم المكاسيون والادريسيون والمدرارزيون
 في افريقية ممالك فاس ومكناسة وسلماسة والرسامية وبنو عبد العاطي طاهرت
 وتلمسان والاغلبيون بلاد قيروان والفاطميون الديار المصرية بعد سنة ٩٠٥
 ميلادية والديلمية طبرستان سنة ٩٢٧ وسبب ذلك أن رجلا يسمى طاهرا صدق
 في خدم أداما للأمنون في خراسان فجعله ملكا متصرفا في هذا الاقليم كما يشاء
 فترجى حكام آخرون الخلفاء ان ينعموا عليهم بمثل ذلك حتى استقلوا بالحكم
 وانضم اليهم أناس عصوا العباسيين محتجين بالباس العلوية تاج الخلافة وتغلبوا
 على بعض الاقاليم وخلف الطاهرية في خراسان الملوك الصفيرية سنة ٨٧٢
 الى سنة ٩٠٥ ميلادية ثم الملوك السمانية وقد قبض الملوك البويهية الحاكمة
 ببلاد الفرس على أزمة الحكم ببغداد حائزين لامارة الاهراء فلم يتركوا للعباسية
 الا التبرك الاسمي وكان في أثناء تلك التقلبات في كل من دمشق وشيراز وسمرقند
 رجال يحامون عن العلوم ويشجعون على احيائها وكان في نيسابور زمن طاهر
 ابن عبد الله رابع الملوك الطاهرية علماء يرصدون السماويات بدائرة اسطرلابية
 تكلم عليها ابن يونس ثم تراكت التقلبات على الدول الاسلامية وكادت المعارف
 ان تذهب بالكيفية في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي لولا أن تداركها
 من البويهية عضد الدولة وشرف الدولة فأخذوا يحثان الناس على الاشتغال
 بها مع مشاركتهم لهم خلف ابني أماجور في الفلك أبو القاسم علي بن الحسين بن
 محمد بن عيسى الملقب بابن الاعلم فجعل أرصادا كثيرة ودون زيجات وألف عبد الرحمن
 الصوفي كتابا في أصول علم الفلك ورصد معه عضد الدولة نجوم السماء
 وتعلم منه ومن ابن الاعلم وافتر بكونهما أستاذيه واشتهر في زمانه أبو القاسم
 عبد الله بن الحسن والخلوصي والموصلي والحسن بن أحمد الهمداني
 اليميني وكذا ويحيى بن وستم الكوهي وأبو الوفاء اللذان فاق كوكب فضلهما
 على

على ثريا هؤلاء العلماء فقد عملا ارصادا كثيرة وتما مسائل فلكية تركها علماء مدرسة اسكندرية قبل الاسلام وأمر أبا سهل الفلكي ان يحدد ثانيا حركات الكواكب السيارة السبعة وينتقد المسائل الفرضية المأثورة عن اليونانيين واقتدى شرف الدولة بالمأمون في جمع العلماء للتعاون على الاعمال الفلكية فجمع الى الكوهي العلماء المعتمدين في عصره كأبي الحسن الخويزي وأبي اسحق ابراهيم بن هلال وأبي سعد الفضل بن بولوص الشيرازي وأبي الوفاء محمد بن محمد الحاسب وأبي الحمد بن محمد الصاغاني وأبي الحسن محمد السمرى وأبي الحسن المغربي وغيرهم

﴿المبحث السابع﴾

﴿في استكشافات جديدة وابداء أبي الوفاء الفلكي الاختلاف
﴿الثالث في سير القمر﴾

كان أبو الوفاء متجرا في علم الميكانيكا رصد ميل الاكبتيك سنة ٩٩٥ ميلادية برفع دائرة نصف قطرها خمسة عشر ذراعا وترجم كتاب ديوفنط فكان أول من ترجمه وألف معادلة المركز والاختلاف القمري الذي يحصل كل سنة في سيره وأبدى في حساب سير القمر اختلافا ثالثا وهو ما حسبته تيكونبراحة الفلكي بعد ستمائة سنة من وفاة أبي الوفاء الذي صحح الارصاد القديمة حين رأى شرح بطليموس على القمر غير متقن وألف كتابا كثيرة أعظمها المجسطي الذي سهل بيان العلائق التي بين أشكال الدوائر بما اخترعه من قواعد الخطوط المماسية والخطوط القاطعة لخط آخر التي استعملها مهندسو العرب في حساب مساحة المثلثات كما يستعملها المهندسون الآن بعد أن استبدل العرب الاوتار بالجيوب في زمان البتاني السابق على هذا بمائة سنة وكان بيان تلك العلائق مطوقا لا يفهمه أحد بسهولة ولد أبو الوفاء في بوزجان سنة ٩٣٩ ميلادية وسكن العراق سنة ٩٥٠ وظهر فضله في جمعية جمهور العلماء ببغداد شرح زيجته المسمى بالزيج الشامل السيد علي القوشجي وابن السيد حسن ولا يخفى انباء

استكشافاته عما كان لعلماء المدرسة البغدادية من بلوغهم النهاية في المعارف
التي أمكنهم اكتسابها بلا نظارة ولا اسطراب

المبحث الثامن

في انتقال مركز الاشغال العلمية في غرة القرن الحادى عشر بعد

الميلاد من بغداد الى مدرسة القاهرة وفي ابن يونس

الفلكى والزيج الحاكى

لما صارت ممالك آسياميدهان الانقلابات السياسية وسلب السلجوقية السلطنة من
محمود الغزنوى وتفاشلوا وظهر بكل من كرمان وحلب وروم ودمشق سلطنة تابعة
لسلطنة الفرس تدفع لها كل سنة مالا واستمرت الحروب الصليبية مع الامة المحمدية
أكثر من مائتى سنة وتضاعفت الكروب بغارة المغول أخذت مدرسة بغداد
في التقهقر وكادت المصاييح العلمية أن تنطفئ فيما عدا بلاد المغرب واسبانيا
حتى كانت القاهرة تحتها للسلطنة الفاطمية فصارت مركزا جديدا للاشتغال
بالفنون واشتهر بها زمن العزيز والحاكم بأمر الله العتقى وكذا ابن يونس
المقتفى في سيره أبا الوفاء ألف في رصد خاتمه بجبل المقطم الزيج الحاكى الذى
خلف في جميع البلاد المشرقية المجسطى البطليموسى والرسائل التى ألفها
سابقا علماء بغداد اخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة ثم مات
سنة سبع وألف ميلادية وظهر زيجيه بين الفرس سنة ١٠٧٩ وخلفه في
الاهتمام بعلم الفلك جمع منهم حسن بن هيثم الذى ألف أكثر من ثمانين كتابا
ومجموعا في الارصاد وتفسير المجسطى وتفسير آخريته عاريف ذكرت أول مبادئ
اقليدس ورسالة في علم النظر والضوء وموجزا سماه المعلومات الهندسية وقد
رأى ابن النبدي بالقاهرة سنة ١١٤٠ ميلادية كتبها ستة آلاف كتاب
في العلوم الرياضية والفلكية وكرتن احدهما لبطليموس والاخرى لعبد الرحمن
الصوفى

﴿المبحث التاسع﴾

﴿في الفلكيين بإسبانيا وأفريقية الغربية وعدم كفاية ما كان﴾

﴿لديهم من مستمدات علم الفلك الأصلية﴾

منهم مسلمة الجريطي المعاصر للمنجم المعروف بابن راجل ألف مختصر أزياج البتاني وابن أبي طلحة الذي عمل في ثلاثين سنة أرصادا مشهورة بالهجرة وحذا حدوه في ذلك أرزاقيل الفلكي فجعل في تحديد أوج الشمس أربعائة رصد واثنتين وفي التقويم الحقيقي لحركة مبادرة الاعتدالين أرصادا أخرى لم يلتفت الناس إليها وتعجب أهل طليطلة من ساعاته الدقاقة وألف الأزياج الطليطلية والاقوال الفرضية في تباعد الشمس عن مركز أفلاك الكواكب السيارة وجابر بن أفلح الشبلي ألف رسالة صغيرة ترجمها جيرار الكريغوني إلى اللغة اللاتينية وأبو الوليد محمد بن رشد ألف موجزا فلكيا في مساحة المثلثات الكروية وعزى إليه شرح على المجسطي ظن ابصاره بقعة سوداء في قرص الشمس يوم عرف من الحساب الفلكي زمن مرور كوكب عطارد كان مشهورا سنة ١١٥٠ ميلادية

وكان بدائن شبليية وقرطبة وغرناطة وهرسية وطليطلة كتبانات عظيمة ومدارس جليلة تدرس فيها العلوم الرياضية وكذا بدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش مدارس أنتجت مدرسين بارعين سابقوا علماء قرطبة وشبليية وغرناطة منهم البتراش المشتهر سنة ١١٥٠ رصد هيل الاكلتيك وأخذ يطالع المجسطي فاشمأزت نفسه من عدم انتظام دوائره المتداخلة والمتقاطعة الدائرة حول مراكز الافلاك فاخترع في ترتيب الافلاك والمراكز مذهبها جديدا منبأ عن تجرده من اعتقاد الفرضيات الفلكية الباطلة التي كان عليها أهل الاحقاب الخالية وأبو الحسن الذي جاب في أول القرن الثالث عشر من الميلاد بحيث جزيرة اسبانيا وجزأ عظيما من شمال افريقية وحرر ارتفاع القطب الشمالي في إحدى وأربعين مدينة أولها افرانة التي على الساحل الغربي من بلاد المغرب وآجرها القاهرة وألف كتابه المسمى البدايات والنهايات

﴿المبحث العاشر﴾

﴿في ممارسة المسلمين علم الفلك بمساعدة من ولهم بعد الخلفاء من الملوك﴾

﴿المدعين لغلبة التمدن العربي على العقول في المشرق﴾

تعود الى الكلام على الممالك الاسلامية المشرقية التي لم تنقطع منها نار الحرب من ابتداء القرن الحادى عشر بعد الميلاد فنقول فتوح محمود الغزنوى وغارة السلجوقيين وحروب أهل الصليب مع المسلمين واعدام صلاح الدين الخلافة الفاطمية من القاهرة سنة ١١٧١ واعدام هولاكو الخلافة العباسية من بغداد سنة ١٢٥٨ غيرت كل التغير الحالة السياسية بآسيا ومع ذلك مازال العلم فى تقدم باعتناء العلماء وهم الجزرى المتوفى ببغداد سنة ١٠٢٣ ميلادية وابن سينا المتوفى سنة ١٠٣٦ وفتح بن ناجية صاحب الاسطرلابات المتوفى سنة ١٠٥٨ وأبو الفتح عبد الرحمن الموجود سنة ١٠٦٤ والغزالى أبو حامد ببغداد سنة ١٠٩٠ والتوفيقى بدمشق وهبة الله الموجودان سنة ١١٢٠ وعبد الله ابن شاكرين على المطهر المدنى الموجود باصفهان سنة ١١٧٠ ومبشر بن أحمد المتوفى سنة ١١٩٣ وأبو حنيفة مؤلف الازياج سنة ١٢٢٠ ومحمد بن مبشر المتوفى سنة ١٢٢١ ونصير الدين الطوسى وسيأتى

وبينما خلفاء المشرق يفقدون أحسن أقاليمهم واحدا بعد آخر كان المنصورون يطالعون كتب من فى مملكتهم من العلماء ويستنيرون بما لديهم من المعلومات ولذا أحضر محمود الغزنوى الى ديوانه من سنة ٩٩٧ الى سنة ١٠٣٠ عالما فلكيا ملأت شهرته المشارق يقال له البيرونى وجمع لديه جلال الدين ملكشاه السلجوقى أفاضل العلماء من سنة ١٠٧٣ الى سنة ١٠٩٢ واليه ينسب الكتاب المسمى مبدأ حساب التاريخ الجلالى وأحضر هولاكو تان المغول الى ديوانه حين تغلب على بغداد سنة ١٢٥٩ ميلادية نصير الدين الطوسى الذى قلده ادارة الرصد خانه الجديدة بالمراغة ونقل جمال الدين الفلكى مع الخان

كوبلاى

كوبلاى علوم العرب الى مملكة الصين وحث محمد الناصر بن قلاوون أحد السلاطين المماليك بمصر رعاياه على اكتساب المعارف من سنة ١٣١٠ الى سنة ١٣٤١ ميلادية وأسس الوغ بيك التتارى فى القرن الخامس عشر رصد خانة بدمشق وأبقى فى أزياجه من الآثار الفلكية ما يشهد بعلو همته وحسن قريحته وشرك أوائل العثمانية هؤلاء الملوك فى المساعدة على كسب العلوم واحياء نتائج الافكار

﴿المبحث الحادى عشر﴾

﴿فى ملوك الغزنوية والبيرونى الفلكى﴾

لاشبهة فى أن رؤية التمدن العربى منتصرا على تبربر هؤلاء الفاتحين الشماليين الذين أغاروا على غرب آسيا وجنوبها من المناظر الجميلة الاعتبار ولذا اتهم أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى الفرصة بأفادته واستفادته المعلومات الى الهندود ومنهم فانه اكتسب معلوماته من المدرسة البغدادية ثم نزل بين الهندود حين أحضره الغزنوى فأخذ يستفيد منهم الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أو حديثة ويفيدهم استكشاف أبناء وطنه وبحثها لهم فى كل جهة مر بها وألف لهم ملخصات من كتب هندية وعربية وكان مشيرا وصديقا للغزنوى استعد حين أحضره بديوانه لاصلاح الغلطات الباقية فى حساب بلاد الروم والسند وماوراء النهر وعمل قانونا جغرافيا كان أساسا لاكثر القسمو جرافيات المشرقية فقد كلامه مدة فى البلاد المشرقية ولذا استند الى قوله سائر المشرقيين فى الفلكيات واستمد منه أبو الفداء الجغرافى فى جداول الاطوال والعروض الارضية وكذا أبو الحسن المراكشى

ولم يكن فى الهندستان قبل الاسكندر ذى القرنين علم الفلك تاما والا لعرفه أستاذه ارسطاطاليس وأبداه لليونانيين ولذا كان الكتاب المسمى سند هند المترجم فى خلافة المنصور منبأ فى بعض المواطن عن حالة ابتدائية فى ذلك العلم وكأن

العرب المستعدين أول معلوماتهم الفلكية من رسالة هندية سموها الهندسة بعلم الهند وآلة تحديد خط نصف النهار المتكلم عليها برقلوس اليوناني بالدائرة الهندية وطريقة التعداد الاشاري التي يظهر أنها من مخترعات أهل أوروبا بالارقام الهندية ونسبوا ابتداء القول باهتزاز النجوم الثابت الى الهنود مع وجوده في كتاب ثيون اليوناني لما يحتمل من أن اليونانيين المنفيين من بلادهم الى آسيا في القرون الاول بعد الميلاد أحدثوا لدى سكان آسيا طرقاً تخالف ما في كتاب المجسطي وأما منطقة البروج القمرية الموجودة في كتاب قدماء الهند فلا ينبغي نسبتها لاي أمة لوجودها في سائر الأمم

﴿المبحث الثاني عشر﴾

﴿في الملوك السلجوقية وعمر الخيام وتصحيح الرزنامة الفارسية﴾
توصل الفرس بالارصاد التي أمر بها السلطان ملكشاه السلجوقي الى تصحيح رزنامتهم الفارسية سنة ١٧٠٩ بعد ذلك بخمسين سنة فكانت أصح من رزنامة الفرنج الغريغوارية المحسنة بعد الاولى بستة قرون فان العرب المشرقيين التابعين لعمر الخيام وعبد الرحمن امامهم في التقويم حسبوا تسعاً وثلاثين سنة كبيسة في كل مائة واحد وستين سنة لاثمان سنين كبيسة في كل ثلاث وثلاثين سنة كما فعل الفرنج فوجدوا مقدار السنة المتوسط ثلاثمائة وخمسا وستين يوماً منذ ألفين وأربعمائة واثنين وعشرين سنة ورأوا أن في حساب السنة الفارسية الجديدة خطأ قدره يومان في كل عشرة آلاف سنة وفي حساب السنة الغريغوارية خطأ قدره ثلاثة أيام في هذا المقدار

﴿المبحث الثالث عشر﴾

﴿في ملوك المغول والطوسي ونقل علم الفلك من بلاد العرب الى الصين﴾
لم يترك المشرقيون الاشتغال بالعلوم في أثناء الحروب الصليبية فان هولاكو أحضر الى ديوانه سنة ١٢٥٩ ميلادية رجالاً ممتازين في العلوم الرياضية والفلكية

والفلكية أشهرهم نصير الدين الطوسي أعادق عليه يجمع الكتب الفلكية من خراسان والشام والموصل وبغداد وبنى بالمرافة رصد خانة بقبها ثقب يعرف بما يدخل فيه من أشعة الشمس درجات ودقائق سيرها اليومي وارتفاعها كل فصل فكان ذلك منه استعمالا جديدا للربع ذى الثقب الذى استعملته العرب فى القرن العاشر وأودع هذه الرصد خانة دوائر رصد كبرا وأرباع دوائر وكرات سماوية وأرضية وسائر أصناف الاسطرلاب وعمل لتحقيق الزيج الحاكمى فى اثنتى عشرة سنة أرصادا لاتم على مقتضى الحساب الاول الا فى ثلاثين سنة لاشتغال جميع معه فى ذلك منهم مؤيد الدين الدمشقى ونفسر الدين الجلاطى ونجهم الدين بن دبيران القزوينى ونفسر الدين المراغى الموصلى ومحيى الدين المغربى ولم يزل كتابه المعروف بالازياج الخانيسه الذى اختصره على شاه البخارى ثم النظام ثم نجم الدين النبوى وصححه غياث الدين جشيد بن مسعود الخطيب معتمدا يدرس فى جميع المدارس المشرقية الى عهد ابن الشاطر الفلكى الذى غير قليلا فى نتائج الرصد سنة ١٣٦٠ ميلادية وبما سلف يعلم أن الملوك المغولية أعادوا لمدرسة علماء العرب رونقها القديم وقد كل كوبلاى خان المغول أخوه هولاكو فتح مملكة الصين ونقل اليها رسائل ألفها علماء بغداد والقاهرة وأخذ السلطان كوشيو كنج سنة ١٢٨٠ ميلادية من جمال الدين الفارسى الفلكى ازياج ابن يونس فطالع جميعها

﴿المبحث الرابع عشر﴾

﴿فى ابن الشاطر﴾

خلف ابن الشاطر الطوسى فى الشهرة بعلم الفلك فى نصف القرن الرابع عشر من الميسلاد وعمل ازياج اعتمد عليها فى تدوين ازياجهم شمس الدين الحلبى وشهاب الدين أحمد بن جلال الله بن الحاسب ومحمد بن ابراهيم الحيرى

﴿المبحث الخامس عشر﴾

﴿فى أولاد تيمورلنك وانشائه رصد خانة بسمرقند وازياج فلكية﴾
 بينما ابن الشاطر يشهر ازياج بدمشق بمساعدة السلاطين السلجوقية اذ ظهر

قيور لتك الذي كان أميرا على إقليم كش فرغ من حروبه الاولى
 فانهز الفرصة زمن ضعف الحكومة المغولية بتأسيسه في سمرقند سلطنة
 اتسعت قريبا وأخذ ما وراء النهر سنة ١٣٧٠ وبلاد قجق وخوارزم وخراسان
 وأذربيجان وجرجستان ثم دهم الممالك سلاطين مصر ولم يفتصرفعاد الى المشرق
 وعزم على فتح بلاد تركستان والفرس ثم أخذ مدينة دلهى بعهد قليل من
 السنين وانقاد له الهندستان فعاد الى دهم الممالك فانقض على الشام ونهب
 دمشق وهدم مسجدها وخرّب بغداد سنة ١٤٠١ ودعا ميخائيل يلبوغ والامراء
 المستقاون حتى هددهم العثمانية فسار الى السلطان بايزيد وهزمه في واقعة
 انجورية وولى على ممالكه ولده السلطان موسى خان فاتخذ علماء في تحت
 مملكته وجع بسمرقند مشاهير العلماء بالفنون الادبية والصناعية
 وأراد فتح الصين فاخذ يتجهز للغارة على بلاد قطاي ويأخذ بثأر أولاد كوبلاي
 المظرودين من الصين سنة ١٣٦٨ فمات سنة ١٤٠٥ وله تسع وستون سنة
 فمزقت ممالكه الا ما وراء النهر والاقاليم الشمالية من الهندستان فبقيت في
 يد ولده الرابع شاه رخ خالية من الفتن الى نصف القرن الخامس عشر وجمع
 كتيبانة فاخرة مشتملة على كتب نادرة لما يدينه وبين ملوك زمانه من المودة وأرسل
 سنة ١٤٢٠ سفراء الى الصين وسنة ١٤٤٢ عهد الزقاق السمرقندي الى
 الهندستان سفيرا وأما ابنه ألوغ بيك الذي ولى ما وراء النهر من قبل
 والده فعمل أرسادا وجمع علماء منهم الامير العلامة حسن جلبي المعروف
 بقاضي زاده وغيث الدين جشيد وعلي بن محمد القوشجي فعملوا سنة ١٤٣٧
 ازياجاً تشتمل على صورة جميع الدنيا أحضر لها الآلات المضبوطة فكانت تمة
 ضرورية للأعمال الفلكية الماثورة عن العرب وشرح ازياجهم مريام الجلبي
 ابن قاضي زاده ثم محمد شاه وبعث على القوشجي للسياحة في الصين فحرر
 قياس درجته من درج خط نصف النهار ومساحة الكرة الارضية
 وكان ألوغ بيك آخر علماء المدرسة البغدادية وأقى بعده بقرن ونصف كيلير
 الذي

الذى أبطل جميع المسائل المفروضة الماثورة عن اليونانيين ولداعد من واضعي علم الفلك الجديد

﴿المبحث السادس عشر﴾

﴿في اشتغال العرب بالعلوم الرياضية﴾

لما اشتغل العرب بالفلك التفتوا الى العلوم الرياضية فأثروا بالعجب العجيب في الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا وترجوا من ابتداء خلافة المأمون هندسة اقليدس وتيودوس واپولونيوس وايسيقليس ومينيلاوس وشرحوا مؤلفات أرشميد في الكرة والاسطوانة وغيرها واشتغلوا قرونا بدقائق الهندسة وظهرت حيتهم في المناظرات العلمية خصوصا في المراسلات الرياضية وطبقوا الجبر على الهندسة وترجوا كتب هيرون الصغير في الآلات الحربية وقطيريبوس وهيرون الاسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للياه وألف حسن بن هيثم في استقامة النظر وانعكاسه في المرايا التي توقد النار وألف الخازن في علم الضوء والنظر كتابا في انكسار الضوء وفي المحل الظاهر للصورة من المرايا المنحنية ومقدار الاشياء الظاهر وكبر صورتى الشمس والقمر اذا رثيا على الافق عند الشروق أو الغروب

ونسب الجبر الى الهنود ولذا كان كتاب محمد بن موسى في الجبر جاريا على معلوماتهم المخالفة لما وجد من تأليف ديوفنت الآن الظاهر أن الطريقة الجبرية المستعملة في الهندستان من التعليمات اليونانية وأما الحساب فنعلم أن الهنود لم يستعملوا أرقامه العددية الا في زمن حديث بعد ان استفادوها من أهل أوروبا على ما يظهر ثم أوصالوها اليها بغير صورتها الاصلية

وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الفرنج فانا لانشكر علماء بغداد على حفظهم كتب علماء الاسكندرية فقط بل مع ما اخترعوه في هذه الفنون نحو ما اخترعه البتاني الملقب ببطليموس العرب من استبدال أوتار الاقواس التي استعملها اليونان في حساب المثلث بأنصاف الاوتار للاقواس

المضاعفة وهى جيوب الاقواس المصورة قال ان بطليموس لم يكن يستعمل الاوتار الكاملة الا لتسهيل الاثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استصوبنا استعمال انصاف الاقواس المضاعفة وقد وصل الى معرفة القاعدة الاساسية لمساحة المثلثات الكروية واستعملها في مواضع كثيرة واخترع أيضا عبارة جيب وتمام جيب التى لم يستعملها اليونان والخطوط المماسية للاقواس وأدخلها في حساب الارباع الشمسية وسماها الظل الممدود وهو المعروف في كتب المتأخرين بالخط المماس المستعمل في حساب المثلثات ثم ظهر بعده بقرن استعمال الخطوط المماسية في مساحة المثلثات زمن ابن يونس وكذا في زمن أبي الوفاء الذى أخذ من سنة ٩٣٧ الى سنة ٩٩٨ ميلادية يذكر المسائل المتعلقة بالجيوب حتى عرف خطوطا آخر تتعلق بمساحة المثلثات استعملها في كتابه ليستعين بها على حل نظريات في علم الفلك المطبق على الكرة وسمى بظل التفاضل والظل المستقيم أو العامودى مانسميه الآن بالخطوط المماسية وظل التمام كما سمي بقطر الظل مانسميه بالخطوط القاطعة

ولابث ابن يونس يستعمل من سنة ٩٧٩ الى سنة ثمان وألف اطلالا أى خطوطا مماسة واطلال تمام حسبها جداول عنده تعرف بالجداول الستينية واخترع حساب الاقواس التى تسهل قوانين التقويم وتريح من كثرة استخراج الجذور المربعة

ثم أتى (ريجيو مونتانت Régionmontan) بعد أبي الوفاء بخمسة مائة سنة فنفي العبارات المركبة غير السهلة الدالة على الجيب وتمام الجيب وابتكر جابر الفلكي المتوفى سنة ١٠٥٠ ميلادية في مساحة المثلثات الكروية القانون الخامس من القوانين الستة التى تستعمل في حل المثلثات ذوات الزاوية القائمة وبقى القانون السادس مجهولا حتى اخترعه الخواجه ويبيط في القرن السادس عشر وهذين القانونين حصرا الزاويتين المائتين من المثلث ولم تعرف اليونان الا القوانين الاربعة الاول وكانت تكفيهم في العمليات لان حالة الزوايا الثلاثة المعروفة لم تكن

توجد

توجد في طبيعتهم مساحة المثلثات على علم الفلك
هذه ابتكارات العرب الذين نجحوا في ممارسة علم الفلك وانقطع اليه منهم
كثيرون مؤلفون حسبوا الزمن بأحدى التطبيقات المعروفة بفن صناعة الأرباع
التي هي من مسائل الهندسة الحقيقية وكانوا يرون أهميتها حيث لم يكن لهم
غيرها في حساب الزمن واشتغل بها المهندسون من ابتداء القرن التاسع من
الميلاد وألف الكندي وثابت بن قرة في هذا الفن الذي عرفه الخواجه
(موروليقوس Maurolycus) قبل غيره من فرنج الأعصر الأخيرة ولذا اعتبر
كأبه بين أهل عصره

وأما فن صناعة الأرباع الميقاتية التي كانت تستعملها العرب فألف فيها
أبو الحسن علي المهندس الفلكي رسالة بها أول استعمال لخطوط الدالة على الساعات
المتساوية فإن اليونان لم يستعملوها قط وقد فصل صناعة الخطوط الدالة على الساعات
الزمانية المسماة أيضا بالساعات القديمة والمتفاضلة واليهودية واستعمل خواص
القطوع المخروطية في وصف أقواس البروج الفلكية

وحسب خطوط المعادلة ومحاور تلك المنحنيات لمعرفة عرض محل الشمس وانحرافها
وارتفاع الربع الميقاتي وألف في تقسيم الطرح محمد البغدادي المشتهر في القرن
العاشر من الميلاد بالهندسة رسالة موضوعها تقسيم أي شكل إلى أجزاء متناسبة
مع أعداد مفروضة بخط مستقيم يرسم وهي اثنتان وعشرون قضية سبع في
المثلث وتسع في المربع وست في الخمس وألف حسن بن هيثم المتوفى بالقاهرة
سنة ١٠٣٨ كتابا على نسق كتاب اقليدس وإن بابه في أن قضايه الهندسية
دعاوى جديدة لم تعرفها القدماء وهو كتاب جليل يشبه رسالة اقليدس ويستحق
أن يعتبر واسطة بين كتاب القواعد المفروضة والبراهين الاستقرائية لاقليدس
وكتاب المحال المستوية السطوح (لاپولونيوس Appollonius) وبين كتابي (سمسن
Simson) و (استيوارت Stewarat) فإن يمثل تلك الكتب كمال الهندسة
الابتدائية المعدة لتسهيل حل الدعاوى النظرية

﴿المبحث السابع عشر﴾

﴿في تقدمات العرب في الجغرافيا الرياضية وتقصان الرسائل اليونانية﴾
﴿التي استفاد العرب منها هذا العلم﴾

كان (ايراتسطينس Eratosthenès) اليوناني أول عالم في عصره بين اليونانيين جعل وصف الكرة الأرضية مذهبا له دون غيره وحسب الاراضى المعجورة من المحيط الاطلانطيقي الى نهر الكنج ولم يغلط الا في نحو ست وعشرين درجة جغرافية تساوى (٨٨) كيلومتر تقريبا وذن أن هذا النهر يصب في البحر الشرقى واعتبره الحد الاكبر لقارة آسيا الا أن معلوماته الجغرافية كمعلومات معاصريه بسيرة ثم تقدمت العرب في هذا الفن كالفنون السالفة ووجدوا كتاب المجسطى لبطليموس الذى تحيى اللاتينيون عن طريقته التى وصفها لقلة صدقه حتى تجددت المعلومات

وكان الاقدمون يستفيدون من جوب الاتاق فوائد مهمة في تقويم البلدان وتحديد المسافات ومنهم الخواجا مارين الصورى ألف من رحلته في الجغرافيا العامة كتابا حصر فيه جميع أطوال الاراضى بين خطى نصف النهار الماراً أحدهما على الجزائر الخالدات وثانيهما على سراطينة فيكون بينهما ١٢٥ درجة جغرافية وهول في التقويمات الباطلة لايراتسطينس حيث جعل ما بين الجزائر الخالدات ومصب نهر الكنج ١٤٥ درجة جغرافية بدل جعلها ١٣٩ درجة وسبع دقائق وأربعا وثلاثين ثانية ثم جاء بطليموس فجعل الخمس والعشرين درجة والمائتين اللاتى ذكرهن مارين الصورى ثمانين ومائة درجة مع أنه لم يتفحص في كتب السلف ولم يصحح ما فيها من الغلطات ولم يؤلف كتابا جديدا بل اكتفى بما ذكره من المفروضات غير محققة ولم يغير شيئا من مقادير الأطوال التى حددوها مارين الصورى وجعل ما بين ابتداء الجزائر الخالدات ورأس كورى ١٢٥ درجة وعشرين دقيقة وما بين رأس كورى وسراطينة ٤٥ درجة وأربعين دقيقة لامة درجة حتى توصل الى جعل جميع امتداد القارة القديمة

ثمانين

ثاني ومائة درجة والعجب منه حيث نسب اليه رسالة جغرافية استرشد فيها بكلام مارين الصورى وليس له فيها الا ترك الخرائط المصورة فيها الارض مبسطة واستصواب طريقة ايرقة التي رسم فيها جميع خطوط أنصاف النهار وموازياتها أجزاء من الدائرة تتقاطع عند تلاقيها ويتكون منها زوايا قائمة واستعمل الجغرافيون تصويرا يبرقة اذا أرادوا وصف أجزاء الارض المحصورة بين خط الاستواء والقطب الا أنهم أخطوا في قولهم ان بطليموس الذى لا نظير له في التنظيم والترتيب لم يستطع استعمال المبادئ التى بين يديه وقت تصريفه الا بعد بحث جديد مبني على جميع معلوماته الرياضية والفلكية فان كتابه على خلاف ما قالوا الاشتماله على جميع الغلطات القديمة وخلوه عن رائحة الاتقان والاصلاح في تنقيصه درجات الاطوال السابقة ولذا تحى اللاتينيون والعرب في القرون المتوسطة عن الاشتغال بالجغرافيا حتى تجددت المعارف ثانيا في أوروبا فتجددت آراء بطليموس وصارت أزياجه أساسا للعلم ونموذجا لرسم الخرائط وجهل أعظم علماء الفرنج اصلاحات العرب لموافقات بطليموس واشتغلوا بتأليفه ظانين أنهم سالكون سبيل الهداية حتى رأوا استحالة تطبيق آرائه فان (ادا جاتودايمون) رسم في الاسكندرية خرائط جغرافية على مقتضى الاطوال والعروض التى ذكرها بطليموس ومارين الصورى منتصرا لمذهبهما المقتضى وجود كثير من القارات المجهولة على الكرة الارضية فظهر من المدارس القديمة الموجودة اذذاك جغرافيون أبدوا ما في الخرائط المرسومة على رأيهم من العيوب الاساسية واختاروا أن يجعل شكل الارض المسكونة كرويا أو بيضاويا أو مربعا وطبقت النصرى هذه الافكار على جغرافية التوراة أحسن من تطبيقهم آراء بطليموس ومارين عليها كما أن تخطيطات ماري جبروم سنة ٣٩٧ ميلادية واتيقيوس سنة أربع مائة (وأوروز Orose) سنة ٤١٤ (ويوليوس هونوريوس Jules Honorius) سنة خمسمائة مبانة للسرواية المعزوة الى علماء الاسكندرية وقال تسماس انديقويلاطيس سنة خمسين وخمسمائة ميلادية ان الارض المحورة مربعة ولا يعول على هذا المذهب وغيره المخالف لكروية

الأرض المقتضية ان يكون بيت المقدس في وسط الدنيا كما قال أيسيدور الشبلي
سنة ستمائة ميلادية

﴿المبحث الثامن عشر﴾

﴿في رفض مدرسة راونة آراء بطليموس الجغرافية﴾

أخذ الامبراطور (تيودوز الثاني Théodose II) ملك القسطنطينية بحث
اليونان من ابتداء سنة ٤٣٥ على الاشتغال بالجغرافيا وأمرهم أن يجددوا
خريطة المملكة اليونانية فاتخذوا مدينة راونة مركزا لتعلم الجغرافيا وبكتبخانة
هذه المدينة رحلات عليها حواش ولها جداول به رسم الطرق والدروب بالألوان
وبينما الجهالة منتشرة في القرون الوسطى بأوروبا كان الرهبان في الديور يشتغلون
بذلك العلم ويرسمون ما اقتصر علماء مدرسة راونة على ذكر أسماء بلاده ولذا
شوهه لدى رئيس دير مارمي چاك خريطة طريقة وأخذ رهبان جزائر الانكيز
ينقلون لبعضهم أخبار الممالك القاصية وما شاهدوه في أثناء جهم بيت المقدس
ويكبرون كتبجاتهم المشتمة اذ ذاك على كثير من المؤلفات الجغرافية وجمع
شرلمانيه ملك فرنسا علماء مملكته فجمعوا لجميع الدنيا خريطة مصورة بالحفر في ثلاثة
ألواح من فضة قطع ووزع أحدها على العساكر حين كان لوتيرين الملك لويز
الهادي يحارب اخوته سنة ٨٤١ ميلادية وكأن اللوحين الآخرين فعل بهما
كذلك وألف الراهب ديقيبيل سنة ٨٣٥ ميلادية في الجغرافيا التخطيطية كتابا
يذكر القارئ بما في الخريطة المرسومة زمن الملك تيودوز ويفيد اهتمام أهل
ذلك العصر بعرفة مثل ذلك التخطيط وكذلك الملك فريد الأكبر الجدير بالمقارنة
لشرلمانية حيث رعاياه على اكتساب الجغرافيا وبعث في السفن من استكشفوا
من بحر بلطيق الى مصب نهر وستول وسواحل بلاد نرويجه وأمر أناسا بترجمة
تخطيط الدنيا تأليف بولص أورو ز الى اللغة الدارجة وتكميله بالمعلومات
الجغرافية المكتسبة زمن سلطنته وذلك الكتاب هو المعروف بهرمسطا وكان
آخر الآثار المعتمدة في الجغرافيا عند علماء مدرسة راونة كتاب بريسيان
وخريطته

وخربطته المنشأة في عهد الملك ألفريد الاكبر وبما سلف يعلم أن اللاتينيين جهلوا جغرافية بطليموس ولم يعتمدوها الى القرن العاشر من الميلاد

﴿المبحث التاسع عشر﴾

﴿في تصحيح العرب كتاب بطليموس في العصر الاول سنة ٨٢٠ ميلادية﴾
لما اشتغل العرب في عهد الخلفاء الاول من بني العباس واغترفوا من كتب اليونان الرياضية والجغرافية كان كتاب بطليموس هو المرشد الاكبر ابراهم ثم أمر المأمون سنة عشرين وثمانمائة ميلادية بعمل أرصاد فلكية جديدة ببغداد وتصحيح أرصاد المجسطى بالزيج الجديد المحرر في خلافته واعادة تحديد الاطوال الارضية فعملوا ذلك وكان بصورة ما حدوده وسموه رسم الارض تجديد مذهب اليونان في ذلك وتحسينه عما كان عليه ولا مانع من نسبة بعض ذلك التحسين الى العلماء النسطورية الذين حفظوا معلومات المتأخرين من علماء الاسكندرية بلا نقص ولا تصحيح فان الخلفاء أعيدوا عليهم ليشاركونا العرب في تلك الاشغال التي منها تحديد الاطوال الارضية المسمى برسم الارض المدون في آن واحد بالعربية واليونانية وكان أصح الاقطار تحديدا ببلاد العرب والخليج الفارسي والولايات المروية بنهرى الدجلة والفرات وبلاد الفرس وسواحل بحر جرجان الجنوبية والبحر الابيض المتوسط وكان قياس درجة من خط نصف النهار في سهول صنعاء مساعدا على تصحيح أرياج بطليموس بدليل انطباقه بالاصالة على البلاد المجاورة لبغداد

ولم يكن من العرب الى القرن الحادي عشر من الميلاد تقدم في الجغرافيا الرياضية بخلاف الجغرافيا التخطيطية فانهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الى الاطلانطيقى الى تخوم مملكة الصين أنشؤا بالتدريج أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينتي قادس وطنجة الى أقصى آسيا احدها تخترق اسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز والثانية تخترق بلاد المغرب ووادي مصر ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز

وكرمان والسند والهند والثالثة والرابعة تعبران البحر الابيض المتوسط وتجه احدهما من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الاخبار الجميلة الفوائد فنورت اذهان الملاحين وعرفتهم الاخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير مستكشفة حق الاستكشاف واشتملت الازياج التي حررها البتاني بالرقعة سنة تسعمائة وابن يونس في القاهرة سنة ألف على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير وأما ابن حوقل والاصطخري والمسعودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميئاد فوصفوا في كتبهم صورة الاستكشاف الجديد وحسب العلامة الكوي سنة ١٠٧٧ الطوال من ابتداء الطرف الشرق من الارض القارة

وزعم بعض الفرنج أن العرب كانوا متبعين في أول أعصر بني العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادئ علم الفلك المسمى بسند هند ان صح نقله الى المنصور سنة ٧٧٥ لم يكن له تنظيم اعتبار عند العرب فانهم ظفروا عما قليل برسالات يونانية وتركوه لا يتفقهون باسمه الا ليبينوا مافيه من الغلط ولم يعولوا في شيء من الجغرافيا على كتب الهندود المشاهدة فيها أن بحيت جزيرة الهندستان في مركز العالم وان خط نصف النهار الذي يبين نقطة وسطها يخترق مدينة أوجين وجزيرة سيلان وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الارضية وهي قبة عرين لتنصيب الطوال قطن بعض الفرنج أن المراد من عرين مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المذسوبة الى عرين هي نقطة تقاطع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساو من الجهات الاربع الاصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافي وأما عرين فكلمة اصطلاحية أرادوا بها جزيرة موهومة بين الهندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ ديودور الصقلي بجزيرة أورافوس

وبدل

وبدل العرب خط نصف نهار عرين أوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من ابتداء القرن الحادى عشر الى الثالث عشر

﴿المبحث المتمم للعشرين﴾

﴿فى تصحيح العرب كتاب بطليموس فى العصر الثانى سنة ١٢٠٥ ميلادية﴾
افتتح العصر الثانى من أعصر اتقان العرب فى ازياج بطليموس بظهور العلامة البيرونى الفلكى سنة ١٢٠٥ ومدرسة بغداد اذ ذاك على ما هى عليه من عظيم الرونق والبهجة دعاه الملك محمود الغزنوى الفاتح لجزء من آسيا الى ديوانه فاستعد لتصحيح الغلطات الباقية فى حساب الاطوال المتعلقة ببلاد الروم وما وراء النهر والسند ولان يعمل لممالك المشرق قافونا جغرافيا ألفه فكان أساسا لاكثر القسموغرافيات المشرقية قابله وصحح بعضه خوشيار الفارسى الفلكى كما أن عمر الخيام الفلكى ضبط حساب الروزنامة السنوية سنة ١٠٧٦ بأمر السلطان ملك شاه وحمد باصح كيفية مدة السنة الفلكية المعروفة بالاعتدالية وقد أفادنا غاية معلومات العرب فيما يتعلق بقارة آسيا نصير الدين الطوسى وخوشيار الفارسى ومؤلف زيج الجزائر وكذا كتاب القياس أى زيج التماثل واشتهر من سنة ألف الى سنة ثلاثمائة وألف ميلادية جمع من الافاضل منهم البكرى سنة ١٠٩٧ ترجم كتابه الخواجه كتر مير وشهره

والادريسى المولود بمدينة سبته سنة ١٠٩٩ ميلادية تعلم العاوم بمدينة قرطبة ثم خدم فى ديوان روجير ملك جزيرة سيسيليا فصنع له من الفضة لوحا مستديرا زنته ثمانمائة رطل افرنجى (الرطل ثمان أواق افرنجية والوقية ثمانية دراهم افرنجية) وحفر فيه باللغة العربية كل ما عرفه من جميع ممالك الدنيا المعلومة اذ ذاك وألف فى الجغرافيا رسالة لبث رسامى الخرائط الجغرافية من الفرنج ثلاثة قرون ونصف مقتصرين على نقلها ولم يزيدوا عليها الا شيأ قليل الاهمية وأبان فى تأليفه عن أول نقطة التماس التى بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وترجم كتابه الخواجه يوبرت وياقوت سنة ١٢٢٥ ميلادية

﴿المبحث الحادى والعشرون﴾

﴿فى تصحيحات العرب فى العصر الثالث الذى أوله سنة ١٣٣٠ ميلادية﴾
 ﴿وفى الكلام على قبة عرين وآخرا حصل من اجتهاد العرب فى هذا العلم﴾
 ﴿من سنة ١٣٥٠ الى سنة ١٦٤٨ ميلادية﴾

علمت مما سلف تبدل حقيقة مركز العالم والمشرق بظهور كتاب رسم الارض وقانون البيرونى وأما الجزء الغربى من المملكة الاسلامية وهو ساحل اسبانيا وبلاد المغرب فلا يزال مشتملا على أقيسة زائدة مع ان ارزاقيل الاندلسى الفلكى سنة ثمانين وألف ميلادية كان عنده رصد مضبوط لطول مدينة طليطلة جعله أربع ساعات وعشر ساعة بعيدا من عرين وأما طول البحر الابيض المتوسط الذى جعله بطليموس اثنتين وستين درجة ثم جعله العرب فى كتاب رسم الارض أربعاً وخمسين درجة فقد قدر بعد ذلك باثنتين وأربعين درجة غير أننا لم نستفد من ذلك الرصد بخلاف ما عمله أبو الحسن على المراكشى المشتهر سنة ١٣٣٠ ميلادية من التصحيح المهم الذى كان به كتابه من أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيا

وميز العرب فيما سلف المغرب المعمور من المغرب الحقيقى للدنيا بتنقيصهم أول مرة عشر درجات من حساب القدماء وجعلوا المغرب الحقيقى قريبا من جزائر آسورة ولم يعرفوا تجمع هذه الجزائر فاختاروا خط نصف النهار المار بقبة عرين والمتعد مع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس فاستفادوا من ذلك ضبط جدواولهم وكأن أبا الحسن استعمل خريطة رسمت فى الزمن الاول غير مضبوطة كما استعمل مثلها جغرافى آخر من أهل المغرب يقال له ابن سيد غير أن أبا الحسن جدد جزءا من تلك الخريطة بأضبط منه بخلاف ابن سيد ومن نقلوا عمله فاتهم جهلوا ذلك التجديد ونقلوا الى الجغرافيين من أهل المشرق الخريطة الاصلية على ما هى عليه من الغلط ولذا ترك أبو الفداء الذى لم يطلع على التجديدات المتعلقة

المتعلقة بجغرافية بلاد المغرب واسبانيا مواضع خالية من جغرافيتها في رسالته الكبرى

وبدأ الانحطاط بعد من أسلفنا من أبي الحسن والجغرافيين من الفرس فان القزويني الملقب بوجه الحق المتوفى سنة ١٢٨٣ ميلادية لم يكن منه غير نقل كلام أسلافه حرفيا وصرف ذهنه الى التاريخ الطبيعى والعلامة النويرى المصرى المتوفى سنة ١٣٢٠ لم يحتو كتابه الجامع لعلوم كثيرة على ملحوظات زائدة عما حققه سلفه وأما ابن بطوطة الذى رحل سنة ١٣٢٥ من مدينة طنجة وطنه فشهد الديار المصرية وبلاد الفرس وما وراء النهر والهندستان والصين ثم طاف بعد عشرين سنة باسبانيا ومغرب افريقية فلا يوثق بكلامه لاملأته سياحته من حافظته بعد المعاينة مع تصديقه كل ما يلقى اليه من الحكايات التى لا تعقل

وابن الوردى مؤلف خريدة العجائب المشهور فى الزمن السالف عند الفرنج وكذا بحلب من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٣٤٩ ميلادية لا ينبغي أن يستمد من كلامه الا مع الاحتراس من الخطا وأبو الفداء أمير جاء من سنة ١٢٧١ الى سنة ١٣٣١ ميلادية لم يلتفت الى غلطات أسلافه التى نقلها ولا الى تغير بعض الارقام العددية التى أثبتتها بلا نظرفها وصدق بفوائد علمية وانحة البطلان ونسب الى من نقل عنهم هفوات تسخيل على مثلهم الا أنه يفوق ابن الوردى فانه وان لم يكن الا مختصرا تآليف غيره قد استند الى المعلومات الرياضية ولام جميع من اتبعوا غير هذا النهج الرياضى فى كتبهم باهمالهم ضبط الاطوال والعروض البلدية ونقل جداوله من أربعة جداول فابق لنا كثر علم حقيق وأتى بعد أبي الفداء فضلاء اشتهروا بالجغرافيا وهم العلامة الذهبى المتوفى سنة ١٣٤٧ ميلادية والبكرى المشتهر سنة ١٣٩٧ والمقرىزى المشتهر من سنة ١٣٩٧ الى سنة ١٤٤٣ وابن اياس وكذاليون الافريقى المشهور بالحسن المشتهر سنة ١٥١٩ ميلادية

وبعد أن خرب النيمور لنكيون ممالك آسيا شوهدت أشغال علمية في ابتداء القرن الخامس عشر فإن الملك شاه رخ بعده أن استولى على بلاد الفرس وجزء من الهندستان تودد الى رؤساء الممالك الاخر وأرسل سفراء كثيرة الى عامل الصين سنة ١٤٢٠ ثم عبد الرزاق السمرقندى الى الهندستان سفيرا الى ملك كالكتة وشرع ابنه أولوغ بيك المشهور بآياجه الفلسفية في رسم خريطة جميع الدنيا سنة ١٤٣٧ واعتمد عليها نصير الدين الطوسي في مؤلفاته وساح على القوشجى باذن أولوغ بيك في بلاد الصين فنضب قياس درجة من خط نصف النهار ومقدار مساحة الكرة الارضية

وكان لعلم الجغرافيا الاسلامية خرائط بحرية أيضا رأى منها الخواجه واسقوجاما سنة ١٤٩٧ عند المعلم قنا (أو ككنا) المغربى المقيم في الجوزرات (قرب الهندستان) حين أخذه معرنا لسيار السفينة الى مدينة ميلندة في زنجبار واستعان البوقرق الاكبر (البرتغالى) في ملاحظته ببحر عمان والخليج الفارسى بخريطة أخرى من رسم عمر العربى فى سنة ١٤٤٨ ونختمت سلسلة الرسائل الجغرافية الالاقى ألفها المشرقون بكتاب الخطيب الجلبى المسمى بجهان نامته المستعين فى هذا المؤلف بمؤلفات الفرنج المشتملة على الاستكشافات الحديثة المهمة التى عثر بها البرتغاليون والاسبانيون

﴿المبحث الثانى والعشرون﴾

﴿فى تلخيص الاستكشافات العظيمة التى جاءت بها العرب فى علم الفلك﴾

﴿والعلوم الرياضية وعلم الجغرافيا﴾

أدرجنا فى الابحاث السالفة مؤلفى العرب والفرس لانتساب سائرهم الى مدرسة واحدة ولان الاصطلاحات العلمية التى جرت عليها المشاركة كان سائرها ألفاظا عربية لتغير صورة اللغة الفارسية الى العربية منذ زمان طويل بعمارسة القرآن والحركة العقلية الفاشية فى القرن الثامن بعد الميلاد منذ تولى بنو العباس منصب الخلافة وظهر تحكم التمدن العربى المتسع

به نطاق لسان العرب الذى أدخله مترجوا لكتب اليونانية فى الاصطلاحات
فسهل انطباقها على المعلومات التصويرية التى عزا الفرنج اختراع أكثر
استكشافاتها الى علماء منهم كانوا بالقرن الخامس عشر والسادس عشر مع أن
اختراع أكثرها ما كان الا للعرب الذين اجتهدوا فى تقدم العلوم ونلخص لك
اجتهادهم فنقول

الاول ان استبدال الاوتار بالجيوب وادخال الخطوط المماسية فى حساب مساحة
المثلثات وتطبيق الجبر على الهندسة وحل المعادلات التكعيبية وأذكى تصورات
العلوم الرياضية شاهدنا جميعها فى مؤلفات العرب المكتوبة بخط اليد التى ظفرتناها
الثانى أن العلماء الفلكيين ببغداد ضبطوا بغاية الدقة حركة أوج الشمس
وتدخل فلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك آخر ومقدار السنة

الثالث أن تقدم الجغرافيا الرياضية وتصحيح أزياج بطليموس كانا على أيدي العرب
الرابع أن القرن السادس وما بعده الى السادس عشر كانت خالية من الفلكيين
الاورباوية متخلية بوجود من أسلفناه من أهل الارصاد العربية ولذا لم يعد
الفرنج فى كتبهم الا بعض أرصاد فلكية نصوا عليها فى كتبهم نصا ناقصا

الخامس ما تعجب منه فلكيو المشرق وهو رصد خاتة سمرقند التى أنشأ بعدها
بقرن الخواجا تيكوبراحة رصدخانه أورانيبرع سنة ١٥٧٦ ميلادية

السادس أن الفرنج زعموا أن آلة الاسطرلاب من مخترعات تيكوبراحة مع أن
تلك الآلة والربع والثقب موجودان من قبله فى رصدخانه المراغة التى أسسها
العرب العارفون للساعة ذات البندول

السابع أن العرب شهروا النقصان التدريجى لميل وسط فلك البروج قبل
متأخرى الفرنج بزمان طويل

الثامن أن العرب قدروا مبادرة الاعتماد على تقديره الحق من ابتداء القرن
الحادى عشر

التاسع أنهم رصدوا اختلافات أعظم عروض القمر قبل تيكوبراحة بأكثر
من ستمائة سنة

العاشر أن تحديد الاختلاف الثالث في عرض القمر وان كان أكبر استكشاف مثبت نفاذ تيكو براحه لـ كن لا بد لابي الوفاء الفلكي من منازعته في نفاذ ذلك الاستكشاف

ولا يخفى أن الاستكشافات السالفة تفيد علم الفلك المشرقى مزية الاصلة والاولية التى لا يستطيع الامساك عن الاقرار بها أحد من الفرنج الذين استكشافاتهم لمعلومات الكتب العربية شواهد على تقدم العلوم الرياضية عند العرب الذين استفاد منهم اللاتينيون الاستمدادات الاولية فان جوهرت الذى كان بابا رومية وملقبا بساوستر الثانى أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفرنج العلوم الرياضية التى اكتسبها من عرب اسبانيا

(وادهيلارد Adhémar) الانكليزى ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية فى كل من اسبانيا ووادى مصر وترجم مبادئ اقليدس من العربية بعد أن ترجمها العرب من اليونانية وترجم أفلاطون (المنسوب لطيفوليا وهى مدينة قرب رومية) من العربية الرياضيات الكروية المنسوبة الى (ثيودوز Theodose) كأن الخواجه رودلف أحد أهالى بروجس البلجيكية ترجم مسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الارضية أو السماوية المصورة مبسطة على خريطة وليونرد أحد أهل بيرة ألف سنة ١٢٠٠ ميلادية رسالة فى الجبر الذى تعلمه بلاد العرب وقيانوس من أهل نوازة (فى اسبانيا) ترجم فى القرن الثالث عشر كتاب اقليدس ترجمة جديدة وشرحه ووتليمون البولندى ترجم كتاب الخازن فى علم الضوء والنظر وترجم جيرارد الكريونى المجسطى وشرح كتاب جابر وغير ذلك فانتشر علم الفلك الصحيح وشهر الفلك القسطلانى سنة ١٢٥٠ ميلادية الازياج الفلكية المنسوبة اليه

وكان الملك روجير الاول ملك السيجميليين مساعدا العلماء العرب بسياسيا لاسيما الادريسي ثم أتى العاهل فردزيق الثانى بعد روجير بمائة سنة فلم يأل جهدا فى المساعدة والحث على كسب العلوم والمعارف الادبية المشرقية

وكان

وكان أولاد ابن رشد مستخدمين في ديوانه ويعلمونه التاريخ الطبيعى فى النبات
والحيوان

﴿الباب الثانى﴾

﴿فى العلوم الطبيعية التى كانت عند العرب﴾
﴿وفيه مقدمة وأربعة مباحث﴾

﴿المقدمة﴾

قد اتسعت العلوم الطبيعية زمن اتساع العلوم الرياضية ولكن لانعرف عصر
نشأها لتسلسل التصورات فى جميع الاشياء التى يجول العقل فهانعم الاشتغال
بعرفة حقائق الكائنات العالوية والسفلية وتفصيل مايتعلق بها وضبط قياس
الحركة والفضاء الذى تتم فيه بواسطة التأمل فى الطبيعة حدث زمن ارسطاطاليس
على أن ذلك البحث كان فى الغالب متعلقا بالاجسام العضوية وهى الحيوان
والنبات ثم ارتقى ذلك زمن العرب الى درجة البحث عن القوى الطبيعية
والجواهر الأولية التى تحلل لادخالها فى مركبات أخرى لانهم كانوا يسكنون
بحيث جزيرة العرب بما بين مدينة مسكات ومكة الذى به كثير من البهارات والصمغ
البسيسة والجواهر النافعة والضارة بالانسان فالتفتوا الى مزايا ما بأرضهم
من النباتات النافعة فى الطب والصنائع وزينة المعابد والقصور ومثلهم من فى
سواحل مالابار وسرنديب (سيلان) والسواحل الشرقية من قسم افريقية
فحصل كل على مزية لم يعلمها الاخر الا بواسطة تجارات أتت من مخزن جرها
الذى بين الخليج الفارسى واليمن وجابت بحيث جزيرة العرب حتى بلغت كنعان
والشام وأما البحث عن الجواهر الطبية الذى مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة
الاسكندرية فن مخرعات العرب فانهم المنشئون للاجزاءات الكيماوية
والموروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الادوية الذى انتشر بعد من
مدرسة سالرنه فى الممالك التى فى جنوب أوروبا

﴿المبحث الاول﴾

﴿في علم الكيمياء﴾

قد أدى انشاء الاجزائات والمادة الطبية اللتين هما أول ما يلزم لفن الطب الى الاشتغال بعلم الكيمياء الذي كان ابتداء العرب في التمدن مبدءاً للاشتغال به وهو عبارة عن مجرد التحليل والتركيب لا تركيب الذهب والفضة المسمى بالكيمياء السرية والاكسير والجمر المكرم وقد أوصلت العمليات الهرمسية وهي تراكيب الملاغم والمخاوطات المعدنية التي عملت في المعادن المطروقة الى أبدع الاستكشافات المعدنية وعرف تركيب الكبريتيك والماء المعشر والماء الملكي وتحضير الزئبق وتخدير الجواهر الكؤلية وغير ذلك من مؤلفات أبي موسى جعفر الكوفي المشتهر في القرن الثامن من الميلاد والفخر الرازي المتوفى سنة ٩٢٣ من الميلاد

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في علم النباتات والمادة الطبية والاقتصاد الزراعي﴾

لسمعة اطلاع العرب على مزايا النباتات أدخلوا في الادوية نباتات جهل اليونانيون خواصها كالراوند وشحم التمر الهندي وخيار شنبرو ورق السناء الملكي والاهليلجيات والكافور وعرفوا أنواع الطيب الذككية كجوز الطيب والقرنفل وغرسوا عدة أشجار من ذوات الزهور المذكورة والمؤنثة وعرفوا ما يتعلق بخصب آلات الذكورة والانوثة ورأوا استعمالهم السكر في الطب أفضل من استعمال القدماء العسل فادخلوه في مركبات كثيرة كشراب الورد وأشربة جلالية (بضم فشد) ومعاجين كثيرة واشتغلوا بعلم الجيولوجية وهو معرفة تركيب طبقات الارض وتكلم ابن سينا في المادة الطبية على شجرة الارز المسماة ديودقارة النابتة في جبال هيماليه وجعلها نوعاً من الشجر المسمى جوتيبيريس الداخل في تركيب زيت الترمنتين وقد أنشأ عهد الرجن الاول

خليفة

خليفة قرطبة يستأن نباتات بقرها وبعث الى الشام وغيره من الممالك
المشرقية سياحين لجمع البذور النادرة وكان قد غرس بقرب قصره في الرصافة
أول نخلة في قرطبة وبالجملة بذل العرب صادق الهمة والعزيمة في تعلم وتعليم
جميع فروع العلوم المتعلقة بالمولدات الطبيعية ولذا أنصفهم المؤلف ليبل في
كأبه الجديد بما يحكا من اشتغالهم بعلم الجيولوجيا ونقل دسائس عدة فصول
من كتاب القزويني المشهور باسم يلى المشاركة واشتهر حياة الحيوان للدميرى
الذى هو عند العرب بمنزلة بوفون عند الفرنج وبلغت العرب فى علم الزراعة
أقصى درج الكمال وأحدثوا فى اسبانيا السواقي ذات القواديس المعتادة الا ان
وكان عندهم فى الاقتصاد الزراعى معلومات شىبت بأوهام فاسدة الا أنهم كانوا
يعرفون طرقا عملية تستحق التفات الفلاحين اليها

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى علم الطب والمدرسة اليونانية العربية والفخر الرازى وابن سينا﴾
أخضر ملوك الفرس الا كاسرة من ابتداء القرن الثالث بعد الميلاد الغيسوى
أطباء اليونان فنشروا فى البلاد المشرقية آراء أبيقراط الطبية حتى سابت
المدرسة التى بجنديسابور مدينة الاسكندرية أيام البطالسة ثم فكت العرب
البلاد فكان مركز التعليم انطاكية وحران وظهر منهما أطباء جامعون فى الغالب
بين العلوم الرياضية والفلسفية عارفون باللغة اليونانية كالعربية التى ترجوا
اليها كتب ارسطو واقليدس وبطليموس منهم يحيى بن ناسويه طبيب هرون
الرشيد ألف فى الطب كثيرا من المؤلفات المعبرة عند المشرقين منها شرحه
المشتمل على ثلاثين كتابا وكتاب فى تحضير الادوية ورسائل فى أصناف الحى والاغذية
والنزلات والحامات وأنواع الصداغ والشقيقة وغير ذلك ترجم كثير من مؤلفاته
الى العبرانية ويوجد بكتجاناات أوروبا كثير منها بالعبرانية والعبرية ماث سنة
٨٥٥ ميلادية وله ثمانون سنة خلفه تلميذه حسين وأخذ من المأمون على كل
كتاب ترجمه من اليونانية الى العربية زنته ذهباً ترجم كتاب جالينوس وأبيقراط

وغيرهما وألف كتباً كثيرة في الطب والمنطق والفلسفي واختبره المتوكل حيث سأله عن سم قاتل بمجرد تناوله فقال لأعرف إلا الادوية الحافظة للصحة فأتخذه طبيباً وأغلق عليه توفي سنة ٨٧٤ ميلادية ومنهم جبرائيل المشتهر في علاج كثير من الادواء

والفخر الرازي محمد بن زكريا قام بإدارة المستشفيات في بغداد والري وجنديسابور وهو أول من أحدث المسهلات اللطيفة في الاجزائات والتراكيب الكيميائية الطبية واستعمال الخزام وأول من ميز القصب الخجري عن القصب الراجع الذي يكون أحياناً مضاعفاً من جهة اليمين وكان يرى أهمية التشرح في الطب الذي ألف فيه أكثر من مائة مؤلف منها كتب ضخمة سماها الحاوي في علم التداوي ورسالة في الجدري والحصبة استمد منها سائر الأطباء وأهدى إلى الأمير المنصور حاكم خراسان في القرن العاشر من الميلاد أحد أبناء العائلة السمانية عشرة كتب حسنة الترتيب والاسلوب طبعت في مدينة ونديق البنادقة سنة ١٥١٠ ميلادية وهي أول ما بحث فيه عن الجرة عمى كبيراً فنفع أن يعالجه من الأطباء إلا من عرف عدد أغشية العين وساح في الشام ومصر واسبانيا توفي سنة ٩٣٣ ميلادية واشتهر بعده بخمسين سنة على بن عباس الفارسي الجوسي ألف في الطب كتاباً عشرين مجلداً عشرة في قواعد الطب وعشرة في عملياته سماها الملكي وأهداه إلى السلطان عضد الدولة البويهى ترجمه إلى اللاتينية اصطفاً الانطاكي سنة ١١٢٧ ميلادية وطبعه ميخائيل كابلا سنة ١٥٢٣ في مدينة ليون بفرنسا

ولم يكن في حكماء العرب مثل الفخر الرازي وأبي علي الحسين بن سينا المولود في أفشانه من ضواحي شيراز سنة ٩٨٠ ميلادية كان والده حاكماً على شيراز وتعلم هو الطب في بخارا وعالج وهو ابن ١٨ سنة الأمير فوج السمانى وشفى من مرض عظيم فتقدم عند الملوكة السمانية ووعده محمود الغزنوى الاغداق عليه ان أقام عنده فأبى ودام على المغرب في البلاد وأقام عند قابوس حاكم

اقليم جرجان وجدد في ديوانه أعمال الطبيب اليوناني ايراز ستراطس وجدده له موثلا في مدينة الري حين كان سلطانها مجد الدولة ثم في مدينة همدان حين اختاره ملكها شمس الدولة ان يكون وزيرا وطيبا له ثم دعاه علاء الدولة للقيام بوظيفتي الوزارة والطب بأصفهان ألف كتباً من أجل المؤلفات منها القوانين وهي خمسة كتب ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازي تدرس بدارس أوروبا نحو ستة قرون تقريبا مات سنة ١٠٣٧ ميلادية

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في مدرسة اسبانيا وابن القاسم وابن زهر وابن رشد وغيرهم﴾
ظهر أيضا في مدرسة اسبانيا من الاطباء جمع منهم أبو القاسم خلف بن عباس المعروف عند الفرنج بالبوقاريس وضع علم الجراحة ووصف آلاتها وكيفية استعمالها وما يحصل في بعض الكيفيات من الاخطار وعين لخراج الحصوة موضع البضع الذي عينه متأخرو الجراحين من الفرنج ولم تعرف مؤلفاته بين الفرنج الا في القرن الخامس عشر من الميلاد مات سنة ١١٠٧ ميلادية وأبو مروان بن عبد الملك بن زهر ولد في بلدة بنافلور أدخل في المادة الطبية عدة أدوية وأحدث في علم الجراحة فتح شعبي التنفس ووصف أمراضا لم تكن موصوفة قبل مثل المرض المعروف بالتهاب الحجاب المنصف للتامور المحيط بالقلب وتعين لرد العظام المنتقلة الى مواضعها وجبر المنكسر منها ترجمت كتبه الكبيرة الى اللاتينية غير مستوفاة الترجمة استخدم عند الامير يوسف بن تشفين صاحب مراکش فاعدق عليه

ومن تلامذة ابن زهر أبو الوليد محمد بن رشد اتبع أصول الفلسفة الارسطاليسية وألف رسالة في الترياق وكأبا في السموم وأنواع الحمى وشرحا على كتاب ارسطاليس وشرحا على قوانين ابن سينا وكأبا فخرها مشهورا بالكليات طبع في مدينتي ونديق وليون وغيرهما

وكان عبد الله بن أحمد بن علي البيطار أعلم الاطباء بعلم النباتات ساح في البلاد

المشرقية زمنا طويلا وأكرمهُ السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي والكامل صاحب دمشق اشتمل مجموعهُ المسمى بالادوية المفردة المقسم أربعة أقسام على وصف جميع النباتات والأجار والمعادن والحيوانات ذات الخواص الطبية أصح فيه غلطات ديوسقوريدس وجالينوس وأوريان

وبالجملة كان ماوك المشرق يدعون العلماء الى دوا وينهم ويستقبلونهم بأنواع التشريف والاموال الجزيلة فكان منهم عدد لا يحصى حفظت أسماءهم في التواريخ اشتهر منهم في الطب ثابت بن قرة الطبيب الفلكي سنة ٨٥٠ ميلادية وأبو جعفر أحمد بن محمد الطالب الذي ألف سنة ٩٧٠ ميلادية في داء البرسام والسرسام وغيرهما وعلى بن رضوان سنة ١٠٧٠ ميلادية وجزلة بن جزلة سنة ١١٠٠ وعبد الرزاق سنة ١١٥٠ وهبة الله سنة ١١٥٥ والجلدكي الذي ألف سنة ١٢٥٢ كتابا في الجُر المكرم المسمى أيضا بالكيمياء السرية والصنعة الالهية وأبو الفرج سنة ١٢٨٦ واسحق بن ابراهيم سنة ١٣٠٠

﴿الباب الثالث﴾

﴿فيما كان عند العرب من الفلسفة والالهيّات والفقه والمعارف الادبية﴾

﴿ومخترعاتهم وفيه سبعة عشر مجنا﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطاطاليس﴾

زعم الفرنج أنه لم يكن فلسفة عربية وماذا لا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية وكانت ترجمة حسين الطبيب ويحيى النحوي كتب ارسطاطاليس مبدءا لاشتغال العرب بالمعاملات الفلسفية التي كان من رجالها الكندي ومحمد بن مسعود وأبو تمام النيسابوري وأبو سهل البلخي والاسفرايني والعمري ثم ظهر الفارابي وابن سينا فكانا أشهر رجال الفلسفة لتدوينهما لها على الصورة المذهبية التي نقلها عنهما

ابن باجه وأثير الدين الابهري وعلى الخونجى وابن رشد وأبو الصلت ونصير الدين الطوسى ثم جالوا فى مدارس المغرب ولا تظن أن العرب اقتصروا على تفسير كتب ارسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون لاسيما كتابه الاكبر المؤلف فى الشرائع وعدة كتب منسوبة الى فيثاغورس وكانوا يذكرون من قدماء اليونان هكثيرين أورفيه وأوميروس المحتوية أشعاره على الفلسفة الدينية والفلسفة السبعة وانكزاغورس وايرا قليط وديقراط والالياطيسه وسقراط وتلامذته واقليدس والفلاسفة الاسطوانية وكان عندهم فى الجزء الثانى من تاريخ علم الفلسفة مسائل فيمن كمل فلسفة ارسطو ومن شرحها وفيما يخص مدرسة الاسكندرية وكانوا يعتمدون أقوال بلوتين وبرقلس ويلهجون كثيرا بالقضايا العلمية وكانوا واسطة بين زمن الفلسفة القديمة والفلسفة المدرسية فى أوروبا وكانت المجادلة بين أهل الظاهر منهم والباطن عدة قرون فضل فيها بعض أهل المدارس المشرقية على بعض وكان منهم معتزلة بصرية ومعتزلة بغدادية وحكاؤهم الفلاسفة الذين ظهرت فلسفتهم على علماء الفرنج فى القرون المتوسطة بل وعلى أرباب الاسرار الروحانية مثل مارى بوناظطور

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى المعتزلة والمتكلمين والصوفية﴾

المعلومات المستفادة بطريق النظر أو الرياضة ان لم تقيد بواقعة الدين الاسلامى بكمشة مشائية أو اشراقية وان قيدت بذلك واستفيدت بالنظر فكلام أو الرياضة فتصوف وعلماء الكلام قسمان معتزلة يجعلون العقل أساسا للدين بمعنى أنهم يوجهون عقولهم نحو المطلوب فيحصلونه ثم يقولون الشرع الى ما أدركه العقل وسنية يجعلون الدين أساسا للعقل وهم أشاعرة وماتريدية وأما الفلاسفة فعرضون عن الدين رأسا ومن رجال أهل السنة نفر الدين الرازى محمد بن عمر المتوفى سنة ١٢٠٩ ميلادية وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن على البيضاوى

(٣١ خلاصة تاريخ العرب)

المتوفى سنة ١٢٨٦ أو سنة ١٣١٦ ميلادية وأبو البركات عبد الله أحمد بن
 محمد النسفي المتوفى سنة ١٣١٠ ميلادية وشمس الدين الاصفهاني المتوفى سنة

١٣٤٨

ومن رجال التصوف أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ولد سنة ١٠٥٨ ميلادية
 بطوس التي اتجر فيها والده في القطن المغزول تعلم العلوم في مدينتي جرجان
 ونيسابور ثم درس الالهيات في بغداد ثم سكن دمشق وانقطع عشر سنين يتأمل
 في مصنوعات الله ثم عاد الى التعليم في نيسابور ألف أكثر من مائة كتاب قصد في
 جميعها رفع شان الدين وأهمها الاحياء الذي كان سببا في تلقيبه بحجة الاسلام
 واشتهر ولهج كثيرون بان جميع الكتب الاسلامية لوضاع لكان شيئا قليلا
 ما بقى هذا الكتاب وكان عظيم الحب لاداب التهذيبية ولذا شحن كتبه بالحث
 على فعل الخير واجتناب الشر والتظاهر باخلاق التورع وقع الشهوة النفسية
 ومن رجال المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري ثم أبو علي
 الجبائي وأبو هاشم عبد السلام وأبو القاسم البلخي وابن عياش وأبو يعقوب
 السهام (بشد الهاء) وابراهيم بن سيار وآخرون

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في علم الفقه والحديث وفرق المسلمين الاربع صحيحة العقيدة والدين﴾
 علم الفقه أحكام استمدتها من الكتاب والسنة الائمة الاربعة وهم أبو حنيفة النعمان بن
 ثابت المولود بالكوفة سنة ٦٩٩ ميلادية المتوفى ببغداد وله سبعون سنة
 والامام الشافعي المتوفى بمصر سنة ٨١٩ ميلادية والامام مالك بن أنس المولود
 في المدينة المنورة سنة ٧١٣ المتوفى بها سنة ٧٩٥ ميلادية والامام أحمد بن
 حنبل المتوفى ببغداد سنة ٨٥٥ وله ثمانون سنة
 وأول من ألف في هذا الفن أبو حنيفة الذي ولي الرشيد تلميذه أبا يوسف
 القضاء سنة ٧٨٦ ميلادية ولم يأمن على القيام بوظيفة القضاء في جميع مملكته
 المتسعة

المتسعة الامن يعينه أبو يوسف فانتشر مذهب أبي حنيفة بالعراق والهند والصين وخراسان وما وراء النهر وسائر بلاد الجهم وأما مالك فانتشر مذهبه بإسبانيا فان الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن صريان بن الحكم قام بالحكم بعد أبيه وتلقب بالمنتصر سنة ١٨٠ هجرية وانتقل من مذهب أبي حنيفة الى مذهب مالك فاختص يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الذى حج وسمع الموطأ من مالك الا أبوابا وأخذ عن ابن وهب وابن القاسم وغيرهما وعاد الى الاندلس فولاه المنتصر القضاء ولم يول قاضيا فى الاندلس الا بإشارته فاتبع أهل الاندلس رأى مالك بعد ان كانوا على رأى الاوزاعى شيخ أبي حنيفة توفى يحيى سنة ٨٠٦ ميلادية وكان الغالب على أهل المغرب السنن والاثر حتى قدم عبد الله بن فروج أبو محمد الفارسى بمذهب أبي حنيفة الذى أظهره بعد ذلك أسد بن الفرات بن سنان قاضى أفريقية ثم تولى قضاء أفريقية سحنون بن سعيد التنوخى المولود سنة ٧٧٦ المتوفى سنة ٨٥٤ ميلادية فنشر مذهب مالك فتداول أصحابه القضاء حتى تولاه بنوه هاشم وكانوا مالكية فتوارثه كتوارث الضياع ثم أمر المعز بن باديس أن لا يتولى القضاء أو الافتاء بسائر المدن والقرى الا مالكي

ولم يزل مذهب مالك منذ تولى سحنون متبعاً فى بلاد المغرب والسودان وسائر أهل أفريقيا الا مصر فان الشافعى أتى إليها سنة ١٩٧ هجرية ونزل على بنى عبد الحكم فأخذ عنه جميع من بنى عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحرث بن مسكين وبنوه وكتبوا عنه ما ألفه وانتشر مذهبه بالديار المصرية فكان مقلدوه بها أكثر من غيرهم وفوض صلاح الدين الايوبى القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعى فلم يول القضاء بالديار المصرية الا شافعيًا ثم ولى الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٤٥ هجرية

أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ثم اختص القضاء بالحنفية تبعاً لقاضي القاهرة
الآتي من القسطنطينية

وتفرقت تلامذة مالك إلى العراق ومصر فكان منهم بالعراق القاضي اسماعيل
وطبقته كآب خوين منداد وابن اللبان والقاضي أبي بكر الأبهري وبمصر جمع
منهم ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم والحريث بن مسكين رحل من
الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك
في الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون تلميذه العتيبي كتاب العتبية فعكف
أهل الاندلس على الواضحة والعتبية ورحل من إفريقية أسد بن الفرات
وكتب عن أصحاب أبي حنيفة ثم انتقل إلى مذهب مالك وكتب عن ابن القاسم
في سائر أبواب الفقه كتاباً سماه الاسدية وذهب إلى القيروان فقرأها عليه
سحنون ثم ارتحل إلى المشرق ولقي ابن القاسم فأخذ عنه وعارضه بمسائل
الاسدية ورجع عن كثير منها فدون سحنون مسائلها وبين ما رجع عنه ابن
القاسم وكتب إلى أسد أن يأخذ بذلك فأنف فترك أهل القيروان مدونه
وعكفوا على مدونة سحنون على ما فيها من اختلاط المسائل بالأبواب فلذلك
سميت المدونة والمختلطة ومن كتب الفن المعتبرة الموضحة لآب مروان عبد الملك
القرطبي المتوفى سنة ٨٥٢ ميلادية والمجموعة لآب عبد الله محمد بن إبراهيم مفتي القيروان
المتوفى سنة ٨٧٣ ميلادية والمعزية لمحمد بن المعز المتوفى سنة ٨٩٤ ميلادية
والمبسوط لاسماعيل بن اسحاق قاضي بغداد المتوفى سنة ٨٩٥ ومن رجال هذا
المذهب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٩٧٠ ميلادية وابن
يونس أبو بكر محمد بن عبد الله الصقلي المتوفى سنة ١٠٥٩ وأبو الحسن علي
ابن محمد الربيعي المتوفى سنة ١٠٨٥ وابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد المتوفى
سنة ١١٢٩ والمازري أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي ولد في مدينة
مازارة بجزيرة صقلية وتوفي سنة ١١٤١ ميلادية وابن الحاجب المتوفى بالقاهرة
سنة ١٢٤٨ وابن فرحون المدني المتوفى سنة ١٣٧٧ ميلادية وقد جمع المؤلفات

العديدة

العديدة مختصر خليل بن اسحاق بن يعقوب المتوفى سنة ١٤٢٢ ميلاديه فكان أحسن كتب المالكية ترجمه يرون الى اللغة الفرنسية بأمر دولته حين نفذ حكمها على عرب الغرب وترجم الى اللغة الانكليزية كتابان الهداية في فروع الحنفية ألفها برهان الدين سنة ١١٨٠ ميلاديه ومشكاة المصابيح جمع فيه أصح الروايات أبو عبد الله محمود سنة ١٣٣٤ على حسب ما اعتمده الامام حسين الذي اشتهر في بغداد سنة ١٢٢٠ ومن هذين الكاين استمد الخواجه ميلس في كتابه المسمى تاريخ دين الاسلام

وقد اعتنى بجمع الاحاديث النبوية جمع من العلماء أولهم محمد بن شهاب الزهري وأما أول من بوجهاف سعيد بن عروبة والربيع بن صبيح بالبصرة ومعر بن راشد باليمن وابن جريج بكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحاد بن سلمة بالبصرة والوليد ابن مسلم بالشام وجري بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمر وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وألف مالك الموطأ مرتباً على أبواب الفقه وأتى البخاري في صحيحه بسبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثاً من مائة ألف حديث مشكوك فيه ومن أكثر من مائتي ألف حديث موضوع والمكرر من أحاديثه ثلاثة آلاف لذكرها في كل باب اشتملت على معنى يليق به وقد اتفق أهل السنة على صحة هذا الكتاب فكان وما شابهه من الينابيع الاربعة للتوحيد والفقه وهي القرآن والسنة والاجماع وكذا القياس الجاري فيما لم يرد فيه نص عن الشارع وكان مشابها لما نص عليه في أمر هو منشأ الحكم

﴿المبحث الرابع﴾

﴿في الفصاحة العربية وحفظ القرآن وحدة اللسان العربي﴾

كان للعرب من يداهم اهتمام بتحسين الكلام ولذا افترضوا به وتغالبوا فيه فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الذي أثبت لسانهم وبادرت الامم الاسلامية الى التكلم به

فكان مستمدا للقواعد النحوية وقواعد أساليب التأليف واختيار المحسنات والجناسات البيانية وغير ذلك مما يزيد على مائة فن ولذا استمد منه أبو الاسود الدؤلى المتوفى سنة ١٨٨ ميلادية قواعد نحوية كانت بابا للتوضيحات الكثيرة النحوية واتسع هذا اللسان العربى لمطالعة أهله الكتب اليونانية المشتمة على العبارات الجديدة حتى صارت اللغة العلمية لاهل المشرق والادب الفارسى قسما من علم الادب العربى فان الكتب العلمية باقية اذ ذاك لدى الفرس والترک على التأليف العربى كما أن الكتب العلمية كانت يسيلاد المانيا باقية فى القرون المتوسطة على التأليف باللغة اللاتينية حين اخترع المنسجیر نظم الشعر بالمانية

ومع تباين الامم الاسلامية ببلاد آسيا الى داخل بلاد الهند وافريقية الى داخل بلاد السودان فى الاخلاق والعوائد واللغات أتى القرآن حافظا للوحدة اللغوية والاحساسات النفسية فعلموا منه الاطفال فى المكاتب كلمات من قبيل ان شاء الله وما شاء الله والله أكبر والله كريم تمريناهم ثم الفاتحة ثم يعلمونهم فى المدارس الاجرومية لمحمد بن داود الصنهاجى والخلاصة المشهورة بالالفية لجمال الدين محمد بن مالك ومصباح المطرزي فى النحو وكتاب ابن هشام وأخذ الفرنسيون يعلمون كتاب دروس فى النحو وغيره مشتمل على مراح الارواح لاجد بن على بن مسعود وتصريف العزى لعز الدين أبى الفضل عبد الوهاب عماد الدين بن ابراهيم السنجانى وكتاب المقصود المشتمل على طريقة تصريف الاسماء والافعال ليوسف الحنفي وكتاب البناء المفيد طريقة احكام أجزاء الكلام التى لا تتصرف وكتاب الامثال المشتمل على جداول تصريف الافعال

وقد أوضح الخوارجادسائى الاصطلاحات النحوية ناظرا للقواعد المبني عليها لسان العرب ومضاهيا ألفاظ الطريقتين المشرقية والافرنجية وأطال فيمن ترجوا الكتب اليونانية الى العربية ومن دونوا النجوم من العرب بما يغنى عن الخيصوص مناقشهم وما أثرهم

﴿المبحث الخامس﴾

﴿ في علماء النحو والبيان والشارحين ﴾

فتح العرب البلاد واشتغلوا بالملك عن العلوم التي أقبلت عليها الأئمة المنقادة لهم ولذا كان أعظم علماء النوحيد وأقدم النحويين كسيبويه والفارسي والزجاج من الامة الفارسية وظهر على علماء اللغة الذين كانوا أشهر من غيرهم اسماعيل بن محمد الجوهري الملقب بامام اللغة العربية المولود وسط القرن الرابع من الهجرة بمدينة فاراب فيما وراء نهر جيحون ألف كتاب الصحاح مرتباً على حروف المعجم باعتبار الحرف الاخير لاحتياج الناس في الاكثر الى أواخر الكلام جاب بلاد الفرس والعراق العربي والشام ومصر ثم رجع الى خراسان وأقام في نيسابور التي اشتهر فيها سنة ٩٩٩ ميلادية هذا الكتاب الذي شرحه كثيرون واستمد منه الحواجا غوليوس والحواجا ميتسكي وكانا يعتبرانه أعظم القواميس التي منها المحكم لابي الحسن علي بن اسماعيل الملقب بابن سيده المتوفى سنة ١٠٦٥ ميلادية والعباب وهو عشرون مجلداً للإمام حسن بن محمد الصاعاني المتوفى سنة ١١٥٦ ميلادية ثم ظهر الفيروز ابادي محمد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب المولود في قنسرين بضواحي شيراز سنة ١٣٣٨ ميلادية فالف من العباب وغيره زمن انحطاط تقدم العرب كُتُبا في جميع ألفاظ اللغة العربية وهو ستون مجلداً كل منها في ضخامة صحاح الجوهري اختصر منه ما بين أيدينا من القاموس المحيط وهو بالنسبة له ك واحد من ثلاثين تقريباً ألف أكثر من أربعين كُتُبا وأغدى عليه ملك اليمن اسماعيل بن عباس الملقب بالاشرف وتجب السلطان بايزيد العثماني وتمور لذك من عظيم اعتبار الناس له فبعثوا له هدايا ساح في الاتفاق ثم أقام بزييد حتى توفي فيها سنة ١٤١٥ ميلادية وله ثمانون سنة ومن استفاد عظيم الشهرة بمؤلفاته أبو القاسم محمود الزمخشري المتوفى سنة ١١٤٣ ميلادية ألف المفصل ومقدمة لمطالعة النحو وقاموساً فارسياً وعربياً والكشاف المشتمل على معاني القرآن وما يتعلق به من اللغة والاعراب والبلاغة

المتعلقة بتأدية المعاني حسب المقاصد المتوقعة على علمي المعاني والبيان المعبرين في الادبيات المشرقية المستفادين من مثل الكشف والجرجاني وشرح التفتازاني على تلخيص المفتاح لجلال الدين محمود بن عبد الرحمن القزويني وحدائق البلاغة في البلاغة وضبط نطق اللغة الفارسية تأليف الامير شمس الدين وأدب الكاتب المشتمل على كيفية أساليب التعبير وأنواع الفصاحة لابن قتيبة المتوفى سنة ٨٩٠ ميلادية ومن أشهر علماء البيان ابن السكاسي الفارسي المشبه لدى بعض الفرنج بالخواجه قنطاريان في الاعتناء بوضع القواعد البيانية وصحتها وبالخطيب سيسرون (قيقرون الرومي) في الفصاحة وغزارة المحاسن وأتى العلامة الجوزي في كتابه المسمى المنهج الكلي بأنواع المعارف اللازمة للخطيب وألف السيوطي في هذا الموضوع كتابا تكلم فيه على صحيح اللغة العربية وجودتها وأيد كل قاعدة بعبارات ثقة المؤلفين وأما الخليل بن أحمد فاول من ألف في العروض الذي استمد منه من كلام قدساء الشعراء

﴿المبحث السادس﴾

﴿ في علم تحرير الادبيات وتجهيز المؤلفات وفي الحكايات والخرافات ﴾

﴿ المسلية والقصص الغريبة ﴾

كان العلامة الحريري المولود سنة ١٠٥٤ ميلادية المتوفى بالبصرة سنة ١١٢١ أول علماء تحرير الادبيات وتجهيز المؤلفات فضلا ورتبة ألف المقامة الحرامية فوكت في يد شريف الدين أبي نصرانوشروان بن خالد ابن محمد الكاشاني وزير الخليفة المسترشد بالله ووجدها مستوفاة التحرير والتجهيز فأمر الحريري أن يؤلف مقامات أخرى على نسقها فأنت خمسين مقامة مكوّنة من منشور ومنظوم على لسان انسان مفروض الوجود مشتملة على مقدار عظيم من محاسن اللغة العربية التي لو أتقن معرفتها انسان لعرف غزارة اطلاع صاحبها الذي أودعها مجازات والغازا قليلة الاستعمال ورموزا وامثالا أبانت صعوبتها ولذا شرحها كثيرون ومن مؤلفاته المنظومة المسماة ملحمة الاعراب وشرحها

وشرحها ومبقة الى ذلك النوع من التأليف أبو الفضل أحمد بن حسين الهمداني المتوفى سنة ١٠٠٧ ميلادية وله أربعون سنة كان يسمع القصيدة مرة فينشدها بلا تردد كما هي وكان يرتجل الشعر بغاية السهولة مع صحة الالفاظ وحسن التعبير افخر بابتكاره أربعائة مقامه

ومن الادبيات الخرافات والامثال الحكمية المنسوبة الى لقمان وحكايات ابن عرب شاه وابتكاراته المستورة الحقائق بالكليات والرموز وكأب ابن المقفي المسمى كليله ودمنه وكأب ألف ليلة وليلة الرابط للحقائق التاريخية بمناسبات مبتكرة ربما كانت لطيفة دقيقة ولا يعرف له مؤلف

﴿المبحث السابع﴾

﴿في الامثال السائرة ومجاميع الاغانى وهو الجزء الاول من اليتايبع التاريخية﴾
لاخفاء أن مجاميع الاغانى والامثال ينبوع للفوائد التاريخية فن الاول كأب الإغانى لابي الفرج على بن حسين الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٤ هجرية بناه على مائة منظوم نظمها لهرون الرشيد ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جاحى وفليح ابن عورة ثم زاد اسحاق بن ابراهيم على ذلك باذن الواثق أغانى معبد وابن سريج ويونس ومجموعات أغان لجمع من الخلفاء أو أبنائهم ثم بعض مقطعات مفيدة للقارئ ثم جاء الاصفهاني فزاد على ما اختاره من تلك الاغانى ما يوضحها من الاخبار والنكت وترجم الشعراء الناطقين وأبان تواريخ جزيرة العرب السنوية القديمة فانه كان متجرا في الانساب وسير مشاهير الرجال والمقاتلات الشهيرة والحوادث التي تخص أجداده الاوائل ولم يلتزم فيه ترتيبا منتظما ترغيبا للقارئ ولا تظن أن موضوعه مبتذل أخذنا من اسمه فانه يشتمل على فوائد نفيسة في تاريخ العرب المسمى والادبي مع غزارة نوادره المتنوعة المؤثرة في النفس ولم يعرف هذا الكتاب في أوروبا الا عند استيلاء الفرنسيين على الديار المصرية

ومن نقل هذا الفن الى مكة النضر بن الحارث ساح في البلاد فتعلم لغات أجنبية وطالع الكتب الادبية التي عند الفرس واليونان ونقلها الى مكة وأحدث بين

(٣٢ خلاصة تاريخ العرب)

أهلها حب الموي سبقي ولغزارة علومه كان عنده أنفة وتكبر فظاهر بالعداوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى انهزم حربه في غزوة بدر فأراق دمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرثته بنته قتيلة بقولها

يارا كما ان الا ئيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تخيـمة * ما ان تزال بها النجائب تعنق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخفق
دلى يسمعي النضران ناديتي * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد ياخير ضن كـريـمة * في قومها والفعل فحل معرق
ما كان ضرر لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعـنـن ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
ضبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو بلغنى شعرها قبل أن أقتله .
ما قتلتها

ومن الثاني أمثال الميداني الذي تعلم فيه أشهر العلماء الباحثين عن الامور
المشرقية أكثر فيه من نوادر منها ما هو غريب كقوله في مثل ان من البيان
لسهرا نطق بهذا المثل النبي صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه سنة ٣٥ هـ
ميلادية السفراء الذين أسلموا وهم عمرو بن أحطم والزبرقان بن بدر وكذا قيس
ابن عاصم الذي أرى أولاده حين حضرته الوفاة حزمة سهام ليفهمهم فوأند الاتحاد
وقال في تفسير هذا المثل وهو راجع أمثال الميداني يعني أن الشئ العظيم قد
يكون ناشئا من شئ حقير وأتى في مناسبة هذا المثل بتفاصيل استمد منها بعض
المؤلفين موضوع ما اشتهر من أن أولاد نزار الاربعة مضر واپاد وربيعة وانمار
لم يتفقوا على تقسيم أموال أبيهم بينهم فذهبوا الى الافعى الجرمي قاضي العرب
فوجدوا

فوجدوا في طريقهم رجلا يطلب جلا فقالوا له هل كان أعور أعرج مقطوع الذنب نفورا فقال نعم وطن أتهم أخذوه فقالوا لم نره وسألهم القاضى الافعى عن مقالتهم الى ذلك الرجل فقال مضر ظننت عور الرجل من أكله الحشائش من جانب دون آخر وقال ربيعة رأيت شدة انطباع أحد خفيه في الارض بخلاف الآخر فليس بواضح الصورة فعلمت عرجه وقال اياد رأيت روثه غير منتشر في الارض فعلمت أنه ابترو وقال انمار ظننت نفوره من تركه الكلد الغزي وذهابه الى أقل منه

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في اشعار العرب والمعلقات السبع وهذا القسم هو الجزء الثاني﴾
 ﴿من الينابيع التاريخية﴾

لهجت العرب بالشعر وجعلوه ديوانا لاخبارهم وشرفهم ومجدا لقراشهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب فكانوا أول المؤرخين لحوادث بلادهم فانهم كانوا يقفون كل سنة بسوق عكاظ فينشد الشاعر مافعليه من معالى الامور وما لقبيلته من الشرف والشهرة امام الفحول لانتقاد مايقول فان استحسنوه كتبوه بمحاول الذهب وعلقوه على الكعبة كما وقع لامرئ القيس بن حجر وزهير ابن أبى سلمى وعنتر بن شداد وطرفة بن العبد والحارث بن علقمة بن عبدة وباقي أصحاب المعلقات السبع المشتملة على أنواع التشبيه المبتكرة والاستعارات والجناسات التى اقتفاها المنشئون فى العصر التالية ولدامرؤ القيس سنة ٥٠٠ ميلادية وعاش فى حط وترحال مات والده شيخ قبيلة بنى أسد قتيلا فأراد الاخذ بثأره وسأل عرب البادية ان يساعده فابوا فسأل ملوك اليمن والامبراطور بوسطينان اهل القسطنطينية ثم مات بقرب انقرة مسموما وغضب ملك الحيرة عمرو بن هند والملك المنذر الثالث على طرفة بن العبد فدفن حيا وله عشرون سنة تقريبا وكان عنتر بن شداد رقيقا تبعا لامه حتى أعلن عتقه فى معركة وهو من قبيلة نبهان مشتهر بجودة القريحة فى قرض الشعر وكذا بجانب

الفروسية والغزوات التي ألف فيها بعض المتأخرين الحكاية المشهورة بين أهل المشرق وكان من الوفد الذي بعثه بنو طيء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة ٤٢٩ ميلادية ثم مات كبيراً ومعلقات هؤلاء الثلاث مع معلقة لبسند تتضمن صوراً فكرية وأما معلقة الحارث ففي المخاصمة بين آل بكر وبنى تغلب والمقاتلات التي انهزم فيها الخصام قبيلته بلا أخذ بالثأر ومعلقة زهير في صلح عبس وذبيان ومعلقة ابن كثوم في مدح التغلبيين عامة وجرهم خاصة ومن كان ذا قدم في قرض الشعر عمر بن أبي ربيعة كبير قريش الذي كان كثيراً ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به والشنفرى الأزدي وتأبط شراً والنابعة الذبياني الذي نال الرغد من ملوك الحيرة ثم من أمراء غسان وعاش إلى غرة القرن السابع من الميلاد ودريد بن الصمة المتوفى في واقعة حنين وهو هرم

وقد بدأ بهجوا الاسلام شعراء مكة كعبد الله بن زياد وأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمر بن العاص بن أمية قاصر النبي (صلى الله عليه وسلم) حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك بالرد عليهم فاشتدت بين الفريقين العداوة التي انقطعت بانتصاره (صلى الله عليه وسلم) على كفار قريش ومن هجا النبي كعبد بن زهير فحكم (صلى الله عليه وسلم) باهدار دمه وقتله أيماً وجد فأسلم وتنظم قصيدة بانت سعاد وقرأها امامه (صلى الله عليه وسلم) حتى بلغ ﴿ان الرسول لسيف يستضاء به﴾ مهنده من سيوف الهند مسلول ﴿فقال صلى الله عليه وسلم قل من سيوف الله ثم خلع برده الشريفة جائزة على المدح وعلامة على الصنم والقبول ولذا عرفت بقصيدة البردة ويقال ان العباسيين اشتروا هذه البردة ثم حفظت في القسطنطينية

وكان رناء العرب عظيم الشجوة وتبكيهم قوى الموقع والتأثير وامتداحهم جيد التعبير وأقوالهم في الرياض والازهار معروفة باللاطف والصدق لانهم لم يتكلفوا شيئاً بل وصفوا المظاهر التي رؤوها بأعينهم مع ما لهم من البراعة في الاشعار

الموسيقية

الموسيقية على الاعواد والاورار وكانوا يسمون كل مجموع أشعار قديمة لشاعر أو قبيلة ديوانا ويعتبرون هذه الدواوين فرعا من الدروس التاريخية ودام القريض على البلاغة الأصلية في بلادهم دون ما عداها فقد فقد فيها بلاغته وعلاو رتبته واستعمل في الكلام والحكمة والخبر والنحو وسائر الفنون

وقد ألف أبو الطيب المتنبى في القرن التاسع من الميلاد عدة قصائد في مدح الأمير سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان وحرر أبو تمام جبيب بن أوس الطائي ديوان الحماسة ثم استحسن الناس شعر أبي نواس المتوفى سنة ٨١٥ ميلادية وابن دريد المتوفى سنة ٩٣٣ وأبي العلاء المعري المتوفى سنة ١٠٥٧ وابن الفارض المتوفى سنة ١٢٣٥ ونظم الطنطراي سنة ١٠٩٢ ميلادية رسالة الغزالي في الفقه ونظم قصيدة أخرى في التصوف وألف كثير اظهر عند المشرقين وجعه على تلميذه في ديوان

ولم تزل العرب تتقرب الى الخلفاء بالشعر المشتمل على الاخبار واللغة وشرف اللسان فيجازون بأعظم الجوائز على جودة شعرهم ومكانهم من قومهم حتى انحطت السلطة العربية فغلب قبح الذوق على الادبيات وعيدت بقلة حسن ترتيبها وعدم ارتباط بعضها ببعض وعاب الفرخ الشعر الاسلامي بعدم التطويل الا قليلا كالف ليلة وليلة وقصائد أبي تمام التاريخية وقصائد جمال الدين وحكايتي المهدي والرجل الذي يختم صوته تأليف أبي يعلى بن الجباريه ومحاورات محمد بن محمد الذي أدخل في ميدان المتحاورين صناعة يتكلم المتحاورون فيها بلغة أربابها

وكان أدباء الاندلس يمزجون اذهانهم في القصص والحكايات المتخيلة التي كانوا يجتمعون كل ليلة لاستماعها وضم أهل غرناطة الى ذلك الآلات الموسيقية والغناء وكانوا يمارسون ضروب الشعر خصوصا نظم الحكايات المشتملة على نكت مشوقة حتى اشتهر كثير من الرجال وبعض نساء ونظم أعظم شعرائهم أبو عمر أحمد بن محمد المتوفى سنة ٩٧٠ ميلادية تاريخ الحوادث السنوية

الاندلسية المتعلقة بخلفائها الاموية واستمداد اقليم بر وانشه من دواوين هؤلاء قافية الشعر التي استعملتها العرب منذ احقاب وقد أعرب الكتاب المسمى رومنسرو عن أعياد تلك الازمان ولعب أهل مراغة ومراح الاثوار وحروب النصارى والمسلمين والرقص الذى عرفت به فداوية الاندلس المعروفون بالشوالية وعن الرقة التي اشتهر بها مغاربة الاندلس في جميع أوروبا

✽ المبحث التاسع ✽

✽ في مؤرخى العرب لاسيما أبو الفداء وأبو الفرج وبهاء الدين ✽ ليس ما أسلفناه من أشعار العرب ومجموعات الامثال والاعاني مختصا بإفادة التاريخ العرب فقد سرد حاجى قلفه ألفا وثلاثمائة مصنف في التاريخ وقال يحى أفندى في كتابه المسمى بالنتائج ان منها خمسة عشر مصنفًا حسنة الترتيب قليلة الكلام على الحوادث التاريخية القديمة ينبغي أن تدرس في المدارس لكنها خلت عما يلزم في التاريخ من الربط المعنوي بين الحوادث

وعد في الطبقة الاولى من مؤرخى العرب أبو الفداء وأبو الفرج وبهاء الدين وان كان ابن خلدون والمقرئى وشمس الدين والسيوطى والنويرى وأمثالهم ليسوا أقل من هؤلاء في الاعتبار كان أبو الفداء شجاعا في الحرب ذكيا في المشورة مولعا بحماس الفنون الادبية والعلوم ذات شوك سلطانية بحماه في ابتداء القرن الرابع عشر من الميلاذ ألف في التاريخ العام مختصرا استمده من تواريخ متوسطة الاعتبار لكن لا بأس بمراجعته للحصول على ثمره التاريخ السياسى والادبى الاسلاميين وتاريخ أمبراطرة اليونان أهل القرن الثامن والتاسع والعاشر بعد الميلاذ قسم هذا المختصر خمسة أجزاء ذكر في الاول قصص الرسل والانبياء والقضاة والملوك من بنى اسرائيل وفي الثانى العائلات الاربع التي منها ملوك الفرس وفي الثالث فراغة مصر وملوك اليونان وامبراطرة الرومان وفي الرابع ملوك العرب قبل الاسلام وفي الخامس تاريخ أهم مختلفة كالصائبة والقبط

والفرس

والفرس وغيرهم ثم الحوادث التي من مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) الى سنة ١٣٣٨ ميلادية ثم توفي بعد ثلاث سنين

وولد أبو الفرج بمدينة ملطية سنة ١٢٢٧ ميلادية وهو من الطائفة النصرانية المعروفة باليعاقبة تولى أسقفية جوبة فخلب فرياسة النصارى اليعقوبية بالمشرق ألف عدة كتب في الالهيات والفلسفة وألف بالسريانية تاريخا عاما ثم ترجمه بالعربية اجابة لرجا أحبابه وهو من ابتداء خلق الدنيا مشتمل على نفائس متعلقة بالعرب والمغول وجنكركن خان توفي سنة ١٢٨٧ ميلادية وولد بهاء الدين في الموصل سنة ١١٤٥ ميلادية واجتهد في الحديث والفقه ودرس في بغداد بالمدرسة النظامية ثم في الموصل بمدرسة القاضي كمال الدين محمد الشهرزورى وألف تاريخ السلطان يوسف صلاح الدين الايوبي الذي تقرب اليه فولاه قضاء الجيش ثم قضاء بيت المقدس وكان له التحكم العظيم في أيام أولاد صلاح الدين وتولى قضاء حلب فبنى مدرسة لتدريس العلماء وأخري للشبان ثم ترك القضاء سنة ١٢٣١ ميلادية واشتغل بالتدريس حتى توفي سنة ١٢٣٥ ميلادية

﴿المبحث العاشر﴾

﴿في ابن خلدون والمقرئى والسيوطى وأمثالهم﴾

لم يكن لدى مؤرخى العرب الحرية فى الافصاح عن حقائق الوقائع التاريخية خوفا من الملوك والحكام المشرقيين فان كاد منهم كان يحذر من كتابة الاحوال السنوية زمن سلطنته ويحذر من يخالف بالقتل فلذا احترس المؤرخون واقتصروا على ذكر ما يرفع شأن الحاكم الا ابن خلدون المولود بتونس سنة ١٣٣٢ ميلادية لم يحذر بطش الظلمة على ما يظهر حل وهو شاب وسط انقلابات بلاد المغرب فى القرن الرابع عشر من الميلاد فخدم يسيرا فى دولة ملوك فاس ثم قدم القاهرة ودرس لسائر الناس وتولى قضاء المالكية بالديار المصرية وعزل فطلبه

سلاطين المغرب لعلمهم بجلالة قدره ألف تاريخه السير والعبر فبدأ في مقدمته بالانتقاد التاريخي ثم بحث عن حال الجمعية التأسيسية البشرية في بداية أمرها وخطط الكرة الأرضية بأيجاز وبحث عن عظمة تأثير تنوعات الاقاليم في النوع الانساني وعن الاسباب الموجبة لعلو شأن الممالك واتحاطها وعن الشغل من حيث هو وعدد الصنائع العقلية والعملية وعن ترتيب العلوم حسب موضوعاتها وأيد قوله بأمثلة غريبة استمدتها من التواريخ السنوية التي عند الاعم ترجمها الى التركية محمد بيرا يزاده في عهد السلطان أحمد الثالث وتكام في التاريخ على أحوال البربر وكذا العرب الى آخر القرن الرابع عشر من الميلاد توفي سنة ١٤٠٦ ميلادية وله ست وسبعون سنة

وكانت عائلة تقي الدين أحمد المعروف بالمقرئ من أصول سكان بعلبك وولد هو سنة ١٣٦٤ ميلادية بالقاهرة فتعلم فيها العلوم ولاحت عليه بوارق النجاة والذكاء فتولى نيابة القضاء بالحكمة الكبرى تحت نظارة القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمري وولى الحسبة مرات ووظائف أخرى دينية وكان حنفيا فتشفع وضم اتباع أبي حنيفة فلامه العلماء ألف تاريخ السلاطين المماليك الذي ترجمه الخواجه كتر ميرالى الفرنسية وكذا الخطط المبينة عن الوقائع التاريخية الإسلامية بوادي مصر وعن سياسة ملوكه وإدارة حكمه وحركة تجارته منذ فتحه الصحابة (رضي الله عنهم) وشرع في تدوين تاريخ عام مشتمل على أحوال سائر من ملوك وادي مصر ومن أشتهر به ومن سبب كنه من الغرباء أوزاره من السياحين مرتبة أسماءهم على حروف المعجم وكان يبلغ لو كل ثلاثين مجلدا وهو في كتبخانة باريس الكبرى بخط منبئ عن كليات وجزئيات الطريق الذي سلكه مؤلفه المتوفى سنة ١٤٤٢ ومن المصريين المؤرخين بجمال الدين ابن واصل الموجود سنة ١٢٥٠ ميلادية استمد المقرئ كثيرا من كلامه وأبو المحاسن بن تغري بردى صاحب التواريخ السنوية المصرية من منذ الفتح الى سنة ١٤٥٣ ميلادية وابن اياس محمد بن أحمد الذي تم تاريخ أبي المحاسن حتى أوصله

أوصله الى سنة ١٥٢٢ تخلفه شمس الدين بن سرور فأوصل هذا التاريخ الى سنة ١٦٥٢ ميلادية

وجلال الدين عبد الرحمن السيوطى قرين عبيد اللطيف البغدادى فى الشهرة بتدوينه تاريخ مصر الممتد من خلق الدنيا الى سلطنة الملك الاشرف قايتباى ولد باسيوط سنة ١٤٤٥ ميلادية وألف كثيرا ذكر منه الخواجا أوديفريت فى شرحه على السيوطى نحو ستة وخمسين مصنفا توفى سنة ١٥٠٥ ميلادية ولا يخفى عظيم الخدم للعارف المشرقية الذى أداه الخواجا دسائى المترجم الى الفرنسية الخطة المصرية لعبد اللطيف البغدادى المعاصر لصلاح الدين الايوبى المولود ببغداد سنة ١١٦١ ميلادية المتوفى سنة ١٢٣١ ميلادية

*) المبحث الحادى عشر *

﴿ فى المسعودى والطبرى وابن الاثير والنويرى وأمثالهم ﴾
من مؤرخى العرب فى عصر عز الاسلام المسعودى الموجود فى القرن العاشر من الميلاد أولع منذ شببته بحوز العلوم فتجبر فيها ثم فى الفلسفة ثم الادبيات ثم الجغرافيا والتاريخ وسائر الكتب المختصة بالعرب وطالع تاريخ اليونان والرومان وجميع الامم المشرقية متقدمة أو متأخرة مع كمال معرفته بعقائد اليهود والنصارى والهرطقة والمسلمين والمجوس والوثنيين فعرف بين الخالص والعام بسعة الاطلاع فى سائر العلوم التى لم ينلها أحد من مؤرخى العرب ألف كتابا كبيرا يسمى اخبار الزمان وكتابا أوسط يبلغ مجموعهما أكثر من عشرين مجلدا فى الربع لاعلم لاهل أوروبا بهما وأما كتابه الاصفى المسمى مروج الذهب ومعادن الجواهر فوصل اليهم وهو مائة وستة وعشرون بابا منها خمسة وستون فى التاريخ القديم للعرب والعجم وواحد وستون فى النبى وخلفائه وليس مافى تلك الابواب تاريخا متسلسلا بل اخبار متفرقة ولرغبته فى الاطلاع على الحال التى يريد تدوين تاريخها قد لا يلتفت الى الانتقاد التاريخى وكثيرا ما كتب حكايات فى بيان الاسول المليسة لكن مؤلفاته على ما قال الخواجا كتر مير لا يكاد انقارئ يفهم منها شيئا لتنوع موضوعاتها وكثرة حلها لكثير من المسائل الصعبة (٣٣ خلاصة تاريخ العرب)

بتقييدات متنوعة لم يرجع الى وطنه بالعراق وتوفي بالقاهرة سنة ٩٥٦ ميلادية وكان قبل المسعودى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى ببغداد سنة ٩٦٦ ميلادية وله ثلاث وثمانون سنة أصله من أهل أموال تخت طبرستان تبحر فى الحديث والفقه وعلم من أئمة المسلمين ألف قبل المسعودى بقرن تاريخه الممتد من خلق الدنيا الى سنة ٣٠٢ هجرية الموافقة سنة ٩١٤ ميلادية وزعم بعض الناس ان مؤلفه اختصره من كتاب له أضخم منه وهو جليل القدر مشهور بالهجة عند المشرقين الذين ترجوه الى التركية والفارسية لخصه وذيله الخواجا جرجس بن أسيد القبطى الاصل المعروف بالماسين المولود سنة ١٢٢٣ المتوفى بدمشق سنة ١٢٧٣ ميلادية وترجم جزءا من هذا المخلص الخواجا أرينيوس الى اللاتينية والخواجا واقيرا الى الفرنسية فاستفيد من هاتين الترجمتين اخبار مهمة وان شئنا بالاغليط

وولد ابن الاثير الملقب بعز الدين فى جزيرة ابن عمر من جزيرة النهرين المعروفة بالعراق العربى ثم توطن الموصل فكان منزله بها مجمع أهل المعارف وقها ألف كتابه المسمى بكمال التواريخ الممتد من نشأة الدنيا الى سنة ١٣٢١ ميلادية وذيله أبو طالب على فأوصله الى سنة ١٢٥٨ ميلادية وترجمه الى الفارسية نجم الدين التزارى فى سلطنة ميرزا ميران شاه بن تيمورلنك ومن مؤلفات ابن الاثير تاريخ الاتابكة أصحاب الشام وتاريخ الصحابة (رضى الله عنهم) ومختصر من رسالة الانساب لابى الكريم السمان

وكان العلامة النويزى شافعيًا من مؤلفاته تاريخ فى عشر مجلدات تشتمل على نقائس فى أخبار قدماء العرب اشتهر بحسن الخط كشهرة ابن البواب ببغداد فى غاية القرن العاشر من الميلاذ نسخ صحيح البخارى ثمانى مرات وباع كل نسخة بالف درهم وتوفى سنة ١٣٣١ ميلادية وله نحوون سنة تقرىبا خلفه ابن الفرات المولود سنة ١٣٣٥ ألف تاريخا خمسة وعشرين مجلدا مبدؤه الهجرة المحمدية الموافقة سنة ٦٢٢ ميلادية توفى سنة ١٤٠٥ ميلادية خلفه أحمد بن

عرب شاه الذى كان يدون سنة ١٤٣٠ ميلادية أخبار تيمورلنك واشتهر فى القرن الثالث عشر كل من ابن واصل محمد بن سالم المظنون فيه أنه مؤلف التاريخ القديم المنسوب الى الطبرى زورا وابن الجوزى المنسوب اليه كتاب مرآة الزمان اشتهر سنة ١١١٧ الى سنة ١٢٠١ ميلادية بالفقيه المفتى والمؤرخ والخطيب الفصيح وهو غير رجل آخر معروف بابن الجوزى وولد العتبى فيما وراء نهر جيحون وألف سنة ١٠٥٠ ميلادية تاريخا فى أخبار الأعصر القديمة وسيرة محمود الغزنوى وقد جمع ابن قتيبة البغدادى قبل هؤلاء المؤرخين بكثير مواد مهمة تتعلق بانساب العرب وتاريخها فى أخبار الشعراء وسيرهم

﴿ المبحث الثانى عشر ﴾

﴿ فى أعظم مؤرخى اسبانيا ﴾

كان باسبانيا مؤرخون كثيرون ذوو فضل منهم ابن الكوتياح المتكلم فى فتح العرب ببحيث جزيرة اسبانيا المتوفى بقرطبة سنة ٩٧٨ ميلادية والشاعر أحمد بن محمد المدون أخبار اسبانيا وأحوال خلفائها الاموية وابن الغرضى المتوفى سنة ١٠١٢ ميلادية حين أخذ البربر قرطبة ألف تاريخا فى سير الشعراء والعلماء وابن الخطيب المولود بغرناطة سنة ١٣١٣ ميلادية المتوفى سنة ١٣٧٤ جمع من كلام سلفه أنفاس ما يتعلق بخلفاء المغرب واسبانيا وما وكهما وأحمد بن محمد المقرئ المولود بتلمسان المنسوب الى قبيلة قديمة فى ضواحي هذه المدينة ذهب الى فاس سنة ١٦٠٠ فتخرج على من فيها من العلماء وعزم على الحج سنة ١٦١٨ وتوطن القاهرة ثم كمل بعد عشر سنين وهو بدمشق تاريخ عائلات السلاطين الاسلامية التى فى اسبانيا وأملى شرحا على مقدمة ابن خلدون واستعد لتدوين السيرة النبوية واستمد من تاريخ ابن الخطيب فى تاريخه الذى ترجمه وطبعه الخواجه جوينجوس فى القرن الثالث عشر من

الهجرة والقيسي المدون سنة ١١٣٥ ميلادية في سير شعراء وعلماء القرن الحادى عشر وابن حيان المؤلف فى مسلى اسبانيا تاريخا اختصره الازدى الجيدى سنة ١٠٩٥ ميلادية وابن صبيح المؤلف فى القرن الثالث عشر من الميلاد تاريخ اسبانيا زمن المراونية والموحدين وابن حبيب السلمى الذى شهر تاريخا قديما فى الخلفاء السبعة الاولى من بنى أمية وابن الحارث الحشنى ملخص تاريخ قضاة قرطبة الى آخر القرن العاشر وشهاب الدين أحمد الفارسى المدون فى جميع الممالك تاريخا اختصره الحاج عاشر الشاذلى

﴿المبحث الثالث عشر﴾

﴿فى مؤرخى الفرس﴾

هم كثيرون من أشهرهم ميرخند المسمى هماد الدين طوند محمد المولود سنة ١١٣٣ المتوفى سنة ١٤٩٨ ميلادية دون تاريخا عامينتهى الى سلطنة شاه رخ بمساعدة على شير وزير السلطان التيمور لنكى أبى الغازى حسين بهادر وخند ميرالذى اختصر تاريخ أبيه ميرخند وألف تحرير خلاصة الاخبار وانتهى فيه الى سنة ١٤٩٩ ميلادية وكتب حبيب السير المشتمل على حوادث سنة ١٥٢٥ ميلادية أبدى فيه يرهانا على استعمال الورق المصكوك بدل نقود الذهب والفضة من ابتداء غاية القرن الثالث عشر من الميلاد ولو تكامنا على تاريخ سير الشعراء لدولة شاه والتاريخ القديم لفرشتاه وسيرة تيمور لنك لشريف الدين على وتاريخ المغول الذى ألفه رشيد الدين وترجمه الخواجه كتر ميرالى الفرنساوية لكان ذىلا ضروريا لسير مؤرخى العرب لكنه يؤدى الى الخروج عما التزمناه من الاختصار

﴿المبحث الرابع عشر﴾

﴿فى قواميس سير مشاهير العرب﴾

منها كتبخانة الحكماء للزوزنى وعيون الانباء تاريخ الاطباء لابن عصبية المتوفى

سنة ١٢٦٩ ميلادية ووفيات الاعيان المشتمل على ثمانمائة وست وأربعين
ترجمة لابن خلكان شمس الدين أبي العباس أحمد المولود في اربل سنة ١٢١١
ميلادية وهو برمكى ولى قضاء القاهرة ثم قضاء دمشق المتوفى بها سنة ١٢٨١
ميلادية والكتبخانة المشرقية لمصطفى بن عبد الله المشهور بجاجى قلفه الملقب
بخطيب چلبى رئيس مكتبة أسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية فى
سلطنته وهذه الكتبخانة المشرقية مجموع يشتمل على ثمانية عشر ألفا وخمسمائة
وخمسين اسما من أسماء الكتب المشرقية مع أسماء مؤلفيها ونبذة فى سيرهم
ورسالة فى الجغرافيا سماها جهان نامه مرآة الدنيا والتاريخ الكبير الممتد من
خلق الدنيا الى سنة ١٦٥٤ ميلادية توفى بالقسطنطينية مسقط رأسه سنة
١٦٥٨ ميلادية

وقد حفظ العرب مؤلفات اليونان واستعدوا لتجديد المعارف فى أوروبا فكانوا
رابطة بين هذين الزمنين وبذا ثبت فضل العرب على الفرنج الذين حاول
بعضهم خفض فضائل العرب الواضحة كالشمس فى رابعة النهار ويعلم أن لاموقع
لافتخار المتأخرين من أهل أوروبا بتصورات أكثرها للعرب وسبق لك ما كان
لعلماء المدرسة البغدادية من التحكم النافذ بالشرق والمغرب

﴿المبحث الخامس عشر﴾

﴿فى اشتغال العرب بتقديم الفنون والصنائع﴾

زعم بعض الفرنج أن لاجتهاد للعرب فى تقديم الصنائع مع أنهم على ما قال
الخواجه هيرودوط برعوا فى جميع الفنون الصناعية واشتهروا عند سائر الأمم
بانهم دباغون سباكون جلاؤن للأسلحة نساجون أصناف الأقمشة ماهرون فى
الاشغال التى تصنع بنحو المنقار والمقص ويؤيد فوقانهم فى هذه الفنون تلك
السيوف الباترة والدروع الخفيفة المانعة لمروق أى شئ منها والبسط ذات
الوبرة والمنسوجات الرفيعة المتخذة من الصوف والحرب والكتان التى كشامير
هذه الأزمان الاخيرة كالنموذج الدال عليها

وقد زالت ساذجية الخلفاء الاول بحب التجميل والفخامة لدى الاموية وكذا العباسية التارك لهم المنصور ثمانية ملايين فرنك أو دينار ظهرت بها جلالة المهدي والرشيدي والمأمون وانظر الى ما كان في زواج المعتضد ببوران من البهجة العجيبة والادلى المنتثرة وما كان زمن المقتدر من تفخيم التعظيمات الديوانية وأما عرب اسبانيا فقد أفرطوا في التعم والفخامة وكان لفساء غرناطة من الحزم والاشحة والطواق المنسوجة بالذهب والفضة وبلوغ الغاية في حسن ملابسهن ما يدل على ثروة الاتحاد وكان خلفاء قرطبة اذ ذاك يصرفون خزائن أموال وافرة في تشييد ابنية عظيمة كمسجد قرطبة الذي بنى على شكل مسجد دمشق وفاقه في الفخامة

وقد بذل همته الخواجا جيرولت دو برنجه في البحث عن بناء العرب والمضاهاة بين ما بقى من الابنية الاسبانية والمشرقية وقسم زمان ابنية اسبانيا ثلاثة أعصر أولها القرن الثامن الى العاشر وهو عصر تقليد العرب النصارى والرومان في ابنيتهم الا أن مسجد قرطبة بنى على شكل مسجد دمشق كما أن مساجد الشام وفلسطين ومصر مبنية على شكل الكائس التي قال المؤرخ أوزيوس أحد أهالى قيصرية في سيرة السلطان قسطنطين انها ذوات أحواش واواوين وفساق ومساكن للقسس بدليل أن في تلك المساجد ما كان يضعه البناؤون من الخافق المزوق باشكال من حصى متنوع الالوان وكانت طريقة التزييق اليونانى زائدة عن غيرها من التزييقات القديمة ثم رغبت العرب في التزييقات الباهرة وتكثير التفاصيل وتجميل شكل الاقواس بصور باقات الزهور والمنحنيات المتنوعة فصار التزييق اليونانى من سنة ٩٦٥ ميلادية غير كافى في تأدية مطالبهم على ما يظهر

والعصر الثانى من القرن العاشر الى الثانى عشر وفيه اجتهد الملوك المرآونية والموحدون في تقدم البنيان المغربى الدال على تنهى العرب عن طريقة البناء المتبعة قبل فقد جرت عادتهم باستعمال الاقواس الستينية والاشكال المتخذة

من قطع القيشاني وأغرب المخترعات من مخيشات الذهب والفضة وأشكال الزينة المصنوعة من الاخلط المركبة لتقليد الرخام وأكثروا من النقوش فباينوا أسلوب البنيان القديم خصوصا بمدينة اشبيلية في عمارة تسمى جبرله وأخرى تسمى القصر والمسجد القديم الذي بنيت في مكانه الكنيسة الكبرى الموجودة الآن

والعصر الثالث بلغ فيه فن البناء أوج التقدم كما يشهد بذلك عمارة القصر المسمى الحمراء المصنوع ظاهره على أسلوب أهل المغرب وبابه قوس كبير مزين بعلامات رمزية وعنوان اسم بانيه وحيطانه مبنية بخافق مخلوط باحجار دقاق تلونها أشعة الشمس بالوان مختلفة وبداخل تلك العمارة قيعان واسعة مذهبة ومزينة بقواصر على صور باقات الزهور وصور مراشح المياه من قباب السكهوف ومجمل بصور المجدولات المسماة بالشبكية من أخلط مركبة تقليدا للرخام وبها ديوان لجلوس سفراء الملوك وآخر لجلوس الاختين ومكتبة بنات الخلفاء وبرج قومارس وحوش السباع وفسقيته وحوش البركة الذي تحتها حمامات على نسق حمامات الاحقاب الحالية وفيها ماء ينبع من أعمدة منعزلة عن بعضها أو مجمعة ينتشر منها الماء بعيدا في جداول رخام صغيرة وينصب بارة على هيئة شلالات وطورا على هيئة فوارات في حياض مصنوعة في الباطيوس محاطة بالادواح والزهور ويسائر ذلك القصر خطوط ونقوش تدل على مهارة صانعها وقد هدم ملوك النصاري جانبها من هذا القصر الآن النقوش والنصاوير بجهاته باقية الى الآن على ما كانت أيام بني سراج من الاتقان الصناعي والحماية من التلف وأما التزيينات الداخلية بالدواوين الاصلية من تلك الدار القديمة التي كانت محل اقامة الملوك المغربيين فتخذة من الجبس ورسوم مجسمة باشكال هندسية تعادل محسنات القصر ويشاهد ببعض الدواوين المحيطة بحوش السباع ما صنعه العرب في الحقبة الحالية من اللون المركب من الاحمر والازرق والاصفر والاخضر الباقي على لمعانه الى الآن وحلل بعض الفرنج هذا اللون فرأى أن

مواده الزرقاء والحجاء الغالبة عليها مصنوعة من اللازورد والزنجفر
ويتعذر علينا الآن مضاهاة ابنية بالرمسة وزينة وكوبة وتونس والقيروان
والجزائر لقلّة ما بها من العمارات المبنية في عصر تقدم فن البناء وأما القاهرة
فيتلم من مساجدها ان أهلها كانوا أعلم من أهل المغرب في الاعمال الميكانيكية
وأذكي منهم في انتخاب مهمات البنين لكن ليس يتلك المساجد من التزييق
ما يقرب من الرسوم التي بقصر ملوك اسبانيا المسمى بالحجاء وأما ابنية العرب
بالشام والعراق العربي والفرس والهندستان زمن تحكمهم عليها فلم يعرف
الفرنج حقائقها الى الآن ولعل اناسا علماء بفن العمارة يشتغلون بذلك تحقيقا
لما خلا عنه الى الآن تاريخ العرب

ولما في ممالك الخلفاء من السعة وغزارة الحصول وتنوع الاقطار توجه النظر الى
رواج التجارة تيمما للتقدم وامتنالا لامر الشارع بالتكسب فاجتهدوا في امن
الطرق وحفروا آبارا وصهاريج في محطات القوافل فانتشرت التجارة وكان غلات
اسبانيا وبربرومصر والحيشة وبلاد العرب والفرس والروسيا والهند والصين
والممالك التي على بحر جرجان تأتي الى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق
وبغداد والموصل والمدائن وكان بين اسبانيا وآسيا من جهة الشرق علائق
تعارف وتجارة واجتازت سفينة عربية بوزار جبل طارق فخرجت عليها رياح
عاصفة طرحتها على ساحل المحيط الغربي ففنتها من استكشاف جزيرة أسورة
وامريكا ولما انحصر المسلمون في القارة القديمة نشروا الصنائع البشرية بجميع
البقاع وكانت مملكة اسبانيا تحصل على غلات البلاد الاخرى واسطة ما ينتج لها
من معاملها وأرضها من قصب السكر والارز والقطن والزعفران والزنجبيل
والمر والعنبر الازرق والفسق والموز والتوت والحناء والمحب مع ما يستخرجه
من معادن الكبريت والزئبق والنحاس والحديد رغب الناس في شراء خود ومغافر
اسبانيا وايسطة رطبة المتخذة من الجلود ونصال اسلحة طليطلة وجوخ مرسية

والحرير

والحرير المنسوج في غرناطة والمرية واشبيلية والورق المصنوع من القطن في بلدة الصليبة وكانت ضواحي اشبيلية المستورة بأشجار الزيتون تشتمل على مائة ألف مزرعة كبيرة أو معصرة زيت وكان اقليم ولنطية يؤدي الى أوروبا فواكه ممالكها الجنوبية وكان أهل اسبانيا يوجهون الى البلاد الاجنبية متاجر من مينيات ملاغة وقرطاجنة وبرشلونة وقادس وكانت النصرى تستعير من العرب قوانين الحقوق البحرية

وكان سكان طليطلة مائتي ألف نفس واشبيلية ثلثمائة ألف في عصر ملوكهما المغربيين وأما الآن فلا يزيد أهل الاولى عن خمسة وعشرين ألفاً وأهل الثانية عن ستة وتسعين ألفاً وكان محيط قرطبة ثمانية فراسخ وفيها ستون ألف قصر ومائتان وثلاثة وثمانون ألف بيت ولا يبلغ سكانها الآن ستة وخمسين ألفاً وكانت (أبرشية سلامنقه Le Diocèse de Salamanque) تشتمل اذ ذاك على مائة وخمسة وعشرين مدينة أو قرية والآن على ثلاث عشرة وكان في اشبيلية ستة آلاف نول لنسج الحرير وحده ولم يوجد سنة ١٧٤٣ ميلادية في جميع بحيث جزيرة اسبانيا الا عشرة آلاف نول لنسج الحرير والصوف وكان في مملكة يعان وحدها أكثر من ستمائة مدينة وكفر تجر في الحرير على ما أخبر به الادريسي الجغرافي الذي ساه وسط القرن الحادى عشر من الميلاد في اسبانيا التي كان طرد المغاربة عنها موجبا لتأخرها ~~كتأخر~~ مدينة ننتسة بطرد مخالف في ديانة الكاتوليك فان ذلك أضر بالصنائع الفرنسيةاوية وتمكن به الكردنيال (كيمينيس Ximenès) من اعدام جميع آثار المسلمين وأمر بأحراق ثمانين ألف كتاب عربي بخط اليد في الميادين والرحبات العامة بمدينة غرناطة

وكذلك اتسعت بالسواحل الشمالية من افريقية دائرة التجارة فقد كان بها معامل كثيرة وأخذت بلاد موريتانية الطنجيطانية تسابق بحيث جزيرة اسبانيا في الصنائع وفن الزراعة وكانت بلاد سوس تمائل الاندلس في خصب الارض وذكاء السكان واقتدى المشرقيون بالمغاربة في الاشتغال بالصنائع وأخذوا

يستبدلون في مدينتي سيراف وعدن بضائعهم بالبضائع الآتية من بلاد الفرس وكذا من النوبة والحبشة كالعبيد وجلود الانغار والحرير والقطن والعاج والتبر والآتية من الهند والصين كالأقمشة ومخيشات الذهب والفضة والأواني الصينية والاسلحة والوهابيات والصندل والابنوس والبهارات العطرية واللؤلؤ والجواهر والرصاص والقصدير وكانت تلك التجارات تنقل من عدن الى جدة ثم الى السويس فتفرق على مينيات وادي مصر والمدن التي على البحر الابيض المتوسط من بر الشام وأما أهل البلاد المجاورة لبحر جرجان فكانوا يحصلون على لوازمهم من سوق مدينة قبول الدوري وكانت قوافل التجارة المسافرة من ممر قند الى حلب توزع على ما تمر به من البلاد مصنوعات الديباج الصينية والكشامير والمسلك والعقاقير الطبية الآتية من بلاد تونارستان

﴿المبحث السادس عشر﴾

﴿في العلائق التجارية بين العرب وأهل المغرب﴾

﴿وسكان الممالك الغربية من آسيا﴾

ترك مسلمو المشرق لمسلمي المغرب التجارة في البحر الابيض المتوسط فوجهوا تجارتهم الى بوزار باب المندب ثم الى بلاد زنجبار ثم بلاد الكفرة وبلغت سفنهم مينا كلكتة وجزيرة سوماترة والجزائر الكبيرة في الاقيانوس الهندي وانشؤا سبع مدائن براوة ومبازة وكوة وموزنيق وصوفالة وميلندة وما جاد كسو وتوطنوا جزيرة مدغشقر والجزائر المجاورة للسواحل الافريقية وذهبوا الى داخل الهند والصين وكثر عددهم سريعا بشراثهم العبيد والتقاطهم أبناء الزناء وادخل سائرهم في دين الاسلام فكان في ابتداء سنة ٨٥٠ ميلادية باقليم قور ومندل في الهند ثمانمائة الف بعضهم من المغاربة وبعضهم من العرب وذهب ملك من ملوك جزائر مالابار الى مكة فأقام بها حتى مات وسار من ممر قند جمع من العصابة جالوا من ابتداء سنة ٦٥١ ميلادية في شمال مملكة الصين فقطعوها بعد شهرين ثم توطنوها وأذن لهم سلطان الصين في انتخابهم بمدينة قنتون

قتون قاضيا وأسلم أكثر سكان جزائر ماليزيا حتى كان المتوطنون فيما بين ابتداء الخليج الفارسي الى نهاية حدود آسيا الشرقية يفهمون اللغة العربية ويتكلمون بها وظهرت شوكة العرب في الصين من سنة ٧٥٨ ميلادية فذهبوا مخازن قنتون بلا ممانع

وقد أنشأ العرب في سواحل افريقية الشرقية غارات دخلوا بها الى الاقطار الوسطى وطاقوا ببلاد السومولية المعروفين بلطف الطبع والكرم والمنشئين مع أهل سوقطرة مخزن تجارة عام وطاقوا أيضا ببلاد الحبشة وسنار وكردفان ذوات العلائق التجارية بمصر والمفتاح الى بلاد درفور وبلاد الوادي وكانوا يسافرون من طرابلس الى فزان وقوافلهم التجارية تسير من المغرب الى الاقياوس الاطلنطيقى فتقطع مائتى الف فرسخ فرنساوى مربع غير خاشية من سيرها وسط البحراء الكبرى أو من انتشارها داخل بلاد الزنج وكان هؤلاء العرب أثبتوا مرورهم من وسط الامم الافريقية بعلامات لا يستطاع محوها وقد أجمع السياحون على الاعتراف بالاصلاحات الناتجة من مرور العرب بين تلك الامم فيما يخص ظاهرها وباطنها وعقولها

﴿المبحث السابع عشر﴾

﴿في اختراعات العرب واستكشافاتهم وفي بيت الابر وصناعة الورق﴾

﴿والبارود والاسلحة النارية﴾

أسلفنا لك وصف الاسباب والمسببات المتعلقة بالتمدن المنتشر في الدنيا بانتشار العرب من ابتداء بوغاز جبل طارق الى نهاية حدود آسيا وبقي علينا التسكام على ما تغيرت بها الحالة الادبية والسياسية والعسكرية في جميع الدنيا من اختراع العرب الورق وبيت الابر وبارود المدافع ولا عبرة ببعض الفرنج الذى سلب عن العرب شرف اختراعها وتعليمها لاهل أوروبا زاعما ان أهل الصين عرفوا تلك الاشياء منذ زمان قديم عملا بما أطلع عليه من نسبتها الى غيرهم في بعض متون موهومة العزوالى من نسبت اليه كما زعم ان المطبعة

موجودة لدى أهل الصين منذ القرن الثامن من الميلاد نعم استفاد العرب عمل الورق من الحرير من أهل الصين الذين لو كانوا يعرفون صناعة الطبع قبل غيرهم لاستفادها العرب منهم وكيف يظن أنهم استعملوا بيت الابرّة مع أنهم لم يزلوا الى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتقدون أن القطب الجنوبي من الكرة الارضية سعيّر تلتطى وهل عرفوا استعمال البارود تلك الاستعمالات المتنوعة الباقى أثرها لدى العرب المشهود لهم باستعمالهم أصنافا من القلل في حصارهم مكة سنة ٦٩٠ ميلادية وباستعمالهم بعصر في القرن الثالث عشر البارود المتخذ من ملح السجّات ليرمى به نحو قلل ذات صوت كالرعد وذكر استعماله أيضا في معرض وصف البحرية التي عقدها ملك تونس مع أمير اشبيلية في القرن الحادى عشر كما استعمل في حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية وحصار اسماعيل ملك غرناطة لمدينة بانطة سنة ١٣٢٤ وحصار طريفه سنة ١٣٤٠ وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ ميلادية وحكى المؤرخ (فراراس Ferréras) ان الرصاص رمى بالبارود في تلك الحصارات فابتدأ نصارى اسبانيا من ذلك الوقت باستعماله

وقد استعمل العرب بيت الابرّة من ابتداء القرن الحادى عشر في سفر البحر والبر وضبط محاريب الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية الحرير بالقطن الذى منه الورق الدمشقى المتكلم عليه مؤرخو اليونان وانثى في اسبانيا معامل ورق من الاقشة البالية وسابق أهل ولنطية وقطالونية في هذه الصناعة أهل كراطيوة واستعمل ورق العرب في القرن الثالث عشر بقسطيلة التى شاع منها استعماله في فرانس وإيطاليا وانكلترا والمانيا لكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولعائنا كما فاقه عما كان العرب تختاره من تزويقها بألوان والاحبار والازهار

وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحكم العرب على جميع قروع تمدن أوروبا

الحديث

الحديث ومنه يعلم أنه من القرن التاسع الى الخامس عشر كان عند العرب
أوسع ماسمح به الدهر من الادبيات وان نتاج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم
النفيسة تشهد انهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الاشياء كالمواد المختصة بتاريخ
القرون المتوسطة واخبار السياحات والاسفار وقواميس سير الرجال المشهورين
والصنائع العديدة المثال والابنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم
المهمة ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الامة المجدية التي تحتقرها
الفرنج منذ ازمان عديدة

﴿ المقالة السابعة ﴾

﴿ في أحوال العرب في هذا الزمان ﴾

﴿ مقدمة ﴾

قدمنا لك تاريخ العرب أيام عزهم وتحكمهم على أهل المشرق والمغرب وآن
لنا التكلم عليهم زمن انحطاطهم فان مصنوعاتهم الغزيرة مستمرة وان عدموا
الظهور الديوى الذى أزالهم عنه الاقوام الشمالية المتبريرة التى انقادت
بعد ذلك الى العرب وأدت اليها الجزية وقد أذن ضياع اسبانيا منهم بفتوحاتهم
فى تركية أوروبا

﴿ فى عود العرب الى معيشة البادية وتغلب الدولة العلية ﴾

﴿ على من بقى منهم بأفريقية ﴾

تأخر العرب الآن عن التداخل فى انقلابات الممالك المشرقية وسكنوا البادية
والمدن المتباعدة عن بعضها فى بحيث جزيرتهم ولزم عرب الشام ونجد عوائد
الاجلاف كأنهم نسوا ما آثر آباءهم وأما سكان الجاز فسمولون من ولاية مصر
والشام بالحماية والرعاية منذ أخذ بغداد هولاكو خان المغول وطرده عرب اليمن
سنة ١٢٥٨ ميلادية الامراء الايوبية من البلاد التى ضمها صلاح الدين
الايوبى الى مملكته وتولوا الامارات فارتقت بلادهم الى حالة الثروة والامن فقد

كانت عدن أغنى مراكز التجارة المشرقية بسبب تحصينها وأخذ أهل حضرموت وعمان والبحرين يتمتعون بثمرات المعاملات التجارية مع أهل الهندستان وبعوضون على المرجان بقرب سواحل الخليج الفارسي ووفد السياحون وتجار العرب الى شرق افريقية وجزائر بحر الهند وسواحل مالابار والممالك الممتدة الى ملقا بل والى بلاد الصين ولم يزلوا الى الآن ينشرون فيها عقائدهم وعقائدهم ونصوراتهم

ولما زالت الخلافة العباسية ببغداد ظهر باسبانيا مدينة غرناطة في أبهج المظاهر الى سنة ١٤٩٢ ميلادية ثم رحلت العرب سنة ١٦٠٩ من اسبانيا الى الممالك البربرية بالمغرب فلم تأذن لهم البرابرة في التوطن حتى أخذوا مامعهم ثم عاملوهم معاملة الاعداء بعد ان كانوا زمن طارق وموسى وأصحابهما تحت لواء واحد ولم يزلوا كذلك تحت قسر الاتراك المتحكمين منذ غزوات بربروس على طرابلس وتونس والجزائر وتلمسان المتوطن في سائرهما من لامودة بينهم من خسارة سائر الاقطار ويهود ونصارى وكوله متولدين بين اترك وعربيات أو بربريات وما زال العرب متوطنين بتلك الجهات التي هم ربع أو ثلث أهلها حتى سكن قليل منهم في مراکش تحت حكم الاشراف واختاروا كثرتهم العيشة البدوية والاستقلال بحكم أنفسهم فسكنوا الصحارى

﴿الباب الاول﴾

﴿من المقالة السابعة في الكلام على عرب المشرق﴾

﴿وفيه ثمانية مباحث﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿في اعادة الجراكسه للخلافة للعباسية وما كان لهم من الغلبة والسلطة﴾
أغار المغول على الشام في النصف الثاني من القرن الثالث عشر فقاومهم من ملوك الجراكسه الظاهر بيبرس بجيوش انضم اليها من العرب قبائل كثيرة ثم

سعى في جذب أفئدة الناس اليه فأخذ يرسل الى مكة والمدينة هدايا وأمر
بكثير من الابنية الشاهدة لديهم بأنه نقي واستدعى من بنى العباس رجلا
نجبا من واقعة بغداد فعقد له محفلا قلده فيه الخلافة فحذب ذلك عقول الناس
ودعا سكان جزيرة العرب الى الاخذ بناصر ذلك السلطان المطلق التصرف
في مصر والشام وانما اتخذ تلك الخلافة ذريعة لاثبات مطالبه ومن بعده
كالتصديق على ماأخذته المماليك عدوانا بأنه مملوك شرعا

وقد سلكت السلاطين بعد بيبرس الطريق التي رسمها لهم موقرين قبائل
العرب القادرة على أعداد سبعين ألف رجل تحت السلاح للاستنجاد بهم ثم
عصت عرب صحراء السويس سنة ١٣٠١ ميلادية وقطعوا ما بين مصر والشام
من الوصلة فاستعد اليهم حاكم تلك السنة وأراق دماءهم بالذبح المهول
ودعا واحد من اعظم مشايخ اليمن قوة وجوعا سلطان مصر الجركسى سنة
١٣٣٥ ميلادية لاخذ اليمن من العرب فصدهم عرب حير فرجع سلطان مصر
بعد ان نهب زبيد وعانة وحديثه ثم همت المماليك بغزو اليمن سنة ١٣٥٠
ميلادية فلم ينالوا ظفرا

واستغاث بهم شيخ العرب الذي نال كل التعب من مقاتلات قبل حكم
الجراكسة وبعده من سنة ١٣٧٥ الى سنة ١٣٨٤ ميلادية وحل بالعرب
في الشام نكبات أكبر من هذه حين أغارتيمورلنك على العراق العربي وجزيرة
النهرين سنة ١٤٠٠ ميلادية وأخذ بغداد وحاص وبعليك ودمشق وقطع
ملا يحصى من رؤس العرب التي بنى منها اهراما تركه في طريقه ليكون علامة
نصرته على سلطان مصر الذي أساء سفراءه وكانت المماليك على وجل من
المملوك العثمانية حتى أغارتيمورلنك على أناضول وكسر شوكة العثمانية فسروا
بذلك ثم تمكنت شوكتهم بقتل آلاف من الرجال في واقعة انجورة وبأسر
السلطان بايزيد ثم بعوت تيمورلنك الذي أتى بعد موته سفراء الى مصر من
قبل ابنه شاه رخ لطلب الدعاء في الخطبة لشاه رخ في القاهرة ومكة والمدينة
فطردهم السلطان الجركسى أقبح طرد من القاهرة سنة ١٤٣٥ ميلادية

﴿المبحث الثاني﴾

﴿في تقدم فتوحات الدولة العلية واستيلاء البرتغاليين على التجارة﴾

﴿المشرقية و بيان حالة الجنوب من بحيت جزيرة العرب﴾

نال مماليك مصر غاية العزة والشوكة حتى تولى السلطان محمد الاول بن السلطان بايزيد في ابتداء القرن الخامس عشر وأراد الانتقام من المماليك على ما أصاب والده من النكبة العظيمة فأخذ يرسل هدايا الى مكة والمدينة حتى ملأ صيته بحيت جزيرة العرب الذين رأوا مصلحتهم في تقدم ملوك الدولة العلية وقتحهم بلاد النصارى ولذا حمدوا الله على أخذ الدولة مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ ميلادية وتعود الناس تداخل الملوك العثمانية في القضايا الداخلية بالبلاد العربية بسبب سفر الامير يزيم سنة ١٤٨١ ميلادية والمؤن التي بعثها السلطان بايزيد لاصلاح القلاع والصحاري في طرق القوافل المارة ببلاد العرب والعلائق التي بينه وبين عائلة قتادة التي ينتسب اليها أشرف مكة

وكانت مصر منذ أخذ المغول بغداد مركزا للتاجر الهندية والعربية التي انتشرت عقب ذلك في جميع أوروبا بواسطة البحر الابيض المتوسط فكان الملاحون في الاقيانوس الهندي والخليج الفارسي والبحر الاحمر ياتون بقماش القطن والحرير والفلل والقرقه والصدف والعاج والصبغ والاماس واللؤلؤ الاتية من الهندستان والبحور والمر والبلسان الاتية من بلاد العرب يأخذون بدل ذلك أقشة الصوف والزجاج والحرز والحديد والاسرب والنحاس الاتية من البلاد الغربية كاوروا ويضعون جميع ذلك في السويس فينقل منها الى دمشق والاسكندرية فان فهم ما مراکز تجارية للبرزين والفلودسين والقطاوين والجنوزيين والبنادقة ثم طاف وسقود وجاما البرتغالي في سفنه برأس عشم الخبر وظهر في بحر الهند لاستكشاف الطريق الموصلة أهل أوروبا من المحيط الاطلسي الى بلاد الهند المشرقية وهدد المماليك والبنادقة بتعطيل مصالحهم التجارية فاتحد اوردوا

جميع ملوك الهندستان وأثارا بدسائسهما أهل كاسكتة الناصرة للسلمين على البرتغاليين الذين أطلقوا المدافع على هذه المدينة وأحرقوا جميع السفن العربية التي في مينائها فبعث البنادقة لسلطان مصر من الخشب والمهمات الضرورية ما أنشئ منه ثلثا عشرة سفينة حربية سافرت من السويدس سنة ١٥٠٨ فساعدت القوى الحربية للملك قومبايه ونصرت على البرتغاليين حتى أتى القبطان البوقرق فتح البرتغاليين على القتال وأعدم تلك السفن الاسلامية وجعل في جزيرة سوقطرة محطة حصينة للحكم على بونغاز باب المندب وملاحظة الملاحين في البحر الاحمر وانجاد قوة الجراكسة في البهار وكان ذلك من سنة ١٥١٠ الى سنة ١٥١٥ ميلادية

وأخذ هذا البوقرق قلاعاً في سواحل اليمن وحضرموت فنع التجارة البحرية بين هذين الاقليمين اكتفاء بالمخالطات البرية ثم أخذ من اقليم عمان مدينة مسكان مركز المتاجر الواردة من بلاد الفرس والعرب والهند وفتح جزيرة هرمز وبنى على الساحل الشرقي للخليج الفارسي عدة قلاع تحفظ احداها ميناء لتدج وأخرى بندر ريشهر وأخرى جزيرة قاس ثم ادعى الانفراد بالحكم على هذا الخليج الساكن فيه من العرب قبائل مستقلة عن مملكة الفرس وبذل البرتغاليون همهم في الاستيلاء على عدن مفتاح البحر الاحمر فلم يجد ذلك شيئاً ومكن خلفاء البوقرق البرتغاليين من الصيد والغوص في جزائر البحرين ببناء حصون صغيرة بقيت آثارها الى الآن في أكبر الجزائر وقرب القطيف بساحل اقليم الحسا ولما رأوا العرب عدم تمكنهم من ركوب البحر الملح تحصنوا بالسواحل مع تماثل قبائلهم تحت ادارة مشايخ اختاروهم لتدبير أحوالهم

﴿المبحث الثالث﴾

﴿في اعدام العثمانية سلطنة الجراكسة وفي عجز العرب بشمال﴾
 ﴿بحيث جزيرة العرب عن حفظ ما كان لهم من الاستقلال﴾
 كان بمصر والشام زمن الجراكسة عرب حرموا الخطوة بطرف من حكمة
 (٣٥ خلاصة تاريخ العرب)

البلاد فغضبوا حتى أتى السلطان سليم الاول الى مصر فانضموا الى جيوشه وأبى أكثرهم امداد طومان باى ابن أخ الغورى مع التزامه لهم بأقاتهم ثلاث سنين من الاموال المضروبة عليهم فلم يستطع السلطان سليم ان يعاملهم بالقسوة وإن لم يكافئهم باحسان ونصر على المماليك سنة ١٥١٦ ميلادية فلقب نفسه بحامى حى الحرمين مكة والمدينة ونادى أن لا يغير شيأ من سياسة المماليك التى منها أن الفلاحين بمصر يؤدون خراجا الى السلطان وأجر الملاك الاطيان وينتفعون بما بقى من ثمرات الاطيان فى أمورهم الضرورية مع أن ترتيب الاقاليم العثمانية ان يؤدى ملاك الاطيان الى خزينة السلطان تكاليف على قدر واردات أطيانهم فكان من السياسة تحقيق محبة الفلاحين خصوصا وأكثرهم من ذرية العرب بترتيب قوانين نظامية عادلة تدور عليها مصالح الفلاحين الا أن المقلدين بالحكومة من الرؤساء العثمانية استعيل بعضهم بالهدايا وغلب الرعب على آخرين من تحكم قدماء المماليك

وتخلى شريف مكة عن الانتصار للخلفاء العباسية والسلطين الجراكسة وبعث الى السلطان سليم أثناء اقامته بالقاهرة سفيرا يسلمه مفتاح الكعبة ويبايعه على الطاعة فرتب هذا السلطان نفقة لفقراء الحجاز وأغدق على مشايخ العرب وأبقى ما يعمل كل سنة بالقاهرة من الاحتفال لخروج محجل الحج الى مكة المشرفة ونزل له المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسية عما كان له من الحقوق فى الامامة سنة ١٥١٧ ميلادية وسلمه بىرق النبي صلى الله عليه وسلم ولما جلس السلطان سليمان الاول على سرير السلطنة سنة ١٥٢٠ ميلادية همت قبائل من العرب بتعريض عصيان أهل مصر والشام طمعا فى تحصيلهم جانباً من الاستقلال الذى كان لهم نخب أملهم بقمع هذا السلطان للعصاة

﴿المبحث الرابع﴾

﴿فى انقياد اليمن للدولة العلية﴾

أرسل قانصوه الغورى سنة ١٥١٧ ميلادية عساكر الى اليمن لدفع ما كان بها

من تحكم البرتغاليين ثم ملك السلطان سليم الديار المصرية وأحضر إلى القاهرة عساكر الغوري المقيمين بزبيد مع أن الواجب عليه كسائر العثمانية اتباع الغوري في إزالة تحكم هؤلاء الفرنج لكن ابنه سليمان وجه إلى اليمن القبطان سلمان سنة ١٥٢٩ فترل بها وعامل بالقسوة رؤساء لا يتقادون إلى السلطان الذي بعث سنة ١٥٣٨ ميلادية سليمان باشا إلى سلطان بحيث جزيرة الجوزرات من الهندستان لتأدية أمر فطلع في اليمن وغلب أمراء عدن وزبيد وهلى على أرضهم صنجقا ثم توجه إلى الخليج الفارسي وأظهر أساطيله أمام القلاع والمحال التي أنشأها البرتغاليون ولام عليهم في تعليمهم الفرس استعمال الأسلحة النارية وفن سبك المعادن وصب المدافع ثم عاد إلى جدة فبعث إلى مكة جزءا من الغنائم العظيمة التي اغتنيها ومن تلك الغزوة أقيم في ميناء السويس قبطان باشا لتعزيد تحكم الدولة في بحر الهند والزام البرتغاليين احترام البيرق السلطاني وإنفاذ سلطنته على جميع العرب الساكنين بالسواحل وهدم الرئيس يبرى سنة ١٥٥١ ميلادية مدينة مسكات التي استولى عليها البرتغاليون لتحكم على عمان ثم حاصر مدينة هرمز فبدلوا له أموالا جسيمة فأخذها وانصرف تاركا ما يجب عليه من ادامة الحصار

وكان القبطان مراد متحكما على الملاحين في الخليج الفارسي زمنا طويلا وساعد العرب على اعدام الحصون البرتغالية من إقليم الحسا والبحرين وحقق للدولة العلية انفراد الكلمة في شرق بحيث جزيرة العرب ثم انهزم امام مدينة هرمز سنة ١٥٥٣ ميلادية فكان لذلك أسف شديد أراد القبطان سيدي سنة ١٥٥٥ ميلادية أن يتداركه فخاز في بداية أمره نصرات ثم خرجت رياح عاصفة فشنت أساطيله وألزمه الامراء النزول بأحدى مينات الهندستان ثم رجع في البر إلى القسطنطينية

وبعث الباشوات حاكمو القاهرة في ذلك الزمن عساكر في البر والبحر لغزو اليمن العاشية بن أهله بغضاء العثمانية التي أبداها بينهم شيعة الفرس ولبثت

الحرب وسفك الدماء بين الفريقين من سنة ١٥٣٩ الى سنة ١٥٦٨ ميلادية أخذت فيها مرات أكبر مدائن اليمن وهي صنعاء وعدن ومخا ودمع وزبيد وقسم حكام القاهرة اليمن الى حكومتين وهو خطأ فان عدم الاتحاد عطل حركة العساكر العثمانية وقوى العرب وأظفرهم بهم حتى استولوا على جميع مدن اليمن ماعدا زبيد وولوا الامام مطهر الخلافة فأمر السلطان سليم الثاني سنة ١٥٦٨ سنان باشا بالتوجه الى اليمن لقمع أهله فتوجه وألقى الفشل بين فرقتي الزيدية والاسماعيلية ثم ألزم الامام مطهرا أن يضع امضاءه على عقد السلم بشرط أن الدولة العلية المتسلطنة على جميع الطرف الجنوبي الغربي من بحيث جزيرة العرب لها التمتع في جميع بلاد اليمن بالحقوق السلطانية المقررة في الشرع وابقاء طريق التحالف بين أهل الحجاز واليمن مطلقة بلا مانع وأن الامام مطهرا يكتفي بالامارة الصغرى المعروفة بكوكبان

وكانت هذه الغزوة للطمع في ثروة أهل اليمن بزراعة البن القاشي اذ ذالك شرب قهوته في جميع ساحل أفريقيا وغربي آسيا وبلاد أوروبا وفتحت أول قهوة في القسطنطينية زمن السلطان سليمان ثم كثرت بها القهاوى في سنين قلائل

وعرب حيرالسا كنون باليمن ينقسمون كما سلف الى اسماعيلية وزيدية الا أن أكثرهم زيدية تعتقد كالشيعة أن علي بن أبي طالب حرمه أبو بكر وعمر وعثمان من الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا أنهم لا يقولون باثنى عشر اماما كالشيعة بل بأربعة خاتمهم مؤسس مذهب هذه الفرقة وهو زيد ابن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في تمحيب بلاد العرب في النصف الاول من القرن﴾

﴿السابع عشر الميلادي﴾

بلغت الدولة العلية أوج الشوكة في ذلك العصر وشدد على العرب ولائها باليمن من جهة والبرتغاليون النازلون باقليم عمان من ناحية والفرس المتكلمون في الخليج الفارسي من أخرى فلبث هؤلاء العرب على هذا الذل حتى دهمت عرب جهات أخرى البرتغاليين والعثمانيين الذين اشتغلوا بالحرب عن اطاعة بلاد العرب ببعث جنود تحافظ على ما بأيديهم من البلاد فهجمت قبائل هؤلاء العرب في ابتداء القرن السابع عشر من الميلاد على مراكز التجارات الافرنجية فأعدموها واحدا بعد آخر ولم يبق عما قليل أحد من هؤلاء الغرباء في جنوب بحيث جزيرة العرب وظهر من أقارب الخليفة مطهر السابق رجل يسمى قاسما نصب ببرق العصيان وضرب سكة باسمه في اماره كوكبان وأنظر عزائم حلت العرب على تلقيبه بأمر المؤمنين وتزاجت الزيدية وانتظموا تحت ألوته واستقل بالحكم على ما أخذه العثمانيون من سنة ١٥٦٨ الى سنة ١٦٢٨ ميلادية ثم أمر السلطان مراد الرابع ايدن باشا حاكم ايوبيا سابقا بالتوجه الى اليمن لقمع هؤلاء العرب فتوجه وتحصن بمدينة مخا وأمد من القاهرة بعبدة بعوث منعها شريف مكة المساعد للعرب سرا ثم أتى قوسون باشا بدل ايدن باشا بعساكر جديدة قاتل بهم في وادي الجن وأخذ مدينتي تعز وزيد ثم قطع العرب التواصل بين اليمن والحجاز وردموا ما بينهما من الابار فتخلى قوسون باشا عن اليمن للامام الزيدى

وطرد البرتغاليون في ذلك الزمن اقليم عمان واستولى العرب سنة ١٦٥٨ على مدينة مسكات المتجددة أبنيتها بعد سفر پيرى سنة ١٥٥١ وقبضت عائلة الاعراب الزاعمة أنها من سلاسة قرشيين بمكة على أعنة الحكيم الواصل الى مدينة هرمز وبلاد البحرين والحسا وكذا الى مدينتي كلوة وزنبار

وكان ديوان القسطنطينية يؤدي كل سنة الى أمير حمل الحج الشامي ثلاثة وعشرين ألف قرش توزع على عرب البراري الشامية ثم تأخر الديوان عن تأديتها فذهب هؤلاء العرب قوافل الحج الشامي وانضموا الى نفر الدين المشهور بالعصيان وبارزوا الدولة العلية عشرين سنة من سنة ١٦٢٣ الى سنة ١٦٤٣ ميلادية

ولاعانة شريف مكة عرب حبر على عصيانهم الجنود التركية لم يكن للدولة بمكة شوكة أكثر مما كانت في اليمن مع اجتهداها في بقاء سكان الحجاز على الصداقة بالعطايا السنوية التي زادت سنة ١٦٢٤ ألفي قرش كان يؤديها قبل ذلك بيك ايلة الجزائر الى بيك ايلة تونس وانهدمت الكعبة بالسيول فبناها من الجدران السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٠ بحال الجوالى المضروبة على قبط مصر وبذل سنة ١٦٥١ مصاريق لتدارك ما أتلفته السيول ومع ذلك كله كان عرب الحجاز لا يلتفتون الى المندوبين من قبل الدولة ويا بون طاعة الشريف ويتخذون شيخا غيره يعتمده سلطان القسطنطينية قهرا ويوقعون دائما مع أمراء الحج الشامي والمصري وحكام جدة تنازعا وقتلا يوجب ورطات عظيمة للدولة العلية التي كان لها من الجنود بالمدينة فنجو حسين لخفارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبجدة جمع قليل لا يوازي مع جنود المدينة تحكهم وسلطة شريف مكة القادر على اتخاذ عشرة آلاف جندي وعلى الفرار بالبيداء ان هدد بخطر مشرف الوقوع ولجئ السلطان مصطفى الرابع عن قمع الشريف اعترف له بالاستقلال سنة ١٦٩٥ ميلادية

وتعدي جاكا بغداد والبصرة على أموال عراق العرب فبارزوهما بقوة لم تكن أقل من قوة عرب الحجاز على رجال الدولة العلية على استعداد مجاورهم من الفرس لمساعدتهم على مبارزة الدولة وكان في سني ١٦٥٠ و ١٦٦٧ و ١٦٩٥ ضروب من العصيان اقتضت بعث جيوش جرارة لاطفائها وسلم عرب القرأت مدينة البصرة الى شاه أصفهان الذي أمضى الصلح مع الدولة وهم مستمرون في محاربتها الى سنة ١٧٠١ وسفكت دماء كثيرة حين عصت قبيلة منتفق سنة

١٧٠٩ مع قصر زمن عصيانها عن العصيان السابق واحتفى بعض قبيلة لام سنة ١٧١٦ بحاكم جزيرة الفارسي فنصبت قبائل العرب بنجد والبصرة البيرق الأسود وصعدوا ثلاثين ألفا من الفرس أغاروا على أرضها ومن ذلك الوقت كانت البادية كلها في حيازة العرب دون غيرها

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ في خروج الوهابية عن الطاعة ﴾

أخذت العرب من ابتداء القرن الثامن عشر في الاستقلال بالحكم لقوتها وضعف أعدائها ولم تنقص الا اتخاذ مر كرا تجتمع حوله جميع الازهان وترجع اليه في تدبير الامور فهمت الوهابية سنة ١٧٤٩ ميلادية فاتخذت منها عبد الوهاب مر كرا وهو من قبيلة تميم اشتغل في صغره بالعلوم المعتادة عند العرب خصوصا الفقه وسافر الى بغداد والبصرة وبلاد الفرس ثم أخذ يتفكر فيما يثير الحمية في أبناء وطنه فوجده أحياء الشريعة نقية من جميع البدع كحالتها الأولى فالزمهم المواظبة على العمل بالقرآن ونهاهم عن الغلو في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وعن تقديس الاولياء الذين هدم قبورهم وعن تعاطي المسكر وأنكر على الأتراك أخلاقهم الفاسدة وقال ان الشريعة المحمدية تقضى أن يخرج كل انسان خمس أمواله زكاة وتحرم الزينة وتلزم القضاة بتحري الصدق

وأخذ يعظهم بخطب عظم تأثيرها لديهم بموافقتها القرآن ومقصوده من ذلك كله استمبالهم الى الامور الحربية لحيوا ما كان لا بانهم من العظمة وقد كان فان أقوى جميع قبائل نجد وفدوا اليه وانتظموا تحت لوائه فجعل محمد بن سعود من قبيلة مصالح قائد هؤلاء الوفود وزوج سعود ابنته وقلده الحكم السياسي على الوهابية لمعرفته بالقوانين العسكرية ثم أشاع سعود في مكة عقيدة لتوضيح مقصد أستاذه عبد الوهاب ونصها ان العلم الديني ينحصر في ثلاث مسائل الاولى معرفة الله والثانية معرفة أركان

الدين والثالثة معرفة النبي فاما المسئلة الاولى وهى معرفة الله فتختصر فى هذه القضية وهى لا اله الا الله واما مسئلة معرفة الاركان الدينية فتتعلق بالاسلام وبالايمان وبعمل الصالحات فاما الاسلام فهو عبارة عن خمسة أشياء ممتازة عن بعضها وهى الاول انه لا اله الا الله محمد رسول الله والثانى أقام الصلاة الموقوتة خمس مرات كل يوم والثالث اخراج خمس المال زكاة والرابع صوم شهر رمضان والخامس حج بيت الله بمكة ولو فى العمر مرة أقل ما يكون وأما الايمان فهو عبارة عن ستة أحكام الاول الايقان بوجود الله والثانى الايقان بوجود الملائكة والثالث الايقان بالكتب المنزلة من عند الله والرابع الايمان بالنبي والخامس الايمان بصفاته وشمائله والسادس الايمان بالحساب يوم القيامة وأما عمل الصالحات فيختصر كله فى العمل بهذه الوصية وهى قوله عليه الصلاة والسلام أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وأما معرفة النبي فتلخيصها هو أن النبي محمدا نبي مرسل باذن الله الى جميع الأمم وليس فى الدنيا دين حق الا دينه وأنه ليس من نبي بعده

وقد جبر الشيخ عبد الوهاب العرب بهذه الكلمات على ترك ما تعودوه من عدم العناية بالدين والاعتقادات الفاسدة واستخلص آداب القرآن التهذيبية من سائر النقائص المنسوبة الى القرآن زورا وخلص العقول من النظر الى الظواهر التى قصرت عليها التفاسير المطولة الى قبول مقاصده لتجديد دين الاسلام الذى اكتسب رونقا جديدا باعمال رئيس الوهابية المحبين للفضائل النائين عن الشهوات الذميمة بخلاف الكرمانية وما زالوا يجددون الاسلام حتى تعرض لصددهم باشا الديار المصرية من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٥ ميلادية

وبينما الشيخ عبد الوهاب يأمر وينهى اذ كانت الجهة الشرقية من بلاد العرب معرضة للغارات فان نصير شاه المنتصر على الدولة العلية نوى أن يؤسس سلطنته فى الخليج الفارسى وهم سنة ١٧٣٠ ان يدهم بلاد عمان فلم يقاومهما فجمع خمسا وعشرين سفينة لمحاربتها فابى المسلمون أن يقاتلوا اخوانهم فى الدين

فهرزم ان ينقل سكان الخليج الفارسي الى سواحل بحر جرجان وينقل آخرين الى ذلك الخليج ثم مات وأدخل بعض مشايخ العرب رجال الفرس في مدينة مسكات سنة ١٧٤٠ فانتشروا منها في جميع الاقليم لعدم امدادهم ولم يقدرُوا أن يصتدوا دهومات العرب المستمرة فرحلوا من تلك البلاد وظهر بعدهم أعداء أخر الفلمنكيون والفرنساويون والانكليز الذين دعهم حاجة التجارة الى ارساء سفنهم بالسواحل البحرية وأخذوا يبحثون عن فرصة تمكنهم من التوطن بمدينة مسكات لموافقة وصفها للتجارة البحرية فقاومهم أهلها وقد استولى الفلمنكيون على جزيرة كرك سنة ١٧٥٥ وبقيت تحت أيديهم احدى عشرة سنة ثم سلبها منهم لص من أكبر لصوص العرب البحرية يسمى ميرمهنا كان متحكماً زمنها طويلاً على الملاحين في الخليج الفارسي

وكانت قبائل العرب في شمال بحيث جزيرة العرب ممتعة في تلك الحقبة بالهدوء فانها رجعت الى سكنى البرارى بعد ان ساعدت في قتال الترك والفرس واقليم الحجاز ماعدا جدة التابعة للدولة باق على الانقياد للإشراف واليمن مستغن بمحصول أرضه وصنائه غير أنه كابد أهوالاً من اطلاق الفرنسيين السكك على مدينة مخاسنة سنة ١٧٣٨ وطمح الانكليز في مدن السواحل فتدخلوا في مشاجرات العرب ولم يبال عرب مصر والشام بالخروج عن حكم الدولة العلية وكانت قبائل نجد متفائلة ثم اتخذت تحت قيادة محمد بن سعود الوهابي وأغاروا على حدود الحجاز وصحارى الشام ليفشوا بين البسديين الانتباه من غفلة الانحطاط فأمر سلاطين الدولة العلية بحكام البصرة وبغداد وجدة وباشا مصر وباشا الشام وشريف مكة باستئصال هذا المذهب الوهابي المسمى لديهم بالضلالة الخطرة وبعث السلطان محمود الاول والسلطان مصطفى الثالث هدايا فاخرة الى شريف مكة ولم يبال محمد بن سعود بتلك الاحتراسات واستمر في السير الى تلك الجهات فبايعته العينة والحريلة والعمارية ومنفوده ووفدت اليه رسل من الاقاليم المجاورة لها تخبره بالانقياد له وأما والده سعود فكان قائداً

للكاتب مبعوثه الى البلاد القاصية أقام حكمه على بلاد الحجاز كالطائف ومكة
والمدينة وجدة ثم شن الغارة على بلاد عسير فأخذها واعترف بحكمه بنو شهر
وبلقرن وشميران وغامد وزهران وأخذ مدينة أبي عريش باليمن بعد حرب
طويلة وبلاد الحسا والبصرة ورأس الخيمة والبحرين وعنيزة والرسة وبور يده
والرياد وجبل شومر وبالجملة تحكم سعود على بلاد حران التي بين مكة ودمشق
وعلى بلاد نجد واليمن الى مدينة صنعاء

﴿المبحث السابع﴾

﴿في أن غزو الفرنسيات للديار المصرية ساعد الوهابية﴾

﴿على نجاح مقصدهم﴾

أخذ نابليون بونابرتو البلاد الشامسية التي نجت منه بمقاومة أهل عكا وحارب
الديار المصرية فاشتغلت الدولة في غاية القرن الثامن عشر وغرة التاسع عشر
من الميلاد يتمكن حكمها في ايلة مصر والشام وبمقاتلة الجبارة في أوروبا غير
ملتفتة الى ماجرى على بلاد العرب من تحكم الوهابية التي أنشأ بونابرتو مع
كبيرها مودة

ولما فتح بونابرتو الديار المصرية كتب في تاريخه مقاصده التي منها توصله الى
الهند ليعدم منها باللائكيز من الشوكة الثامة ولما ولي أميرا طورية فرنسا
أمر الموسمو (لسقاريس) بالسفر الى بلاد العرب ليعاهد قبائل الشام والعراق
وفارس على أن يسهلوا سير جيشه الى السند ويفتحوا له الطريق التي سلكها
اسكندر ذو القرنين فسافر (لسقاريس) من حلب معه كاتب السرو قطع فيافي
بلاد العرب من جهة تدمر القديمة فأخبرته أول قبيلة نزل عندها بأن أهل
البادية أربعة أحزاب حزب من أحياء عترة في حدود الشام منقاد للدولة وحرب
من شجعان العرب في مفاوز العراق شديد البغضاء لمن انتسب الى غيرهم
وحزب من بدو الفرس وحزب من الوهابية التي أعرض (لسقاريس) عما يجب

عليهم

عليه من معاهدتها مع الحزب الثاني وهو العرب الذي عاهدهم على مقاومة الدولة فكان رئيس هذا الحزب (دريعى) المعروف بالقطنة والدراية فى الحرب محل أسرار بونابرتو فى مغاورة بلاد العرب ثم كتب جمع من مشايخ العرب سنة ١٨١١ ميلادية مبايعة مع (دريعى) على أن ينقادوا لأمره ويعادوا العثمانية عداوة مؤبدة ويحاربوا الوهابية ولا يخلطون الدين بالسياسة ويقاثلوا القبائل الممتنعة من الانضمام اليهم ويقتلوا من نقض منهم هذه المبايعة وبلغ ذلك الانكليز فألفوا قلوب عرب الشام بالعثمانية وأغروا الوهابية البالغين اذ ذاك سبعة آلاف وستمئة خيمة على أن يفسخوا معاهدتهم مع الفرنسيات ورتبوا لهم دراهم لذلك ثم كانت واقعة بقرب حجاب بين مائة ألف وهاجى وثمانين ألف يدوى تابعين (لدريعى) الذى هزم الوهابية واقتفى أثرهم حتى بلغ حدود نجد فأراد سعود وهو بالدرعية تحت حكومته أن يعرف الغرض من المعاهدة مع الفرنسيات فذهب اليه (لسقاريس) (ودريعى) وأوضحه له الغرض منها فدخل فى تلك المعاهدة لشدة بغضائه كالفرنسوية لجنس الترك الا أن سعود ما زال يأبى الانقياد فى قضايا أخر بسبب معاهدته الانكليز حتى عرف ان نابليون هو أبو النار وانه الذى سأله المساعدة على ذهابه الى الهند بجيوشه لاعدام شوكة الانكليز فأجابه بغاية الرضا ثم رجع (لسقاريس) من بلاد العرب سنة ١٨٠٠ وقت هرب الجيش الفرنساوى من مدينة مسقوف عائدا الى وطنه ورأى (لسقاريس) أن أوراق معاهدته فى أيدي أعدائه وأن سعيه ذهب هباء منثورا فبات حزنا ولاستيلاء الانكليز على جزيرة كرك في الخليج الفارسي ووجود وكلائهم فى محاز والسويس وجدة والبحرين وتشوقهم الى الاستيلاء على مدينتى مسكات وعدن كانوا يتنبهون بشدة للاهتمام بحدوث بحوث جزيرة العرب

المبحث الثامن

في عود الدولة العلية سنة ١٨١٥ ميلادية الى ما كانت عليه من الشوكة وفي سياسة جنتمكان محمد علي باشا للديار المصرية

لما زالت سلطنة نابليون عن الديار المصرية عادت العساكر العثمانية الى سيرها المطلق وشرع محمد علي باشا في أن يعيد لمصر ما كان لها من العز والفخار بقتال الوهابية واعداد مالهم من التحكم فبعث سنة ١٨١١ ابنه طوسن باشا بعسكر أخذ بهم ينبع وسويج ونصر على الوهابية قرب بدر ثم سار تلقاء الصفراء والوهابية اذ ذاك في مضائق الجبال وأعلى الجبال فظفروا بالجيش المصري ومزقوه كل ممزق فرجع طوسن باشا الى ينبع وأتته الامراء من قبل والده فدهم الوهابية واستولى سنة ١٨١٢ على المدينة المنورة وجدة وبسل والطائف ومكة اللاتي تركها الوهابية بعد ان نهبوا ما فيها ورئيسهم سعود يفعل اذ ذاك الاحتراس من زحف المصريين عليه ثم دبر سنة ١٨١٣ حربه هزم فيها الجيش المصري أمام بلدة طرابة وحاصر المدينة وضرب أعناق العسكر المحافظين على الحنكية واستشار سرا عرب اليمن فثاروا وانتشروا في نواحي مكة وجدة وقطعوا مواصلاتها لجهات أخرى فيئس المصريون من الظفر ثم حضر محمد علي باشا وتولى تدبير الحرب فأخذ يظفر بالوهابية قليلا حتى مات سعود والوهابية محاصرون للطائف وله اثنا عشر ولدا ليس في أحدهم كفاءة للقيام مقام أبيه فكانت الغلبة لمحمد علي نخلص الطائف من المحاصرين وغلبهم في عاشر يناير سنة ١ٸ١٥ ميلادية قرب بلدة خولج وأخذ قنفذة باشا وانقاد له عرب عسير وأملى ابنه طوسن باشا على الجبان عبد الله بن سعود شروط صلح تحطه عما كان عليه من رفيع الجاه ولم يصدق في العمل بتلك الشروط فبعث اليه محمد علي باشا سنة ١٨١٦ ابنه ابراهيم باشا بجيش أخذ به في أقل من ثمانية عشر شهرا معظم بلاد نجد فقد استولى على الحنكية والناوية والحبرة وعنيزة وبوريدة وشقرة ودرامة ونزل بجيشه بجانب مدينة

مدينة الدرعية في الثاني والعشرين من مارث هذه السنة فانقاد له في اكتوبر
عبدالله بن سعود شيخ الوهابية فاكرمه وبعثه الى القسطنطينية والتمس من
ديوانها العفو عنه فتركه أهل الديوان السلطاني ثلاثة أيام ينظر في المدينة ثم ضربوا
عنقه في ميدان آيا صوفية وبذلك زالت الشوكة الوهابية الا أن من بقي منهم كقبائل
حرب أوقدوا سنة ١٨٢٧ نار العصيان التي أطفأها المصريون وعادوا سنة
١٨٣٣ الى الخروج على الدولة فاجتهدوا في مقاومتهم تركي يسمى تركجه بلز
ولم ينجح وطرده من الجاز فهرب الى اليمن ولاد بمدينة مخا ثم انتقدت نار الحرب
بجميع بلاد العرب في سنتي ١٨٣٦ و ١٨٣٧ ميلادية فبعث محمد علي باشا
في آن واحد أحمد باشا وسليم باشا الى عسير والجاز بجيشين ألزما العرب
بالطاعة وكوجك ابراهيم الى اليمن بجيش نخلع امام صنعاء الحكيم على غالبية
قهره ونحورشد باشا الى بلاد نجد بجيش هزم من ذرية سعود رجلا يسمى
فيصل ولحقه في سهول دلام ثم جال في تلك البلاد حتى بلغ سواحل الخليج
الفارسي وهي ضواحي الحسا والقطيف وبذلك انقرد محمد علي باشا بالحكم
على بلاد العرب الا أن الانكليز رأوا أن مصالحهم في منعه من الاستيلاء على طرق
المخاطبات وفي احتكارهم تجارة الهندستان وعارضوا خورشيد باشا حين أراد
الاستيلاء على جزائر البحرين بعد واقعة دلام وهددوه بشنهم الغارة على البلاد
الشامية وظهر لمحمد علي باشا حين ربط علائق المودة بامام مسكات أن جميع
مقاصده كان يعارضه فيها الانكليز الذين استولوا على عدن وكان ظهورهم في
اليمن موجبا لتفات انظار الدول الاوروپاوية اليهم ويئس محمد علي من خلط
عرب مصر بعرب جزيرة العرب فرد للدولة حكومة الحرمين بعد ان اتفق فيهما
كل سنة نحو ثمانية عشر مليون فرنك ثم توفي كل من محمد علي باشا وابراهيم باشا
في سنة ١٨٤٨ ميلادية فضعفت قوة المصريين وساغ خروج الوهابية على الدولة
واستقلال الامة العربية بالحكم

﴿الباب الثاني﴾

﴿في العرب المتوطنين بأفريقية وفي عربي أفريقيا﴾

﴿ووسطها وبلاد مراکش وإالة الجزائر﴾

﴿وفيه مجستان﴾

﴿المبحث الأول﴾

﴿في العرب المتوطنين بمصر والممالك البربرية﴾

﴿بالمغرب وغربي أفريقيا ووسطها﴾

شمل حكم الدولة العلية إيلات مصر وطرابلس وتونس والجزائر ولم تغير شيئا من طباع القبائل العربية من شواطئ النيل إلى المحيط الاطلاق في فاتها اذ ذلك باقية على ما كانت عليه أيام الفتوحات الأولية من ملازمة الفضائل والمثالب اليدوية والتأهب لتأدية الخراج السلطاني بشرط بقائهم على ما جيلوا على حبه من المعيشة الاستقلالية وقد شاهدنا ما امتازت به قدماء العرب كل الامتياز من العقل المذعن للقضاء والقدر والكثير التأمل في المصنوعات لدى المصريين المتأخرين المخبرين لنا أن محمد علي باشا لما أراد بعهد نصرته على الوهابية أن يظهر الدولة بدولته المتشطة باكتساب علمن أوروبا رغب في أحياء الفضائل والتمدين لدى المنقادين لحكمه فأكثر من ترجمة الكتب الفرنسية العلية إلى اللغة العربية وطبع عدة كتب في مطبعة بولاق إلا أن الانكليز سعوا مرا في نقض مقاصده التي عدت بعد وفاته ولم تعترف عرب الديار المصرية والايالات البربرية في المغرب بحكم الدولة الاسما ورسمها وظهر تحكم العرب بشمال افريقية وسواحلها الشرقية وجال أهل القرآن ونشروه في ابتداء القرن السابع عشر ببلاد السودان والامام السياسي والديني اذ ذلك رجل من العباسية يسمى صالح ساح بالوادي الذي أسلم سكانه واستولى أيضا في هذا العصر السلطان صابون الحاكم الآن في السودان على بلاد بجيرمة وأدخل أهلها في الدين المحمدي

وتقدم

وتقدم حتى بلغ بحيرة شاد وقد شاهد نشر الدين والحكم العربي في وسط افريقية سياحوا الفرنج المكافون أنفسهم مالا تطيق من الجولان في وسط افريقية باسترشادهم العرب ومرورهم من كردفان ودارفور أو بحولتهم من طرابلس في الصحراء الكبرى وبالجملة كان العرب مجددين للدين في السودان حين تجديد الوهابية له في بحيث جزيرة العرب

﴿المبحث الثاني﴾

﴿فما يتعلق ببلاد مراکش وإالة الجزائر﴾

اكتسب غربي افريقية بعض التمدن من مملكة مراکش التي بقيت خالية من نسيط الاجانب فحق لها أن ترفع لواء ظهور الامة العربية واستقلالها بالحكم الا أن الفشل بين العائلة المتسلطنة عليها عجل انحطاطها وسلطانها الا أن عبد الرحمن الجالس على سرير السلطنة سنة ١٨٢٢ ولم تزل مكاسة وفاس ومراكش مشتملة على طرف من العز والجلالة لاسيما فاس المعتبرة آخر مأوى ثوت فيه المعلومات المشرقية واشتمل على مدارس كثيرة وكتبخانة مشهونة بانفس الكتب المكتوبة بخط اليد ولم تنج علماءها لاحد من الفرنج ان يطلع عليها ويمكن أن يكون أهالي مملكة مراکش ستة ملايين من البربر والعرب واليهود والزنج وغيرهم وقد انتشر البربر على سلسلة أطلس الممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ويقرب سواحل البحر جبال الريف التي يحمي خاها قبائل مستقلة لا تعرف أسماءها

وتنقسم أرض تلك الجهات الى تل وصحراء فطول التل خمسة وسبعون ميلا مترا وعرضه ثلاثون أو أربعون ميلا مترا وسطحه ثلاثة آلاف ومائتان وخمسة وعشرون ميلا مترا مربعا وهو ضعف تل الجزائر والصحراء كصحراء الجزائر في السعة وبجنوبها وشرقها مملكة صغيرة معروفة بمملكة سيدي هشام انشئت سنة ١٨١٠ وأهلوه عرب وشيلاوق وكرسها طالان مركز قوافل التجارة بين تمبكتوا ومراكش

وجبال تلك الجهة من افريقية شامخة ومخدرها على صورة واحدة وانهارها أكبر من أنهار الجهة الشرقية ويجرى من هذه الأنهر الى جهة الشمال ملوياً ولقوص والعورا والاصبو وأم الزينة والبورغراز والى جهة الجنوب الغوير والزيزو وادى دراعة وتلك البلاد فاخرة ناضرة لانعرف جميع وسائل قوتها وغناها

وكان ملوك أوروبا متشوقين لامتلاك بقاع مهمة من ساحل شمال افريقية وتأسيس مراكز تجارية أو الزام أهل تلك الاقطار احترام بيارقهم الفرنجية وكان بينهم وبين حكام مراکش والجزائر وطرابلس وتونس علائق نتج منها منفعة تبعية ثم عادت الفرنسية الى الجزائر من سنة ١٨٣٧ حتى أخذوا الجزائر سنة ١٨٣٠ فتغير شمال افريقية تغيراً كلياً وزال عنه علائق الحكومة التركية ومنع الفرنسية من توسعة دائرة حكومتها بالاقطار المغربية فاحصل لديها من الانقلاب في شهر يوليو سنة ١٨٣٠ وما كان عليه الترك والعرب من شدة البغضاء للنصارى وان كانت المعادات حربية بين رؤسائهم كالخاج أحمد وابن عيسى وابن زامون في الجهات الشرقية وعلى مبارك والبرقاقي وابي مزراق وأمثالهم في الجهات الغربية وتنقسم ايلة الجزائر الى أربعة أقاليم عرانية وقسطنطينية وتيتري والجزائر وكان القائم بتدبير الحكومة بالاقاليم الثلاثة الاول وكيل عن الوالى الكبير ويتدبر اقليم الجزائر اغا العرب الداخلى فى حكومته بليدة وسهل حمزة حتى أبواب الحديد وبغربي هذا الاقليم اقليم عرانية المحصور بجبل أطلس الصغير والمتصل بحدود مملكة مراکش ويشمل اقليم القسطنطينية ما فى شرقه من حوض البلاد المروية بنهر وادى الرمل ويجنوب هذا الاقليم اقليم تيتري المبتدئ من شواطئ نهر الشليف والممتد طويلاً على جوانب جبل أطلس الكبير

وقد زال حكم الوالى الكبير فنفسه حكم الخاج عيسى الرجن فى القسطنطينية بلا تعرض من الفرنسية له وأراد مشايخ العرب باقليم عرانية وتيتري ان يأخذوا ما كان لهم من علو الشأن ونفوذ الحكم لكن مال بعضهم الى معاهدة عبد الرجن سلطان مراکش الذى بعث كاتيب الى مسقرة وتلمسان وبعض آخر الى أن يكونوا

تحت

تحت حماية فرنسا وية اللادئين بمدينة بونة والمرسى الكبيرة ثم جاء السر عسكر (كلوزيل Clausel) الفرنساوى الى مدينة الجزائر فى سبتمبر سنة ١٨٣٠ فاجتهد فى الاستيلاء على ايلة الجزائر وشدة أزره بمشايخ العرب ذوى البأس واتباع فرنسا وية رأيه من ذلك الزمن ثم علموا بما فعله أبو مزراق المتفرد بالقوة فى جهة مدينة من اقليم تيتري من اظهاره الانقياد اليهم مع تحريضه العرب وأهل مراکش سرا على قتالهم فقاتلوه وأسروه وولوا بدله مصطفى بن عمر الذى عاهدهم على الصداقة والطاعة

وكانت طائفة كولة موكلين من الحكومة العثمانية المزالة بالدفاع عن الحصون الحصينة فحضرهم العرب واستغاث حسن بيك بالفرنسا وية فبعث (كلوزيل) عساکر الى مدينة المرسى الكبيرة وآخرين الى مدينة عران ثم أخذ والى تونس مدينة عران بعد اتفاق بينه وبين فرنسا وية الذين أخذوها بعد ذلك فى ثامن عشر أغسطس سنة ١٨٣١ التى تولى فيها قيادة الجيش الفرنساوى السر عسكر (برترين Berthesène) وعساکره لا تبلغ تسعة آلاف مع اضطراب العرب بسائر الجهات ومحاصرتهم ببلدة مدينة ونفاد ما عند مصطفى بن عمر من الاقوات والوسائل ولذا أخذ العرب هذه البلدة من فرنسا وية فى الخامس والعشرين من يونيو وظنوا أن فرنسا وية يخرجون عما قليل من أرض الجزائر

وكانت أحزاب العرب تتعاقب على مدينتى تلمسان ومستغانم ومحبي الدين المرابط بمهبط طريق الظهور لابنه عبد القادر فى بلدة مسكرة التى كانت مركز الحرب بعد فوج الجنود التركية الغير المنتظمة فغلب السر عسكر (بواير Boyer) هؤلاء العرب وادى (ارزوا) المتعاهد مع فرنسا وية الى العساکر المحافظة على مدينتى عران والمرسى الكبيرة جميع الاقوات الضرورية وفى أثناء ذلك كان بضواحي مدينة الجزائر تحزب عظيم دخل فيه أهل بليدة وقولبة ودخل أهل مدينة فى حكومة سلطان مراکش فنصر على هؤلاء الجوع السر عسكر (برترين) وجعل على مبارك أنما العرب لحفظ عدوهم فى السهل لما التزم لذلك القائد

وجاء الدوق (دى رويجو Le duc de Rovigo) الى مدينة الجزائر في نوفمبر سنة ١٨٣١ وشرع الفرنسيون بعد أشهر قليلة في تجديد المكلفات الحربية بجيوش أكثر من الاول ففتح الشيخ فرحات عدو بيك القسطنطينية أبواب مصادمة الفرنسيين وبعث سفراء قبض عليهم الفرنسيون في أرض قبيلة عوفية وقتلوه في عاشر ابريل فتعصب العرب على الفرنسيين وعضدهم كراهية على مبارك للفرنسيين لكنهم مرقوا كل ممزق في اكتوبر سنة ١٨٣٢

وكان ذلك الزمن حوادث مهمة شرق ايلة الجزائر فان مدينة بونة التي حلها الفرنسيون يسيرا من الزمن خرجت عن طاعة الحاج أحمد بيك القسطنطينية الذي دهمها بعد ذلك في خامس مارت سنة ١٨٣٢ لاحتياجه الى ميناء واستولى عليها وأفرط في ذبح من قاومه فيها فحار بذلك صيتها كبيرا ثم أخذتها الفرنسيون في شهر مايو وبذل عزائم لم تفد في استنقاذها منهم وقد استولى ضابط عساكر (ارماندى Armandy) على القصة بمساعدة ذوى الجراء وفي سنة ١٨٣٣ ميلادية انقاد مدينة الجزائر وضواحيها والاراضي التي بين نهر العراش ونهر متيجة ومازفران والبحر الملح للفرنسيين الذين كانوا يحلون في مدينة عران وقلعة المرسى الكبيرة وتعاهد معهم حزب الكولة في تلمسان ومستغانم وأحسن سلطان مراکش بضعف شوكتهم فاعرض عن توسيع مملكته وملك الحاج أحمد بيك مدينة بونة فطمع في مدينة بجاية وحاصر مدينة مديّة بلا طائل ثم قاومته مدينة بونة وأخذ الجنرال (تريزيل Trézel) مدينة بجاية في التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٣٣ وعاقب القبائل التي امتلكها من سنة ١٨٣١ وطردت سفن الفرنسيين من الساحل مرات وجاءت قبائل أخرى أبدت تعصيدا لذلك الجنرال

وتولى عبد القادر مشيخة العرب بعد وفاة والده محي الدين فاستنفر العرب في سائر الجهات وأضرهم على حين غفلة نار جهاد الفرنسيين ولم يوقف سيره المتزايد نصرات للفرنج واشتهر أنه بيك إقليم تلمسان واستولى على مدينة ارزوا وقطع رأس قاضيها المتآلف مع الفرنسيين وهدد مدينة مستغانم بالاستيلاء عليها فاحتفظ

بها

بها الفرنسية وهزموه بمساعدة قبائل الدوير وذميلة وطردوه من ارزوا غرة
 أكتوبر في العين البيضاء وثالث دسمبر في تلمسان وألزموه في السادس والعشرين
 من فبراير سنة ١٨٣٤ أن يعقد معهم شروطا انتهت بها المكايفات الحربية
 وأصلحت الفرنسية في سهول مدينة الجزائر قناطر بوفاريق وأسسوا معسكر
 الدويره وانضم اليهم سرا أهل مدينتي مديّة و بليده فلم يخشوا بأس قبائل متيجة
 وعينوا جعلاً للنظر في وسائل بقاء ما فتحوه من البلاد على السلم وصدر لهم في الثاني
 والعشرين من يولييه سنة ١٨٣٤ أمر عال بأجراء السياسة بإيالة الجزائر على نظام
 جديد فجعل بها قائد اللجنود ورؤساء في وظائف أخرى ووكيل عام النفوذ وجميعها تحت
 يد الجنرال (درويت درلون Drouet d'Erlon) المقلد بالإدارة العليا للصالح
 الذي نقض مصاريف الفرنسية المقيمين بتلك البلاد واتخذ جمعاً من العساكر البلدية
 وأعاد منصب الاغا الملغى منذ نكث على مبارك عن مخالفة الفرنسية التي
 احتقن رجالها في المحطة العسكرية الجديدة المسماة حوش جاويش بقرب بوفاريق
 وهادنهم الامير عبد القادر سنة قوى فيها شوكته وأنفذ حكمه في جميع البلاد
 التي لم يحكمها الفرنسية وكثرت خلفاءه في اقليمى عران وتيتري واعتبر وكيلا
 عن الامة العربية في تلك البلاد ووقعت له حادثة تقضى بضعف قوته فكانت
 تقوية له وهى أن موسى الدرقاوى ذا التعصب الدينى هجم بنحو ألى مسلم على
 مدينة مديّة المعرضة عن الحزب مع عبد القادر ثم حاصر مدينة مليانه فكافىه
 عبد القادر وأخذ منه مديّة ثم ولى قوادا على متيجة وغيرها من العرب بجميع
 الجهات ورجع من مدينة مسخرة فاستعد للحرب وأتته ذخرات من بلاد أجنبية
 بواسطة مصب نهر التفنه وأراد عقاب الدويره والزميلة لمخالفتهم الفرنسية فسار
 بالعسكر الجنرال (تريزيل) الذى خلف الجنرال (دسميشل Desmichels) من أول
 فبراير سنة ١٨٣٥ ونزل امام أرض تلك القبائل في أوائل يونيه فقاتل المسلمين عدة
 مقاتلات خالية عن النتائج المهمة ثم دهمه المسلمون وهزموه على شواطئ نهر
 المقطة فعاد الى ارزوا بغاية المشقة وكان لهم بذلك فرح اعترفوا فيه بالشيخة

لعبد القادر حتى اقتدت مدينة بليدة بغيرها وقبلت حاكما من قبل عبد القادر
وبقيت مدينة قولية على طاعته بسبب معسكر بتاديست امام قبيلة
الدويره وغربها والفرنساوية اذ ذاك في غاية الضيق فجهر بالعزم على التوجه
لمحاربة عبد القادر في بلدة مسكرة مركز شوكنه الجنرال (كوزيل) المتولى الحكم
العام في أغسطس سنة ١٨٣٥ وأنزل عساكره في جزيرة حشيون المنحكمة على مصب
نهر التفنة والمساوى ارتفاعها لارتفاع تلمسان وتمت استعداداته الحربية في السادس
والعشرين من نوفمبر فسار بجيشه ومعه الدوق (ارليان Le Duc d'Orléan) ولم
يؤمل عبد القادر مقاومة فرنساوية فنقل ماله من قاعدة حكومته وأحرقها فدخلها
الفرنساوية في خامس دسمبر فأعدموا من فيها من الطوبجية وعادوا الى محطتهم
الاصلية وبذلك بطل مال عبد القادر من الشعوذة الاخذة بعقول العرب
فانضم منهم قبائل الى فرنساوية ثم هم عبد القادر ان يدهم مشوار تلمسان
فهزمه فرنساوية واقتفوا أثره فجا بجواده وزالت شوكتته فخلفته قبائل
بالبساطي الايسر لنهر التفنة وأهل مراکش فأبدوا موثلا جديدا لعبد القادر
فدهم أعداءه حين عودتهم الى تلمسان وعران

وطلب رؤساء العرب من حاكم فرنساوية الاكبر أن يقلدهم المشيخة وكانوا
كثيرين فجمد الانتظام والهدوء في ضواحي مدينة الجزائر وزرع خارج
الحصينات وأخذت أحوال جهة الشرق في التحسن كل يوم وكان بين قبائل
بجاية شقاق انتهز فيه فرنساوية الفرصة بالزامهم السكوت واتقاء صولتهم
كما كان بين قبائل بونة من التباعد الذي وصل فرنساوية الى ما ربههم
فانهم اتخذوا من أشياخها خلفاء فتحوا للجيش فرنساوية طريقا الى
القسطنطينية فجدد الامير عبد القادر في أوائل سنة ١٨٣٦ دهمات على
الفرنساوية سرت بها حركة الاضطراب في الجهة الجنوبية ففعل فرنساوية
غزوة ثالثة لمدينة مديّة فأخذوها ثم أشيعت أقاويل كاذبة حين حازت
عساكرهم مدينة الجزائر فعصت العرب وشهروا السلاح وتولى شيخ العرب
على مبارك مدينة مديّة في شهر مايو

وأراد الفرنسيون إغاثة القبائل الدويرية والزميلة من دهمات الحرب فنزل الجنرال (بريجو Perregaux) على نهر هبرة وفي وادي شليف والجنرال (درانج) على نهر التفة ودهمه عرب مراکش فدخل متاريسه في خامس عشر ابريل واستنجد بجاء الجنرال (بوجود Bugeaud) وقام في أوائل يونيو بقيادة المقيمين في عزان وصد جيوش عبد القادر مرتين وهزمها في سادس يولييه في مقتلة سقاء فعاد عبد القادر الى مدينة مسكرة فالتزم سلطان مراکش أن يمنع أمام حدود مملكته قبائل همت بنجدة عبد القادر فأملت الفرنسيون طفرهم بالحاج أحمد بيك القسطنطينية وتقدم يوسف الذي جعله كاوزيل بيكا على الاقليم برجاله الى مدينة دريان في جنوب بونه على ستة فراسخ وضم اليه عدة مشايخ بكرهون الحاج أحمد ثم أقام في الساحل بمحطة كالة التي كانت مع الفرنسيين من سنة ١٥٢٠ الى سنة ١٧٩٩ ثم تركوها للابكيكز سنة ١٨٠٧ ثم أخذوها سنة ١٨١٦ ثم هدمها والى الجزائر سنة ١٨٢٧ وتم استبعاد الفرنسيين لمحاربة يوسف في تامنوفيرفسار المارشال والدوق (نمور Nemours) بسبعة آلاف وصولا مدينة غلمة في الخامس عشر من هذا الشهر وكانوا أمام القسطنطينية في الحادي والعشرين فكان من البرد والمطر ما عطل حركتهم ويئسوا من أخذها بعبد هجمات كثيرة فعادوا الى مدينة بونه وقاوموا يوسف وألجؤا الى بعض المدن ثم استعدوا سنة ١٨٣٧ وتذبروا فيما يبقى العرب على الطاعة وبعدهم عن الخروج العام الذي تحدثت به نفس عبد القادر فسافر من بلدة بوفاريق الجنرال (دمريمون Damrémont) ثالث من قلدا الحكم العام على ما فتح من بلاد الجزائر بسبعة آلاف في السابع والعشرين من ابريل ونزل في بليدة وقولية ثم سار من بلدة مليانه ووادي شليف وغزا العرب غزوة أذعنوا فيها بالعجز عن مقاومة الفرنسيين وعقد الجنرال (بوجود) في واقعة التفة شروطا تكفلت باعادة الهدوء في جميع ااية الجزائر

وأفادت هذه الشروط شعوزة عبد القادر واعتراف الفرنسيين له بالامارة على

العرب وتوجه فكرهم الى الاستعداد لاختذ القسطنطينية التي توجه اليها
العساكر الفرنسية وبلغوا المجاز الاخر في يولييه وعرفوا طريق القسطنطينية
في ثاني عشر ستمبر فجازوا رأس العقبة وقاتلوا في السهل الرطب الذي بنهايته
نهر الوادي الزناتي سرية قليلة من فرسان العرب ورجعوا في الثالث عشر الى
المجاز الاخر فدهمهم العرب عدة دهمات بذلوا فيها العزيمة من الحادي
والعشرين الى الثالث والعشرين ونزل الدوق (غور) المعسكر في الثامن
والعشرين وسار الجنرال (دمريون) برجاله في غرة اكتوبر ونزل بهم امام
القسطنطينية في اليوم السادس وأخذ يحاصرها وابن عيسى قائد رجال الحاج
أحمد يدافع عنها مع ما كان في اليوم السابع الى التاسع من انسكاب المطر
الذي خشيت به الفرنسية ان يحل به عليهم من الوبال ما حل بهم في المرة السالفة ثم
اعتدل وذهب المطر فنبقوا فرجة في اسوار المدينة يوم مات الجنرال (دمريون)
الذي خلفه الجنرال (فاله Valée) وآثار موته فيهم حية أخذوا بها المدينة عنوة
في صبيحة الغد ففر والها أحد الى الجنوب واجتهد في عوده اليه فلم يقدم ثم انقاد
اليهم في شهر مايو سنة ١٨٤٨ فنصب الفرنسية بيرقهم على اسوار الثلاثة مدن
الكبار بولاية الجزائر وهي مدينة الجزائر وهران وقسطنطينية وجعلوا بـقسطنطينية
ثلاثة خلفاء وثلاثة قواد وسلموها لحاكم وقلدوا ابن غانة مشيخة العرب وقداي
عبد القادر تميز الاتفاق الواقع في رابع يولييه وانتظر بالشروط المعقودة بعد
واقعة التفنه فرصة لقتال الفرنسية ثم ظهر برجاله في ديسمبر سنة ١٨٣٧
بحدود اقليم قسطنطينية وفي ابريل سنة ١٨٣٨ بجهة مدينة وفي شهر مايو
بجهة تجدمت ثم سار حتى بعد عن ساحل البحر الملح بعانة فرسخ ليدهم في عين
ماضي الرابط المسمى تجيني الذي انقاد للفرنساوية في خامس عشر يناير سنة
١٨٣٩ وقرب بعد ستة أشهر من مملكة مراکش وجال في أرض الزاوة
فأوقد سعي الاضطراب بجميع جهاتها

وفتح الفرنسية طريقا من بلدة جميلة الى ستيف فأخذوا في مايو سنة ١٨٣٩

ثلاث مدن ميلة وجيجلى وجيلة وانقاد لهم سهل مجانة الذى صدد أهله احزاب الحاج أحمد ووجهوا من بجاية أناسا يستكشفون مضيق تيزى ورأوا فى آخر سنة ١٨٣٩ ان يلزموا العرب عدم القيام مع عبد القادر فوجهوا لغزو ابواب الحديد (الدوق اريان من ستيف) فى ستمبر فجاز ذلك المضيق المخوف وعاد الى مدينة الجزائر بواسطة بلاد حمزة فظهرت قبائل هاجوط المخالفة لعبد القادر وقاتلوا الفرنساوية فى واقعة نهر الشفا والوادي العالج ثم قام جميع القبائل فى طول تلك الجهات وهجموا على مدينة بليدة الحصينة فانهمزموا عنها مرات

وفى سنة ١٨٤٠ أكثر الجنرال (لاموريسيير Lamoricière) من النهب والسبي وأظهر العساكر الفرنسية مدافعة مازجران الحصينة فى ثانى فبراير وملكوا بلدة شرشل فى سادس عشر مارت بعد واقعة مررغين وغلب ابن غانة قائدا من قواد عبد القادر بمركة سلسول فى الرابع والعشرين من هذا الشهر وعاقبوا بنى هراقطه وقبائل بنى موسى فى الثانى والعشرين من ابريل وحصنوا غلمة ورباط سيدى طمطم خلف الوادى الزناتى وأنشؤا معسكر عين ترك على سبعة فراسخ من ستيف وأخذوا مدينة مدينة فى سابع عشر مايو ومدينة مليانة فى ثامن يونيو ولم يكن من عبد القادر بعد ذلك الاحزاب اتلاف ونهب وهجمات على محال قاصية الا أنه نظم جنودا ظهر قههم بظهر الجلال ثم تولى الجنرال (بوجود) بدل الجنرال (قاله) فى الثانى والعشرين من فبراير سنة ١٨٤١ فتوجه لاعداد المركز الاكبر لشوكة عبد القادر وتبعه الدوق (غور) فى مايو لمساعدته فتوجه بعساكره جهة الغرب واستولى على بلدة نجدمت فى الخامس والعشرين من هذا الشهر وعلى مسكرة فى غايته ونصر غرة يونية فى معركة عقبة جده فبقى مستوليا على ما فقه من تلك البلاد ووضع الفرنسية فى مدينة مدينة ومليانة عددا حربية لفتح منسيلة البعيدة من بلدة ستيف بثمانية وعشرين فرسخا وهدموا كالا من بوغارة وتعازره وعملوا فى سنتى ١٨٤٢ و ١٨٤٣ محاربات مكنت فى ايلة الجزائر بتحكمهم الذى امتد الى حدود الصحراء الكبرى وأخذ عبد القادر فى غاية

سنة ١٨٤١ يدافع عن أقوامه بسائر الجهات وضم اليه أهل مراکش ثم أخذ منه الدوق (أومال Le duc d'Aumale) في رابع عشر مايو سنة ١٨٤٣ مدينة سمالة التي في ضواحي مدينة تغلين وأخذت الدولة الفرنسية في التقدم بإيالة الجزائر من ابتداء سنة ١٨٤٤ رتببت إدارة القبائل بطريق منتظمة واتسعت فتوحاتها من جهة الشرق بأخذ مدينة مسكرة وانقياد بني زيبان وقبيله بلازمة وعريس ومن جهة الغرب بأخذ مدينة سبدو وغور واللامغنية ودية والفارة والقصور وغير ذلك وفي إقليم الجزائر بغزو قبائل لاغوة وعين ماضي وقوم سباعوا وأخذ مدينة دليس وإنشاء محطة أومال العسكرية وعرف الدوق (أومال) حاكم قسطنطينية خط الحديد بين إيالاتي الجزائر وتونس وبعيدت الفرنسية عن مدينة الجزائر إلى جهة الجنوب بمائة وعشرين فرسخا وعاقبوا سلطان مراکش لنقضه شروطهم ومحاماته عن عبيد القادر وعارضوا أهل مراکش بمسكر اللامغنية في آخر مايو وملكوا مدينة أشده وأطلقوا المدافع على طنجة في سادس أغسطس ونصر الجنرال (يوجوه) في واقعة أسلي رابع عشر هذا الشهر وأطلق في ذلك اليوم أمير يونويل مدافع هدمت أسوار مقدور فرجاه مولاي عبد الرحمن أن يعفوا عنها وصالح الفرنسية في ثامن عشر مارت وفي سنة ١٨٤٥ اتقد نار العصيان بقيام رجل آخر يسمى أيا معزة جاء من مراکش مستنظرا لعدة قبائل فغلبه الفرنسية في عين مران فسار ليأخذ مدينة ارليانويل فهزموه عدة مرات وأخذ يتنقل من مكان إلى آخر حتى سلم نفسه اليهم في ثالث عشر ابريل سنة ١٨٤٧

وأما عبيد القادر فلم توافقه العرب على القيام لقوة شوكة الفرنسية الذين هزموه في سابع مارت سنة ١٨٤٦ ففر إلى جهة الغرب وذهب في تاسع مارت الفرنسية المأسورين في واقعة ديرة فدهمه جيش فرنساوى ففر إلى مملكة مراکش فأعلن سلطانها عبد الرحمن بعادته ودهم من سائر الجهات فانهزم في معركة سيدي ابراهيم وسلم نفسه للجنرال (لاموريسير) فبعثه إلى فرنسا وبقى بها

بها أسيرا حتى أطلقه نابليون الثالث سنة ١٨٥٣ فسكن في مدينة البرصه
 احدى قرى تركية آسيا منعزلا عن الامور السياسية وقد انتقاد سائر اريالة الجزائر
 للفرنساوية منذ زالت شوكته ودعيت القبائل بغزو الجنرال (بوجود Bugeaud)
 للقبيلة الكبرى في مايو سنة ١٨٤٧ ولم يكن بعدها الا وقائع جزئية كوئوب الزعاطشه
 على فرنساوية في سادس عشر يولييه سنة ١٨٤٩ وانتقام فرنساوية منهم
 في سادس اكتوبر وقع العسكر بعض قبائل وسبي قبيلة مزاور المراكشية
 سنة ١٨٥٠ وغزوة الجنرال (سنت أرنود Saint-Arnaud) للقبيلة الكبرى في
 الجزائر وانتقاد بنى فليسه للجنرال (بيليسيه Pelissier) سنة ١٨٥١ وكان ولاية الحكم
 العام بعد المارشال (بوجود Bugeaud) مشغولين باصلاح الحال وهم الدوق (أومال
 Aumale) المتولى في سابع عشر أغسطس سنة ١٨٤٧ (وكافنيك Cavaignac)
 في الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٨٤٨ (وشنجرنيه Changarnier) في رابع
 عشر يونيه (وشارون Charon) في تاسع سبتمبر (وهوتبول d'Hautpoul)
 في الثاني والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٥٠ (وبيليسيه Pelissier) في عاشر مايو
 سنة ١٨٥١ (ورندون Randon) في حادى عشر ديسمبر ونظموا ادارة البلاد وتكفلت
 القبائل بما يكون من الجنايات في أرضها وتحدد مقدار غرامات الجنيح وأبقيت
 الغابات بقوانين نظامية وتحددت الاقاليم الثلاث وهى أقاليم مدينة الجزائر
 وقسطنطينية وعران وقسم اقليم مدينة الجزائر ستة أقسام عسكرية صغيرة
 قواعدها مدن الجزائر وبليدة ومدينة واومال ومليانة وارليا تسويل وشرشل وبوغار
 وطناس وبجاية ودليس وقوليه ونحوها وقسم اقليم عران خمسة أقسام صغيرة
 عران ومسكره ومستغيم وسيدى أبو العباس وتلمسان وبنادرها ارزو ونورس
 وطياره وسيدة ومسرجين ومازجران ودية واللامغنية وسبدو واقليم قسطنطينية
 أربعة أقسام قسطنطينية وبونه وستيف وبطنه وبنادرها بمسكره وفيليش وغلمة
 وجيجلى وكالة وطبسة ونحوها

وايالة الجزائر محدودة من الشمال بالبحر الابيض المتوسط والغرب بمملكة مراکش

والشرق الى الجنوب بياشوية تونس وتمتد هذه الالة الى غردية بواحة وادي مزاب
وأما أرض القبيلة الكبرى التي يصعب دائما قعها فائة وستة وأربعون كيلومتر
بساحل البحر الملح بين مدينتي دليس وبجاية وتمتد من جهة الأرض القادة الى
أبواب الحديد في الجنوب الغربي والى ستيف في الجنوب الشرقي وسكان هذه
الأرض من نسل الماسولان والكنكيجنطيين الذين يارز والامة الرومانية في القرون
الاول بعد الميلاد وكانت تسمى بالجبل المدرع بالحديد حتى أظهر العرب الاسلام
فسموها أرض العدو المحاربة وأدخلوا فيها الاسلام بلا حرب بل بواسطة ماظهر
فيها من المرابطين من أهل التصوف ولم يطل حكمهم فيها وكذا كان وضع الترك
أيديهم عليها ولا يستطيع احد أن يدرك بصيرته ان الفرنساوية المتصكمة عليها
الآن أمهر من الغرب والترك وأسعد منها خطأ أولا

وقد أخذت االة الجزائر في التقدم بمخالطة الفرنساوية أهل المدن ولا يبين لنا
حقيقة ما يصير اليه هذا الحكم الافرنجي على عرب افريقية الا مستقبل الزمان

تم بعناية الله وقوته طبع هذا الكتاب المستطاب الموسوم بخلاصة

تاريخ العرب ترجمة العالم سيديو الشهير وذلك بالمطبعة البهية

الكائنة بحوش قدم بمصر المحمية في أواخر شهر ذي الحجة

سنة ١٣٠٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل

الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست خلاصة تاريخ العرب تهذيب ترجمة العالم سيديو ﴾

صحيفة

١ مقدمة

١١ المقالة الاولى في جغرافية بحيث جزيرة العرب وفي تاريخ العرب قبل البعثة
وفيه بابان

١١ الباب الاول في جغرافية بحيث جزيرة العرب وفيه ستة مباحث

١١ المبحث الاول في آراء القدماء في حقيقة بحيث جزيرة العرب

١٢ المبحث الثاني فيما اختاره العرب في تقسيم بلادهم وفي بحيث جزيرة طه، سنا
وصحارى الشام وكلاهما وغيرهما وبلاد العرب الحقيقية

١٤ المبحث الثالث في تخطيط الجاز

١٥ المبحث الرابع في وصف اقليم اليمن

١٥ المبحث الخامس في وصف أقاليم حضرموت ومهرة وعمان والحساء والاشقاق
ونجد

١٦ المبحث السادس في وصف المنظر العام لبحث جزيرة العرب وريح السموم
ورمال الصحراء والندى والامطار الدورية ومعيشة العرب البدوية

١٨ الباب الثانى في العرب قبل البعثة وفيه مباحث

١٨ المبحث الاول في طباع العرب وأخلاقهم وطبقاتهم وانقسامهم الى قبائل

١٩ المبحث الثانى في الروايات القديمة من ابتداء القرن المئتم للعشرين الى

القرن العاشر قبل الميلاد العيسوى

٢٤ المبحث الثالث في تهديد الفاتحين من آسيا للعرب

٢٥ المبحث الرابع في الكلام على قبيلة النبط

٢٦ المبحث الخامس في أن قتال الرومانيين للبرطيين كان نافعا للعرب

٢٧ المبحث السادس في الكلام على شمال بلاد العرب من ابتداء القرن الثالث

قبل الميلاد الى القرن السابع بعده الذى هو زمن البعثة وعلى مملكة الحيرة
والانبار والغسانيين

صحيفة

٣١ المبحث السابع في بلاد العرب الجنوبية (وفي التبابعة وملوك الحبشة)
 ٣٣ المبحث الثامن في الكلام على وسط بلاد العرب وعلى مكة والمدينة وشوكة
 قريش

٣٥ المبحث التاسع في ميل العرب الى الوحدة السياسية وفي اجتماعهم
 بسوق عكاظ ومنازلاتهم بالقصائد الشعرية

٣٨ المبحث العاشر في الحركة الدينية التي ظهرت في مجيئ جزيرة العرب
 ٤٠ المقالة الثانية في الكلام على النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وفيها
 ثلاثة أبواب

٤٠ الباب الاول في حالة بلاد العرب آخر القرن السادس من الميلاد وفيه
 مبحثان

٤٠ المبحث الاول في المجددين الاول لامور العرب
 ٤١ المبحث الثاني في انحطاط الدول المجاورة للعرب في ذلك العصر
 ٤١ الباب الثاني في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة عشرة مبحثا
 ٤٢ المبحث الاول في مولده وبداية أمره

٤٢ المبحث الثاني في خلقه صلى الله عليه وسلم ومقاصده
 ٤٣ المبحث الثالث في مبعثه صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة
 ٤٤ المبحث الرابع في أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وتزوجه
 ٤٦ المبحث الخامس في معجزاته صلى الله عليه وسلم المختلف فيها بين أهل السنة
 والمعتزلة وتكسير الاصنام واسلام عمر

٤٦ المبحث السادس في عرض رسول الله نفسه على القبائل وابتهداء أمر
 الانصار وبيعتي العقبة

٤٧ المبحث السابع في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
 ٤٨ المبحث الثامن في غزوة بدر وأمر رسول الله بالتغزو

غزوة

- ٤٩ غزوة بنى قينقاع
 ٤٩ غزوة السويق
 ٥٠ المبحث التاسع في عدة غزوات
 ٥٠ غزوة أحد
 ٥٠ غزوة بدر معونة
 ٥١ غزوة بنى النضير من اليهود
 ٥١ غزوة ذات الرقاع
 ٥١ غزوة بدر الثانية
 ٥١ غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
 ٥٢ غزوة بنى قريظة
 ٥٢ غزوة ذي قرد
 ٥٢ غزوة بنى المصطلق
 ٥٢ المبحث العاشر في عمرة الحديبية وبيعة الرضوان والهدنة مع كفار قريش
 وغزوة خيبر وسفارة النبي الى الملوك وغير ذلك
 ٥٣ غزوة خيبر
 ٥٣ غزوة وادي القرى
 ٥٤ رسل النبي الى الملوك
 ٥٤ المبحث الحادي عشر في عمرة القضاء واسلام خالد ومن معه وفتح مكة
 وغزوات مؤتة وحنين والطائف
 ٥٤ عمرة القضاء
 ٥٥ اسلام خالد بن الوليد ومن معه
 ٥٥ غزوة مؤتة
 ٥٥ نقض الصلح بين قريش والنبي وفتح مكة

صحيفة

- ٥٦ غزوة حنين
٥٦ حصار الطائف
٥٧ المبحث الثاني عشر في غزوة تبوك وانقياد من في بحيث جزيرة العرب للشرعة
الاسلامية
٥٨ المبحث الثالث عشر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٩ الباب الثالث في القرآن
٥٩ دين الاسلام
٦٠ ذكر الله والملائكة والانبياء في القرآن
٦١ ذكر الثواب والعقاب في الدار الآخرة
٦٢ الوضوء والصلاة والصوم والزكاة
٦٣ الآداب المأمور بها في القرآن
٦٣ اقامة الحججة على من رموا دين الاسلام بالوحشية وسرد شواهد على كرم
أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وسخائه ومضاء عزيمته وثبات جنانه
ورهبته وشطف عيشه
٦٤ مناسك الحج التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في حجه تشريفا لامته
٦٥ في أن ما كتب من القرائض لا يخلو عن حكمة
٦٦ في حكمة تحريم بعض المحرمات
٦٦ المقالة الثالثة في الامة الفاتحة
٦٦ الباب الاول في انتظام العرب واستعدادهم للحاربة في غير بحيث جزيرتهم
وفي الخلفاء الاربع الراشدين وفيه أربعة مباحث
٦٦ المبحث الاول فيما وصلت اليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من
العظمة والسلطنة
٦٧ المبحث الثاني في الخلفاء الراشدين

المبحث

٦٧ المبحث الثالث في ملحوظات في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
 ٦٨ المبحث الرابع في خلافة علي بن أبي طالب وما كان بينه وبين معاوية
 ٦٩ الباب الثاني في الحالة السياسية ببلاد العرب وقت وفاة النبي صلى الله عليه
 وسلم وفي قمع المتنبيين وَاغارة المسلمين على غربي آسيا وفيه ثمانية مباحث
 ٧٠ المبحث الاول في عصيان بعض العرب وقتوحات خالد بن الوليد وعكرمة وغيرهما
 وكتابة القرآن

٧١ المبحث الثاني في شدة ميل العرب المسلمين الى الجهاد وتكثير المسلمين
 ٧٢ المبحث الثالث في اغارة أهل الاسلام على العراق العربي
 ٧٣ المبحث الرابع في فتح الشام
 ٧٤ المبحث الخامس في فتح بصرى ودمشق وواقعة اجنادين
 ٧٤ المبحث السادس في عزل خالد من قيادة الجنود وواقعة اليرموك وانقياد بني
 غسان

٧٥ المبحث السابع في فتح القدس وحلب وانطاكية ومدن السواحل وجزيرة
 دجلة والفرات
 ٧٧ المبحث الثامن في اغارة المسلمين على ارمينيا واناضول والسواحل والجزائر
 البخرية والقسطنطينية وما كان من ملوك الروم في حق النصارى المردانية
 ٧٩ الباب الثالث في فتح مصر وفارس وأفريقية وما وراء نهر جيحون وفيه ثمانية
 مباحث

٧٩ المبحث الاول في فتح مصر وحالها حين ملكها ابن العاص
 ٨٠ المبحث الثاني في فتح الاسكندرية
 ٨١ المبحث الثالث في غزو المسلمين بلاد النوبة وبلاد برقة وسائر فتوحاتهم الواصلة
 الى صون بطول المعروفة بصطفورة

٨٣ المبحث الرابع في الاغارة الثانية للمسلمين على شمال أفريقيا وما أثر معاوية بن حديج وعتبة بن نافع

٨٤ المبحث الخامس في أخبار الفرس وفتح بلادهم

٨٥ المبحث السادس في واقعة القادسية

٨٥ المبحث السابع في انشاء العرب الكوفة والبصرة وأخذهم المدائن تحت مملكة الفرس وواقعتي جلولاء ونهاوند وهرب يزيد بن جندب ومقاومة هرثرة بن العبد

٨٦ المبحث الثامن في أخذ العرب إقليمي كرمان ومكران وخراسان وزوال سلطنة الفرس وانقطاع فتوحات العرب في آخر القرن السابع من الميلاد

٨٧ الباب الرابع من المقالة الثالثة في خلفاء الممالك الإسلامية وفيه ثلاثة مباحث

٨٧ المبحث الأول في زوال قوة الحزب العلوي

٨٩ المبحث الثاني في خلافة عبد الله بن الزبير بمكة مخالفاً لابي أمية وظهور آخرين يدعون الخلافة وتسكين الجحاج السقي ما بداخل المملكة الإسلامية من الفتن

٩١ المبحث الثالث في سوء عواقب تلك الحروب الداخلية

٩٣ الباب الخامس من المقالة الثالثة في اغارات العرب على شمال أفريقيا وعلى

اسبانيا وفرنسا وآسيا الصغرى وما وراء جيمون وشواطئ نهر السند وفيه تسعة مباحث

٩٣ المبحث الأول في حيازة الأموية أقوى ما يكون من الشوكة

٩٤ المبحث الثاني في فتح المسلمين شمال أفريقيا

٩٥ المبحث الثالث في اغارة المسلمين على اسبانيا

٩٦ المبحث الرابع في انتقال موسى بن نصير الى اسبانيا وترتيبها وعزله وقتل ولده

عبد العزيز

٩٧ المبحث الخامس في التقسيم السياسي لاسبانيا وعزها ومبادئ انحطاط العرب

المبحث

- ٩٩ المبحث السادس في اغارة عرب اسبانيا على فرنسا
- ١٠٠ المبحث السابع في انتصار (كرلوس مرتيل) ملك فرنسا على المسلمين في واقعة
بوانيه
- ١٠١ المبحث الثامن في حروب بالشرق وتجديد المسلمين حصار القسطنطينية
- ١٠٢ المبحث التاسع في فتح العرب ما وراء نهر جيحون والاقليم الغربية من
الهندستان وما كان للعرب من تأخر فتوحاتهم بسوء تدبير الخليفة سليمان بن
عبد الملك
- ١٠٤ المقالة الرابعة في قوة شوكة العرب وانحطاطها بالشرق وفيها أربعة أبواب
- ١٠٤ الباب الاول في حدود مملكة العرب وفي قتال الاموية والعباسية وخلافتي
المشرق والمغرب وفيه أربعة مباحث
- ١٠٤ المبحث الاول في شوكة بني أمية
- ١٠٥ المبحث الثاني في العلوية والعباسية
- ١٠٥ المبحث الثالث في سيرة متأخرى بني أمية ونصرة العباسية على مروان الثاني
- ١٠٦ المبحث الرابع في خبر أبي العباس السفاح والمنصور وانشاء بغداد
- ١٠٧ الباب الثاني في رفعة وانحطاط جاه العباسية واجتهادهم في جمع قوتهم بمرکز
واحد وفيه ثمانية مباحث
- ١٠٧ المبحث الاول في عظمة العباسية وسيرة هرون وابنه المأمون
- ١١١ المبحث الثاني في اهتمام العباسية بنشر التمدن في الممالك الشرقية
- ١١١ المبحث الثالث في شكل الحكومة العباسية وايرادها
- ١١٢ المبحث الرابع في الاعمال العامة والادارة زمن العباسية
- ١١٣ المبحث الخامس في الفلاحة والصنائع زمن العباسية
- ١١٣ المبحث السادس في الفنون الادبية والصناعية زمن العباسية
- ١١٤ المبحث السابع في نخامة العباسية

- ١١٥ المبحث الثامن في مبادئ الخطاط العباسية
- ١١٦ الباب السادس من المقالة الرابعة في طلب الامم الاستقلال عن العباسية
وانحطاط حكمهم وتأسيس الدولة الفاطمية وفيه تسعة مباحث
- ١١٧ المبحث الاول في الاضطرابات الداخلية وعجز المتوكل وخلفائه عن قمع مفاسد
العساكر التركية
- ١١٧ المبحث الثاني في استقلال عائلات ملوكية عن الخلفاء في الاقاليم الشرقية من
آسيا وهي الطاهرية والصفيرية والسمانية وغيرها
- ١١٨ المبحث الثالث في عصيان العباسية في الاقاليم الغربية والايالة المصرية وذكور
عائلي الزنجيين والطولونيين
- ١١٩ المبحث الرابع في نصرات العباسية آخر القرن التاسع وأول العاشر
- ١٢٠ المبحث الخامس في اقتصار العباسية على الرياسة الدينية بعد ان كان لهم
الرياستان وفي اختراع منصب أمير الامراء وتأسيس شوكة البويهيين
- ١٢٢ المبحث السادس في فرق الزيدية والاسماعيلية والكرمانية وغيرها
- ١٢٤ المبحث السابع في تجديد العلوية دعوى الخلافة وتأسيس الفاطمية خلافتهم
بالقاهرة وتحرير يرضهم الناس على ممارسة العلوم وسيرة الحكم وأمة الذرور
- ١٢٦ المبحث الثامن في الملوك البويهية والسمانية والغزنوية
- ١٢٨ المبحث التاسع في ازالة السلجوقية الدولة الغزنوية وحكم اليونان في الشام
- ١٢٩ المقالة الرابعة في دولة السلجوقية وفيها عشرة مباحث
- ١٢٩ المبحث الاول في طباع السلجوقية وفتوحاتهم
- ١٣١ المبحث الثاني في سلطنة الملك شاه وتقسيم ممالكه بعده وانحطاط دولة
السلجوقية
- ١٣٣ المبحث الثالث في شوكة الامير محمد بن الملك شاه سلطان خوارزم وفي
سلطنة العرب اذ ذاك

- ١٣٣ المبحث الرابع في حال الاقاليم الغربية من آسيا وفي الحرب الصليبي
- ١٣٤ المبحث الخامس في سيرة أواخر الفاطمية وسيرة زنكي ونور الدين وصلاح الدين
- ١٣٦ المبحث السادس في وفاة صلاح الدين وبقاء السلطنة في خلفائه مع علو الشأن حتى جاءت دولة المغول
- ١٣٧ المبحث السابع في حزب الباطنيين وشيخ الجبل
- ١٣٨ المبحث الثامن في اغارة المغول واطهار الملك جلال الدين كبير العزم في مقاومتهم وانقضاء الخلافة العباسية
- ١٤٠ المبحث التاسع في عدم تغلب المغول على مصر والشام وعزل المماليك الملوك الايوبية ثم عزل العثمانية هؤلاء المماليك
- ١٤١ المبحث العاشر في أن عدن العرب لم يذهب بذهب دولهم
- ١٤١ المقالة الخامسة في عظمة سلطنة العرب ثم انحطاطها في الاقطار الغربية الخ
- ١٤١ الباب الاول في سيرة الملوك الاغلبية والادريسية والفاطمية والزرية ثم في سيرة الخلفاء الاموية بحكام اسبانيا وفيه خمسة عشرة مجلدًا
- ١٤٢ المبحث الاول في حال اسبانيا وسير عبد الرحمن الاموي الها وتأسيسه الخلافة الاموية بقرطبة
- ١٤٣ المبحث الثاني في اضطرابات الايالات الشمالية من أفريقية بتخاصم العرب والبربر وفي سلطنة الملوك التغلبية
- ١٤٤ المبحث الثالث في استيلاء الادريسين على تلمسان وانشاءهم مدينة فاس ومساعدة بني الاغلب على التقدم في الفنون والصنائع
- ١٤٥ المبحث الرابع في الغزوات البحرية لبني الاغلب واستيلائهم على جزيرة سيديليا
- ١٤٧ المبحث الخامس في جولان الاغلبين في ممالك ايطاليا الخ
- ١٤٩ المبحث السادس في سلب الفاطمية السلطنة من الاغلبية وتداخل خلفاء قرطبة بينهم

١٥٠ المبحث السابع في ترك الفاطميين بلاد المغرب للزيرية وتوطن العائلة الحمادية في مدينة بجاية

١٥١ المبحث الثامن في عزاسبانيا وجلالتهما من الاموية وخلافة عبد الرحمن الاموي الاول

١٥٢ المبحث التاسع في اقتفاء خلفاء عبد الرحمن الاول آثاره وفي نخامة عبد الرحمن الثالث

١٥٤ المبحث العاشر في محمد الحاكم الثاني وهشام الثاني وحكم المنصور

١٥٤ المبحث الحادي عشر في سياسة الاموية لاسبانيا واضطرابات تلك المملكة زمن خلافتهم

١٥٧ المبحث الثاني عشر في حروب المسلمين مع النصارى باسبانيا

١٦١ المبحث الثالث عشر في انشاء عرب اسبانيا غزلات ومحل اسلامية في جزائر البحر الابيض المتوسط الخ

١٦٢ المبحث الرابع عشر في اتساع افهام العرب لاسبانية وحسن اخلاقهم واستعدادهم العقلي

١٦٤ المبحث الخامس عشر في صنائع عرب اسبانيا وتجارتهم وفلاحتهم ومبانيهم وأشغالهم العامة

١٦٧ الباب الثاني من المقالة الخامسة في توثيق حزبي المرابطين والموحدين تقدم نصرات النصارى على عرب المغرب وفيه اثني عشر مجعنا

١٦٧ المبحث الاول في انحطاط الخلفاء الاموية في اسبانيا وتمزيق خلافتهم المؤسسة بقرطبة

١٦٩ المبحث الثاني في توسيع ملوك اشبيليا حكمهم حتى عم اسبانيا الاسلامية وعدم نجاحهم في ذلك وفي شقاق العرب الذي تقدمت به فتوحات النصارى في اسبانيا

١٧٢ المبحث الثالث في ترك المسلمين جزا من أملاكهم في البحر الابيض المتوسط

المبحث

- ١٧٣ المبحث الرابع فيما يتعلق بحزب المرابطين
- ١٧٤ المبحث الخامس في انتقال يوسف بن تاشفين الى اسبانيا
- ١٧٥ المبحث السادس في تجديد ملوك النصارى الحرب مع المسلمين باسبانيا
- ١٧٧ المبحث السابع في ضياع جزيرة صقلية من المسلمين وطردهم منها الى المغرب
- ١٧٨ المبحث الثامن في ظهور الموحدين بدل المرابطين وتحكمهم في بلاد كثيرة بشمال أفريقيا
- ١٨١ المبحث التاسع في خروج المسلمين باسبانيا على الملوك المرابطين
- ١٨٢ المبحث العاشر في غارة الموحدين واستيلائهم على اسبانيا
- ١٨٢ المبحث الحادي عشر في محاربة الموحدين نصارى اسبانيا وفيما كان من الشوكة لادميرين يوسف ويعقوب
- ١٨٤ المبحث الثاني عشر في مقائلات بعد السالفه وفي واقعة طولوسة وزوال سلطنة الموحدين من اسبانيا
- ١٨٦ الباب الثالث في انحطاط سلطنة العرب في الممالك الغربية وتحكم الدولة العلية على مدينتي الجزائر وتونس وانشاء سلطنة الاشراف في مراکش وفيه أربعة مباحث
- ١٨٦ المبحث الاول في عصيان رعايا المغرب ملوك الموحدين وفي سلطنة عائلة أبي حفص في تونس وسلطنة بني زيان في تلمسان وبني مرين في مراکش
- ١٨٨ المبحث الثاني في استغاثة عرب أفريقيا بملوك الدولة العلية على ملك فرنسا وملوك اسبانيا والبرتغال المغيرين على بلادهم وفي الممالك البربرية
- ١٩١ المبحث الثالث في أواخر حروب نصارى اسبانيا والبرتغال مع المسلمين
- ١٩٢ المبحث الرابع في بقاء مملكة مراکش على حالها وفي تسلط عائلة من الاشراف عليها
- ١٩٣ الباب الرابع في انحطاط دولة العرب باسبانيا وطردهم منها وفيه خمسة مباحث

١٩٣ المبحث الاول في وقوع عدة ممالك اسلامية من اسبانيا تحت حكم ملوك

النصارى

١٩٥ المبحث الثانى في مقاومة محمد الحمار أنغر مقاومة وفي عظمة شأن غرناطة

١٩٩ المبحث الثالث في اضطرابات قصطيلة وغارة بنى حرين وواقعة ريوصا الادو

٢٠١ المبحث الرابع في اعدام النصارى سلطنة غرناطة من بحيث جزيرة اسبانيا

٢٠٤ المبحث الخامس في السياسة التى سلكها ملوك اسبانيا مع المسلمين المطرودين عنها

٢٠٦ المقالة السادسة في وصف التمدن العربى في الزمان الاول وفيها ثلاثة أبواب

٢٠٦ الباب الاول في أن مدرسة بغداد خلقت مدرسة الاسكندرية وفيه مقدمة

واحد وعشرون مبحثا

٢٠٦ المبحث الاول في اكتساب العرب العلوم من ابتداء خلافة المنصور العباسى

٢٠٧ المبحث الثانى في أن النسطوريين كانوا أساتذة العرب الاول وفي انشائهم مدرسة

ايدسة والمذاهب الهندية التى كانوا يتبعونها

٢٠٨ المبحث الثالث في بغداد وترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية ومؤلفات

العرب في الفلك زمن المأمون بن هرون الرشيد

٢١٠ المبحث الرابع في ارساد العرب الفلكية الجديدة وتكملتهم واصلاحهم أزياجا

مترجمة من اليونانية

٢١١ المبحث الخامس في ما نثر البتاني الفلكى وابنى أماجور

٢١١ المبحث السادس في احياء المسالك البويهية ما ابتدأه المأمون من التعليم

والتمدن

٢١٣ المبحث السابع في استكشافات جديدة وابداء أبي الوفاء الفلكى الاختلاف

الثالث في سير القمر

٢١٤ المبحث الثامن في انتقال مركز الاشغال العلمية في غرة القرن الحادى عشر بعد

الميلاد من بغداد الى مدرسة القاهرة وفي ابن يونس الفلكى والزيج الخلكى

المبحث

- ٢١٥ المبحث التاسع فى الفلكىين باسبانيا و أفريقيا الغربىة وعدم كفاىة ما كان
لديهم من مستمدات علم الفلك الاصلىة
- ٢١٦ المبحث العاشر فى ممارسة المسلمين علم الفلك بمساعدة من ولهم بعد الخلفاء من
الملوك المذعنن لغلبة التمدن العربى على العقول فى المشرق
- ٢١٧ المبحث الحادى عشر فى ملوك الغزنوىة والىرونى الفلكى
- ٢١٨ المبحث الثانى عشر فى الملوك السلجوقىة وعمر الخيام وتصحيح الرزنامة الفارسىة
- ٢١٨ المبحث الثالث عشر فى ملوك المغول والطوسى ونقل علم الفلك من بلاد العرب
الى الصين
- ٢١٩ المبحث الرابع عشر فى ابن الشاطر
- ٢١٩ المبحث الخامس عشر فى اولاد تيمورلنك وانشائه رصد خانه بسمرقند وازىبا
فلكىة
- ٢٢١ المبحث السادس عشر فى اشتغال العرب بالعلوم الرياضىة
- ٢٢٤ المبحث السابع عشر فى تقدمات العرب فى الجوغرافىا الرياضىة ونقصان
الرسائل اليونانىة التى استفاد العرب منها هذا العلم
- ٢٢٦ المبحث الثامن عشر فى رفض مدرسة راونه اراء بطليموس الجوغرافىة
- ٢٢٧ المبحث التاسع عشر فى تصحيح العرب كتاب بطليموس فى العصر الاول
- ٢٢٩ المبحث المتم للعشرين فى تصحيح العرب كتاب بطليموس فى العصر الثانى
- ٢٣٠ المبحث الحادى والعشرون فى تصحيحات العرب فى العصر الثالث وفى الكلام
على قبة عربىة وآخر ما حصل من اجتهاد العرب فى هذا العلم
- ٢٣٢ المبحث الثانى والعشرون فى تلخيص الاستكشافات العظيمة التى جاءت بها
العرب فى علم الفلك والعلوم الرياضىة وعلم الجغرافىة
- ٢٣٥ الباب الثانى فى العلوم الطبيعىة التى كانت عند العرب وفيه مقدمة وأربعة

صحيفة

- ٢٣٦ المبحث الاول في علم الكيمياء
 ٢٣٦ المبحث الثاني في علم النباتات والمادة الطبية والاقتصاد الزراعي
 ٢٣٧ المبحث الثالث في علم الطب والمدرسة اليونانية العربية والفخر الرازي وابن
 سينا

- ٢٣٩ المبحث الرابع في مدرسة اسبانيا وابن القاسم وابن زهر وابن رشد وغيرهم
 ٢٤٠ الباب الثالث فيما كان عند العرب من الفلسفة والالهيات والفقه والمعارف
 الادبية ومخترعاتهم وفيه سبعة عشر مبحثا

- المبحث الاول في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطاطاليس
 ٢٤١ المبحث الثاني في المعتزلة والمتكلمين والصوفية
 ٢٤٣ المبحث الثالث في علم الفقه والحديث وفرق المسلمين الاربع صحبة العقيدة
 والدين

- ٢٤٥ المبحث الرابع في الفصاحة العربية وحفظ القرآن وحدة اللسان العربي
 ٢٤٧ المبحث الخامس في علماء النحو والبيان والشارحين
 ٢٤٨ المبحث السادس في علم تحرير الادبيات وتفسير المؤلفات وفي الحكايات
 والخرافات المسلية والقصص الغريبة

- ٢٤٩ المبحث السابع في الامثال السائرة ومجاميع الاغانى وهو الجزء الاول من
 الينابيع التاريخية

- ٢٥١ المبحث الثامن في اشعار العرب والمعلقات السبع وهذا القسم هو الجزء الثاني
 من الينابيع التاريخية

- ٢٥٤ المبحث التاسع في مؤرخى العرب لاسيما أبو الفداء وأبو الفرج وبيهاء الدين

- ٢٥٥ المبحث العاشر في ابن خلدون والمقرئى والسيوطى وأمثالهم

- ٢٥٧ المبحث الحادى عشر فى المسعودى والطبرى وابن الاثير والنوبلى وأمثالهم

- المبحث

- ٢٥٩ المبحث الثاني عشر في أعظم مؤرخي اسبانيا
- ٢٦٠ المبحث الثالث عشر في مؤرخي الفرس
- ٢٦٠ المبحث الرابع عشر في قواميس سير مشاهير العرب
- ٢٦١ المبحث الخامس عشر في اشتغال العرب بتقدم الفنون والصنائع
- ٢٦٦ المبحث السادس عشر في العلائق التجارية بين العرب وأهل المغرب وسكان الممالك الغربية من آسيا
- ٢٦٧ المبحث السابع عشر في اختراعات العرب واستكشافاتهم وفي يث الابرة وصناعة الورق والبارود والاسلحة النارية
- ٢٦٩ المقالة السابعة في أحوال العرب في هذا الزمان
- ٢٦٩ في عود العرب الى معيشة البادية وتغلب الدولة العلمية على من بقا متهم بافريقيا
- ٢٧٠ الباب الاول من المقالة السابعة في الكلام على عرب المشرق وفيه ثمانية مباحث
- ٢٧٠ المبحث الاول في اعادة الجراكسة الخلافة للعباسية وما كان لهم من الغلبة والسلطة
- ٢٧٢ المبحث الثاني في تقدم فتوحات الدولة العلمية واستيلاء البرتوغاليين على التجارة المشرقية وبيان حالة الجنوب من بحيث جزيرة العرب
- ٢٧٣ المبحث الثالث في اعدام العثمانية سلطنة الجراكسة وفي عجز العرب بشمال بحيث جزيرة العرب عن حفظ ما كان لهم من الاستقلال
- ٢٧٤ المبحث الرابع في انقباض اليمن للدولة العلمية
- ٢٧٧ المبحث الخامس في تحسين بلاد العرب في النصف الاول من القرن السابع عشر الميلادي
- ٢٧٩ المبحث السادس في خروج الوهابية عن الطاعة

صحيفة

٢٨٣ المبحث السابع في أن غزو فرنسا وية للديار المصرية ساعد الوهابية على

نجاح مقصدهم

٢٨٤ المبحث الثامن في عود الدولة العلية الى ما كانت عليه من الشوكة وفي سياسة

جنتم كان محمد علي باشا بالديار المصرية

٢٨٥ الباب الثاني في العرب المتوطنين بافريقيا وفي غربي افريقيا ووسطها وبلاد

مراكش وايلة الجزائر وفيه مبحثان

٢٨٦ المبحث الاول في العرب المتوطنين بعصر والممالك البربرية بالمغرب وغربي

افريقيا ووسطها

٢٨٧ المبحث الثاني فيما يتعلق ببلاد مراكش وايلة الجزائر